

لبنان التوراتي في اليمن

د. لطيف الياس لطيف



شكر

أتقدم بالشكر من كل الذين ساعدوني في إنجاز هذه الدراسة، وبخاصة من الأب الباحث حنا فاخوري لقراءته هذا العمل على المستويين المنهجي والفكري. والأب جورج خوام مدير معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت - حريصا، والأب سميح رعد رئيس مركز مكسيموس الخامس حكيم - عبرا، لقراءتهما المنهجية واللغوية. والأستاذ شفيق ثابت، أستاذ اللغة العربية وآدابها في مدرسة الدوحة العالية، لقراءته اللغوية. والطالب في كلية الفلسفة واللاهوت إيلي نصّار، للمساعدة التي قدّمها في تصميم الغلاف وطباعة الكتاب.

وينبغي التشديد هنا، أن النظرية التي تطرحها هذه الدراسة، والنتائج التي تخرج بها، تقع تبعثها عليّ وحدي، ولا تنسحبُ البتّة على أيّ من الذين قاموا بقراءتها، سواء على المستوى المنهجي، أم الفكري، أم اللغوي.

المؤلف

- الطبعة الأولى آذار ٢٠٠٠

- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

- توزيع معرض الشوف الدائم للكتاب.

هـ: ٥٠٧٥٧٦/٥٥

- دار الجنوب للطباعة - صيدا

تلفون: ٠٧/٧٢٦٦٥٥ - ٠٣/٢٤٣٥١٢

إلى مَيِّ وسلام وحين...

لبنان النوراتي في اليمن

المقدمة: في المنهج

عندما صدرت دراسة الباحث كمال الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب" عام ١٩٨٥، التي عرض فيها للمرة الأولى، أطروحة جديدة مفادها أن أرض التوراة الأساسية، ومملكة كل إسرائيل، ليستا في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربية، على ساحل البحر الأحمر، في كل المنطقة الممتدة من الطائف شمالاً وحتى مشارف اليمن^١. بدأ اهتمامي الجدي بالدراسات التوراتية ومدى صحة المقولة التقليدية القائلة بأن أرض إسرائيل الموعودة تمتد من الفرات إلى النيل، التي طالما تساءلت عن مصداقيتها على العموم. وقد أتبع الصليبي دراسته هذه بكتابين آخرين هما "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"^٢، و"حروب داود"^٣، واضعاً فيهما

^١ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٥، ص ١١.

^٢ خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن ١٩٨٨.

^٣ حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ١٩٩٠.

دراسته الأولى "على المحك" للتأكد من صحتها على وجه العموم، ولتصحيح ما ورد فيها من أخطاء تفصيلية على وجه الخصوص^٤.

وقد قامت ردات فعل متعددة على أطروحة الصليبي هذه، منها ما هو مؤيد ومتحمس لها، ومنها ما هو معارض كلياً. ومن أبرز الردود المعارضة التي تصدّت لهذه الأطروحة تحليلاً ونقداً، ما كتبه الباحث المتخصص في الكتاب المقدس الأب بولس الفغالي في مجلة "المنارة"، التي تصدرها جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة^٥. ومحاضرة القس غسان إيليا خلف في مركز الحركة الثقافية أنطلياس^٦.

أما الباحث السوري فراس السواح، فقد أفرد للرد على هذه النظرية كتاباً كاملاً بعنوان: "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية"^٧. ويشكل كتاب السواح هذا أبرز الردود على نظرية كمال الصليبي حتى الآن، ليس لأنه على صواب بالضرورة، بل لأنه أكثرها إحاطة وشمولاً.

ومن ردّات الفعل المؤيدة والمتحمسة لهذه النظرية ما كتبه الباحث اللبناني فرج الله صالح ديب في كتابه: "حول أطروحات كمال

الصليبي - التوراة في اللغة والتاريخ والثقافة الشعبية"^٨. وبعد مضي خمس سنوات على صدور هذا الكتاب، صدر للباحث صالح ديب كتاب آخر بعنوان: "التوراة العربية وأورشليم اليمينية"^٩، يعرض فيه أطروحته حول أرض إسرائيل الأساسية. وهو يؤيد الصليبي في المنحى العام لنظريته القائلة بأن أرض إسرائيل الأساسية ليست في فلسطين، لكنه يفترق عنه جزئياً في قوله بأن مسرح قبائل التوراة كان في اليمن وفي محيط صنعاء^{١٠}. ومن الأهمية بمكان الإشارة في هذا السياق إلى أن دراستنا هذه التي تقدّم لها هنا، تتفق في خطتها العام مع نظرية كمال الصليبي حول أرض التوراة ومملكة إسرائيل، ولا تتفق مع نظرية فرج الله صالح ديب القائلة بأن أرض إسرائيل ومسرح قبائلها كانا في محيط صنعاء باليمن. إن القسم الثاني من دراستنا سوف يلقي الضوء على هذه المسألة حيث يتبيّن لنا من خلال تحليل النصوص التوراتية أن موقع لبنان التوراتي وصور وصيدون وحرمون كان في جنوب أرض إسرائيل الممتدة من بلاد زهران شمالاً إلى جيزان عند

^٨ صدر عن دار الحداثة، بيروت ١٩٨٩.

^٩ صدر عن مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٩٤. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد

صدر بعد مضي عدة سنوات على بداية إعدادي لهذه الدراسة، لذلك لم يتسنّ

لنا العودة إليه في معظم أقسامها.

^{١٠} التوراة العربية وأورشليم اليمينية، المقدمة ص ٧.

^٤ خفايا التوراة، المقدمة، ص ٩-١٠.

^٥ العددان الأول والثاني، ١٩٨٦، السنة السابعة والعشرين، ص ٢٠٩-٢١٨.

^٦ لدينا نسخة مصوّرة من هذه المحاضرة المطبوعة التي تقع في ١٢ صفحة.

^٧ صدر عن دار المنارة، دمشق ١٩٨٩. والكتاب يقع في ٣٤٤ صفحة.

مشارف اليمن جنوباً^{١١}. ولسنا هنا في هذه المقدمة بصدد الرد على أطروحة الباحث صالح ديب، لكننا نودّ تذكير القارئ بأننا نختلف معه في التفاصيل أكثر مما نختلف في المنحى العام. وهذا أيضاً يتسحب على أطروحة الصليبي، فقد أشرنا في أكثر من موضع من هذه الدراسة إلى المسائل التي نختلف معها فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن وجود عدد غير قليل من الأسماء التوراتية في اليمن عموماً ومحيط صنعاء خصوصاً، هو الذي دفع بالباحث صالح ديب إلى القول بأن مسرح التوراة كان هناك. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أشار إليه الصليبي في كتابه حروب داود عن سبي الأسباط العشرة عام ٧٢١ ق.م على يد سرجون الثاني الآشوري إلى ما وراء "نهر السبت" وإلى احتمال أن يكون "نهر جوزن" و"عري مدي" و"حجور" و"هرء" و"حله-زه" في منطقة نجران وجيزان بشمال اليمن^{١٢}، نقول إذا أخذنا بعين الاعتبار أن من الممكن أن تكون الأسباط العشرة قد سُبِيَتْ إلى ما بعد نجران وجيزان باتجاه اليمن، فإن ذلك قد يفسر وجود هذا العدد غير القليل من الأسماء التوراتية بصيغها العبرية ذاتها تقريباً في

^{١١} راجع فصل "صيدون وصرقة والني إيليا" في القسم الثاني من الدراسة، وبخاصة مسألة انحباس المطر في أرض إسرائيل لمدة ثلاث سنوات وأكثر، وهجرة إيليا إلى صرقة صيدون الواقعة في اليمن جنوباً.

^{١٢} راجع حروب داود، ص ٢٥ وما بعدها.

مختلف أنحاء اليمن، وما يفسر أيضاً وجود اليهودية في اليمن منذ عصر ملوك حمير^{١٣}، إلى العصر الإسلامي وحتى العصر الحديث.

وإلى جانب أبحاث فرج الله صالح ديب، كتب الباحث السوري أحمد داود سلسلة مقالات نشرت في جريدة الديار اللبنانية^{١٤}، فتناول فيها من خلال تحليل المعطيات الجغرافية التي تقدمها النصوص التوراتية مسألة مصر المذكورة في التوراة، مرجحاً أن تكون قرب نهر أرواد في جزيرة العرب.

أما النقد الذي وجّه لنظرية كمال الصليبي، فقد تركّز في ناحيتين أساسيتين: الأولى أن المنهج الفيلولوجي لا يشكل أساساً متيناً لنظرية تنكر أن تكون أرض التوراة في فلسطين، وهو بالتالي لا يعدو كونه فرضية لا تصل إلى مستوى اليقين. والثانية أن الاستنتاجات التي يصل إليها المنهج الفيلولوجي هذا، لا تصير حقائق علمية ثابتة ما لم تسند بالأبحاث والنتائج الأركيولوجية، وهذا ما لا يتوفر لنظرية الصليبي لغياب المسح الأثري لمناطق غربي شبه الجزيرة العربية^{١٥}.

^{١٣} أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٤٩، هامش رقم ٢٤.

^{١٤} في أعداد ٢٩/٩ و ١٩٩٠/٣٠ و ١٩٩٠/١٩ و ١٩٩٠/١٠.

^{١٥} التوراة جاءت، ص ١٤.

وفي غياب الأسناد الأركيولوجي لمثل هذه النظرية، فإننا نعتقد أن النص التوراتي هو المرجع الأساسي لإعطاء حكم ثابت ويقيني في مقولة تتعلق بوجود أرض التوراة.

وحيث أن دراستنا هذه تهدف إلى إثبات أن لبنان التوراتي ليس لبنان الحالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، بل هو لبنان اليمن، فإننا قد اعتمدنا مخططاً منهجياً يمكن أن يكون صالحاً لإعطاء أحكام تقارب اليقين، وإن لم تكن نهائية. كما يمكن أن يشكل أرضية متينة بموازاة المنهج الفيلولوجي غير القادر على حسم مثل هذه المقولات في ظل فقدان المعطيات الأركيولوجية.

إن المنهج الذي تركز إليه هذه الدراسة هو منهج تحليل النصوص التوراتية أو "منطق النص التوراتي"، وهو يتحدد بالمسارات التالية:

١ - دراسة تحليلية مقارنة للاحداثيات التي تقدمها النصوص التوراتية. ومثالاً على ذلك ما قمنا بتحليله في الفصل الأول من القسم الثاني وهو بعنوان: "لبنان التوراتي في اليمن"، حيث تبين لنا أن لبنان التوراتي هو في جنوب أرض إسرائيل بخلاف لبنان الحالي.

٢ - دراسة المعطيات الجغرافية التي تقدمها النصوص وقراءتها بالمقارنة مع أي نص آخر يتعلق إلى هذا الحد أو ذاك بالمسألة موضوع المعالجة. وقد قمنا بمثل هذه الدراسة الجغرافية المقارنة في فصل صور

التوراتية ربطاً بترشيش وأوفير، حيث أثبتنا أن الإبحار إلى ترشيش لم يكن في البحر الأبيض المتوسط بل في البحر الأحمر. وهذا بخلاف المسلمات التقليدية السائدة في الدراسات التوراتية. إن مسألة موقع ترشيش إن كان في البحر المتوسط أم في جنوب الجزيرة العربية، يشكل مفصلاً أساسياً في تحديد موقع صور التوراتية.

٣ - دراسة مقارنة للمعطيات المناخية والنباتية والمائية والحيوانية التي تقدمها النصوص التوراتية. وهذا المسلك المنهجي أخذ مساره في قسمي الدراسة. ففي القسم الأول تتبعنا النصوص التي تتناول النبات والشجر والأنهر في أرض إسرائيل ومصر، وما يتعلق أيضاً بالأحجار الكريمة ومعادنها ومواضع تواجدها. وفي القسم الثاني تناولنا مسألة اللبان والمر والصندل ووجودها في لبنان التوراتي. كما تناولنا أرز لبنان، وثلج لبنان، ومياه لبنان وأنهاره، وجبال لبنان كحرمون والكرمل.

٤ - الاستعانة بالمنهج الفيلولوجي أو المنهج اللغوي المقارن، وذلك في ضوء المعطيات التي يقدمها منهج تحليل النصوص التوراتية. فالمنهج الفيلولوجي لا يشكل الأساس في هذه الدراسة، كما في دراسة الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب"^{١٦}، بل يأتي في المرتبة الثانية بعد المنهج التحليلي أو ما نسميه منطق النص التوراتي. فإذا توصلنا من خلال الدراسة التحليلية المقارنة إلى استنتاج مفاده أن ترشيش مثلاً ليست في

^{١٦} أنظر ص ١٣ وما بعدها.

جنوب إسبانيا، وأن صور التوراتية ليست على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وأن صيدون التوراتية التي هي أقرب إلى أرض إسرائيل من صور هي مدينة جبلية وليست عند ساحل البحر، وأن عصيون جابر حيث تكسرت السفن التي صنعها يهو شافاط لتسير إلى ترشيش لم تكن عند خليج العقبة، نقول إذا توصلنا من خلال المنهج التحليلي إلى مثل هذه النتائج غير التقليدية، فهل يمكن للمنهج الفيلولوجي أن يقدم معطيات على مستوى أسماء الأماكن، يمكن أن تشكل رديفاً إيجابياً للمقولات والأحكام التي تطلقها هذه الدراسة؟ وهنا نود أن نشدد على أننا لم نقم بأية إجتهدات لغوية تتعلق بفقه اللغة في خلال لجوئنا إلى الاستعانة بالمنهج الفيلولوجي أو منهج مقارنة الأسماء التوراتية بأسماء الأماكن في اليمن وشبه الجزيرة العربية. لقد اكتفينا فقط بذكر أسماء الأماكن التي تتطابق كلياً أو جزئياً مع الأسماء التوراتية، وتلك التي لم يطرأ عليها تبديل جوهري. أما في حال عدم وجود أسماء أماكن مشابهة للأسماء التوراتية^{١٧} في اليمن أو تهامة أو ساحل الجزيرة العربية أو بلاد فارس والخليج الفارسي عموماً، فإننا صرفنا النظر عن الاجتهاد اللغوي في هذا الصدد، واكتفينا بالإشارة إلى موقعها المحتمل^{١٨}. وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسيين:

^{١٧} على سبيل المثال لا الحصر نذكر: ميروم ومسرفوت مايم ولايش وأولشم وتوجرمة.

^{١٨} وهذا ينطبق أيضاً على الدراسات التوراتية الكلاسيكية المتعلقة تحديداً بالجغرافية التوراتية. فقد اكتفى الباحثون التوراتيون بتحديد المكان المحتمل لأسماء-

القسم الأول بعنوان: فلسطين والجغرافية التوراتية. ويهدف منهجياً إلى مسألتين: الأولى إثبات أن أرض إسرائيل الأساسية لم تكن في فلسطين، وأن خروج بني إسرائيل لم يكن من مصر الفرعونية باتجاه سيناء. والثانية مناقشة الباحث فراس السواح في مقولته الأساسية القائلة بأن أكبر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين كانت باتجاه بلاد الشام غرباً، وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية^{١٩}. وقد أثبتنا من خلال هذه المناقشة أن حكام وادي الرافدين قد وجهوا حملات عسكرية إلى غرب شبه الجزيرة العربية، كان الهدف الأساسي منها تأديب القبائل والممالك التي كانت تشكل عائقاً أمام حركة التجارة من جنوب الجزيرة العربية (اليمن بلاد الطيوب) باتجاه الشمال نحو وادي الرافدين، وبهدف حماية المصالح التجارية للامبراطوريات القديمة والامساك بقوة بخطوط التجارة الدولية آنذاك^{٢٠}. وقد ألحنا في سياق هذا القسم إلى التقليد

=المواضع التي يصعب إيجاد شبيه لها في أسماء المواقع والقرى والبلدات الحالية في فلسطين ولبنان وغيرهما.

^{١٩} الحدث التوراتي، ص ٨٠.

^{٢٠} إن الدوافع التي حدثت بحكام وادي الرافدين إلى توجيه حملات عسكرية إلى شبه الجزيرة العربية، هي نفسها تلك التي حدثت بحكام وادي النيل إلى توجيه مثل هذه الحملات من قبل. فمنذ عهد السلالة الفرعونية الخامسة قاد ساهوري (٢٧٤٣ - ٢٧٣١ ق.م) أول حملة بحرية بطريق البحر الأحمر إلى بلاد تقيض=

السائد عند معظم الاخباريين العرب والقائل بأن نبوخذ نصر قد غزا تهامة ونجد والحجاز وعسير وحضور في اليمن^{٢١}.

إن إثبات غزو حكام وادي الرافدين لغرب شبه الجزيرة العربية، يشكل مفصلاً منهجياً في سياق الهدف الذي تصبو إليه هذه الدراسة. فإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية هناك، وصور التوراتية كانت عند ساحل اليمن، فإن الحملات التي قام بها حكام آشور وبابل ضد مملكة إسرائيل عام ٧٢١ ق.م وضد مملكة يهوذا في ٥٨٧ ق.م، وضد صور التوراتية لاحقاً، قد وجهت بطبيعة الحال نحو غرب شبه الجزيرة العربية.

إن القسم الأول من الدراسة، الذي يتناول المسلمات السائدة في الدراسات التوراتية، يمهد منهجياً للقسم الثاني وهو بعنوان: لبنان التوراتي في اليمن. ويتناول عبر ستة فصول كل المسائل المتعلقة بلبنان التوراتي وصور وصيدون وحرمون وجبل وأرز لبنان وثلجته وكرمله.

لبناناً. وهي الأسباب عنها التي دفعت بالرومان إلى القيام بحملة عسكرية بقيادة إيلوس غالوس عام ٢٤ ق.م إلى جنوب الجزيرة العربية، فوصلت إلى أبعد من نجران في اليمن (راجع تاريخ العرب المطول، لفيليب حتي، ص ٦٣، ٧٦-٧٧. كذلك ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤ من هذه الدراسة. كذلك العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان، ص ٩٨).

^{٢١} راجع ص ١١٣، كذلك "العرب قبل الاسلام"، لجرجي زيدان، ص ١٠١-١٠٢.

إن لبنان (لبنون عبرياً) الذي تتناوله هذه الدراسة، هو فقط الذي ذكر في أسفار التوراة، ولا يتعلق البتة بلبنان الذي ذكر في الإنجيل (العهد الجديد) تحت إسم بلاد فينيقيا. فقد ورد إسم لبنان سبعين مرة في العهد القديم، أما في العهد الجديد فلم يرد إسم لبنان بل ورد ذكر بلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. إن صور وصيدون وقانا التي جاء إليها السيد المسيح ومريم العذراء وبولس الرسول^{٢٢} هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبير بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد، لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعد ذلك بقرون. فإذا كانت أرض إسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حال دون وصول هذا الاسم إلى مسامع كتبة الأسفار؟

ويقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس أن فينيقيي الساحل المتوسطي كانوا في الأصل من سكان ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر. وقد يفسر هذا الأمر ربما التقارب اللغوي بين الأبجدية الفينيقية والأبجدية الحميرية. وقد أشار إلى هذا التقارب الباحث فرج الله صالح ديب في

^{٢٢} راجع على سبيل المثال لا الحصر، مرقس ٣: ٧-٨؛ ولوقا ٦: ١٧-١٩؛ وأعمال الرسل ٢١: ١-٧ و٢٧: ٣.

السائد عند معظم الانجباريين العرب والقائل بأن نبوخذ نصر قد غزا تهامة ونجد والحجاز وعسير وحضور في اليمن^{٢١}.

إن إثبات غزو حكام وادي الرافدين لغرب شبه الجزيرة العربية، يشكل مفصلاً منهجياً في سياق الهدف الذي تصبو إليه هذه الدراسة. فإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية هناك، وصور التوراتية كانت عند ساحل اليمن، فإن الحملات التي قام بها حكام آشور وبابل ضد مملكة إسرائيل عام ٧٢١ ق.م وضد مملكة يهوذا في ٥٨٧ ق.م، وضد صور التوراتية لاحقاً، قد وجهت بطبيعة الحال نحو غرب شبه الجزيرة العربية.

إن القسم الأول من الدراسة، الذي يتناول المسلمات السائدة في الدراسات التوراتية، يمهّد منهجياً للقسم الثاني وهو بعنوان: لبنان التوراتي في اليمن. ويتناول عبر ستة فصول كل المسائل المتعلقة بلبنان التوراتي وصور وصيدون وحرمون وجبل وأرز لبنان وثلجه وكرمله.

لبناناً. وهي الأسباب عينها التي دفعت بالرومان إلى القيام بحملة عسكرية بقيادة إيلوس غالوس عام ٢٤ ق.م إلى جنوب الجزيرة العربية، فوصلت إلى أبعد من نجران في اليمن (راجع تاريخ العرب المطول، لفيليب حتي، ص ٦٣، ٧٦-٧٧. كذلك ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤ من هذه الدراسة. كذلك العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان، ص ٩٨).

^{٢١} راجع ص ١١٣، كذلك "العرب قبل الاسلام"، لجرجي زيدان، ص ١٠١-١٠٢.

إن لبنان (لبنون عبرياً) الذي تناوله هذه الدراسة، هو فقط الذي ذكر في أسفار التوراة، ولا يتعلّق البتة بلبنان الذي ذكر في الإنجيل (العهد الجديد) تحت إسم بلاد فينيقيا. فقد ورد إسم لبنان سبعين مرة في العهد القديم، أما في العهد الجديد فلم يرد إسم لبنان بل ورد ذكر بلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. إن صور وصيدون وقانا التي جاء إليها السيد المسيح ومريم العذراء وبولس الرسول^{٢٢} هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبير بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد، لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعد ذلك بقرون. فإذا كانت أرض إسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حال دون وصول هذا الاسم إلى مسامع كتبة الأسفار؟

ويقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس أن فينيقيي الساحل المتوسطي كانوا في الأصل من سكان ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر. وقد يفسر هذا الأمر ربما التقارب اللغوي بين الأبجدية الفينيقية والأبجدية الحميرية. وقد أشار إلى هذا التقارب الباحث فرج الله صالح ديب في

^{٢٢} راجع على سبيل المثال لا الحصر، مرقس ٣: ٧-٨؛ ولوقا ٦: ١٧-١٩؛ وأعمال الرسل ٢١: ١-٧ و٢٧: ٣.

كتابه "اليمن هي الأصل" ٢٣، كما أشار في كتابه "التوراة العربية وأورشليم اليمنية" إلى التقارب بين الحميرية والسريانية ٢٤.

ونود في هذه المقدمة المنهجية أن نشير إلى التقارب بين الأبجدية العبرية القديمة وكل من الأبجدية الفينيقية والحميرية. وفي هذا التقارب بين العبرية القديمة والحميرية بنوع خاص ما يعطي الإجابة عن التساؤل الذي أثاره الباحث فراس السواح في كتابه "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم" ٢٥. وقد يعطي الإجابة أيضاً عن كيفية نسبة فصلين من سفر الأمثال (٣٠ و ٣١) إلى شخصيتين ذكرنا في نقوش اليمن هما أجوربن ياقه ولموئيل ٢٦. فكيف وصلت الحكم والأمثال اليمنية إلى مسامع كتبة التوراة، ولم تصل إلى مسامعهم أوغاريت وحضارتها العريقة طالما أنها أقرب بكثير من جنوب الجزيرة العربية وسبأ اليمنية ٢٧.

٢٣ صدر عن دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٤ وما بعدها.

٢٤ التوراة العربية، ص ٤٦ وما بعدها.

٢٥ في رده على الصليبي يتساءل السواح قائلاً: إذا كانت مملكة إسرائيل مجاورة لليمن، فلماذا لم تذكر في النقوش اليمنية؟ (الحدث التوراتي، ص ٢٩٧).

٢٦ أنظر ما أشرنا إليه، ص ٢٠٩، هامش رقم ٩٧.

٢٧ أليس مستغرباً حقاً أن لا تذكر أوغاريت وهي أقرب لمملكة إسرائيل من حمّاه (حمّات) التوراتية المعترية حمّاه السورية عند كلّ الباحثين التوراتيين دون استثناء (أنظر الحدث التوراتي لفراس السواح، ص ٢٨١ - ٢٨٢). وقد أشار سفر إرميا إلى حكمة اليمن في ٤٩: ٧.

وسوف نورد أدناه جدولاً بالأبجديات الحميرية والفينيقية والعبرية القديمة وما يقابلها في العربية. ونترك للقارئ أن يكتشف بنفسه مدى التقارب بين العبرية والحميرية. فمن أصل الحروف الاثني والعشرين التي تتشكل منها هذه الأبجديات الثلاث، نجد عشرين حرفاً مشتركاً على الأقل بين العبرية القديمة والفينيقية، وعشرة حروف على الأقل مشتركة بينهما وبين العربية الجنوبية (الحميرية) ٢٨.

وإذا كان الباحث فراس السواح يعتقد أن أخبار دويلات اليمن، باستثناء زيارة ملكة سبأ لسليمان، لم ترد في التوراة، فإننا سوف نبين في سياق هذه الدراسة أن ما ذكر من مناطق اليمن وحواضرها يعدّ بالعشرات، في حين أن جليل لم ترد في النصوص التوراتية إلا مرة واحدة، وليس مؤكداً أنها تشير إلى جليل اللبنانية ٢٩. ومما يدعو إلى الاستغراب

٢٨ أنظر جدول الأبجديات المرفق، ص ٢٥. هذا ويذهب المستشرق مرغليوت إلى أن الوطن الأصلي للعبريين لم يكن في شبه جزيرة سيناء، وإنما كان في بلاد اليمن التي كانت مهداً لشعوب كثيرة منذ أقدم الأزمنة التاريخية. ويستدل مرغليوت على رأيه هذا بوجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، وبأن هناك شبيهاً عظيماً ملحوظاً بين بعض العادات الاجتماعية والتقاليد الدينية عند السبئيين وبني إسرائيل وذلك في كتابه Relations bet ween Arabs and Israelites. راجع كتاب "دروس اللغة العبرية" تأليف ربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٥.

٢٩ أنظر فصل صور التوراتية وجبل.

والتساؤل أن من بين الذين عارضوا "نحميا" في إعادة بناء سور أورشليم بعد العودة من السبي في القرن الخامس قبل الميلاد^{٣٠}، رجلاً عربياً يدعى "جشم" لم يكن فرداً على الأرجح بل قبيلة. فإذا كان "جشم" قبيلة عربية تقيم بين نجد وتهامة، فلماذا يعارض بناء سور أورشليم في فلسطين^{٣١}.

ويقول جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام" إن آلهة اليمن أقرب إلى معبودات البابليين من عرب الشمال. فعندهم عشتار وأيل وبعل وغيرها، أما الشماليون (أو العدنانيون في الحجاز ونجد) فآلهتهم تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها^{٣٢}. لكن ما لم يقله جرجي زيدان هو أن آلهة اليمن، ليس فقط أقرب إلى آلهة البابليين، بل

^{٣٠} نحميا ٢: ١٩ و ٦: ١-٦.

^{٣١} يعود نسب بني جشم إلى وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من عرب الشمال. ويذكر الأخباريون العرب أن نبوخذ نصر (ويسمونه مختصراً غززا بلاد العرب، فسار إلى الحجاز واقتل قتلاً شديداً مع معد بن عدنان في ذات عرق. وإذا صحّ ذلك فإن بني معد العدنانيين كانوا قبيلة كبرى في القرن السادس قبل الميلاد. أما منازل ربيعة التي يعود إليها بنو جشم، فكانت بذات عرق وما يليها من بلاد نجد إلى الغور من تهامة. وليس هناك -على حدّ علمنا- أيّ ذكر عند النسايبين والأخباريين إلى وجود بني جشم في الاطراف الشمالية للجزيرة عند بادية الشام أو شرقي فلسطين. (راجع كتاب "العرب قبل الإسلام" لجرجي زيدان، ص ١٠٢، ١٧٥، ١٨٣. كذلك "معجم البلدان" لياقوت الحموي، ج ٣، ص ٣٧).

^{٣٢} أنظر ص ١٧٢.

هي عينها آلهة الفينيقيين والعبرانيين في مراحل معينة من تطوّرهم الديني^{٣٣}. فكيف يمكن تفسير هذا التشابه في أسماء الآلهة بين الفينيقيين والعبرانيين من جهة، والحميريين السبئيين في جنوب الجزيرة من جهة أخرى، في حين أن هؤلاء الآخرين هم الأبعد من عرب الشمال عن فينيقيا وفلسطين التي كما يعتقد كانت أرض إسرائيل الأساسية؟

ومما تجدر الإشارة إليه في نهاية هذه المقدمة المنهجية، أن الكتاب المقدس عند اليهود يقتصر على الأسفار العبرانية مما يُسمى بالتوراة والانبياء والكتب، ومجموعها تسعة وثلاثون سفرًا. والتوراة (أو الشريعة) هي في الأساس الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى (التكوين والخروج واللاويين والعدد والثنية). ونحن إذ نستعمل تعبير "التوراة" فإننا نقصد به مجمل أسفار العهد القديم، وليس فقط الأسفار الموسوية، فقد غدا هذا الأمر متعارفاً عليه لدى الباحثين في هذا الحقل.

^{٣٣} نقول في مراحل معينة من التطور الديني عند العبرانيين، أي في الفترات التي عبدوا فيها آلهة أخرى إلى جانب يهوه. فعبدوا إيل وبعل وعشتار وغيرها (أنظر على سبيل المثال لا الحصر سفر القضاة ١٠: ٦).

لبنان التوراتي في اليمن

الأبجدية
العربية

الأبجدية
الحميرية

الأبجدية
الفينيقية

الأبجدية
العبرية

ا	ك خ	ح	ا
ب	د	ن	ب
ج	ل	ل	ج
د	د ا	هـ	د
هـ	هـ هـ	و ي	هـ
و	و	ز	و
ز	ز ز	ح	ز
ح	ح ح	ط ظ	ح
ط	ط	ث	ط
ث	ث	ي	ث
ي	ي ي	ك	ي

القسم الأول

فلسطين والجغرافية التوراتية

الأبجدية العربية	الأبجدية الحميرية	الأبجدية الفينيقية	العبرية القديمة
ل	𐩌 𐩍	𐤌 𐤍	ל
م	𐩎	𐤎	מ
ن	𐩏	𐤏	נ
س	𐩐	𐤐	ס
ع	𐩑	𐤑	ע
ف	𐩒	𐤒	פ
ص	𐩓	𐤓	צ
ق	𐩔	𐤔	ק
ر	𐩕	𐤕	ר
ش	𐩖	𐤖	ש
ت	𐩗	𐤗	ת

مُهِيل:

أول ما يتبادر إلى الذهن السؤال عما إذا كانت مصر التوراتية (وفي العبرية مصريم) هي ذاتها مصر وادي النيل أو مصر الفرعونية. ونحن سنحاول الإجابة عن هذا السؤال في سياق هذا القسم، معتمدين في الدرجة الأولى على النص التوراتي منهجاً وتحليلاً، وعلى السجلات الآشورية والبابلية التي ذكرت "مصري"، في الدرجة الثانية.

وقبل الولوج في هذه المسألة الشائكة فعلاً، نتوقف عند بعض الطروحات التي تناولتها، سواء من زاوية الاقرار أو التأكيد على أن مصر التوراة هي مصر وادي النيل، أو من زاوية الرفض.

إن أول من أشار إلى احتمال كون مصر التوراتية هي غيرها مصر وادي النيل، هو المستشرق "وينكلر" في رسالته "مصري وملوخا ومعين"، حيث يرى أن "كوش" و"مصر" المذكورتين في التوراة لا يقصد بهما الحبشة ومصر، بل جزيرة العرب وشمالها. وقد جاء بأمثلة من التوراة

ليبين بأن مصر التوراتية هي في بلاد العرب لا في إفريقيا^١. وأثارت نظرية وينكلر هذه جدلاً بين العلماء وقوبلت بنقد شديد لأنها تعارض ظاهرة نصوص التوراة.

ويقرن وينكلر كذلك بين "مصري" المذكورة في السجلات الأشورية، ومصر المذكورة في التوراة، باعتبار أنهما تشيران إلى أرض واحدة، لا في وادي النيل، بل في الجزيرة العربية^٢.

ويطرح المؤرخ كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب" و"خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"^٣، ولأول مرة، نظرية جديدة متكاملة في هذا الخصوص مؤكداً أن مصريم وكوش الواردتين في التوراة هما في غرب الجزيرة العربية وتحديدًا في عسير الداخلية.

^١ الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين،

بيروت ١٩٧٦، ج ١، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

^٢ يقصد وينكلر "مصري" المذكورة في نصوص تغلت فلاصر الثالث (٧٤٧ -

٧٢٧ ق.م) وسرجون الثاني (٧٢٤ - ٧٠٥ ق.م) على وجه الخصوص.

المرجع السابق، ص ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٤.

^٣ التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال سليمان الصليبي، ترجمة عفيف

الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٥، وخفايا التوراة وأسرار

شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن ١٩٨٨.

ويرى الصليبي أن مصريم تشير بالتأكيد إلى مصر في بعض الفقرات التوراتية، كما في الملوك الأول ١٤: ٢٥ وما يلي، وفي أخبار الأيام الثاني ١٢: ٢ وما يلي، وأيضاً في الملوك الثاني ٢٣: ٢٩، وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٠ وما يلي، وفي إرميا ٤٦: ٢. أما في أماكن أخرى من التوراة فإن إسم مصريم يشير إلى أي من مواقع عديدة في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيه قرية المصرمة (مصر)، ويلفظ إسمها محلياً المصرامة (مصرمة)، في مرتفعات عسير بين أبها وخميس مشيط، أو قرية مصر (مصر) في وادي بيشة في عسير الداخل. والباحث عن كوش في ذلك الجوار العام يجدها فوراً في الكوثة (كوث) قرب خميس مشيط. وهذه عبارة عن واحة تقع على مسافة قريبة شرق أبها، وبالتالي في المنطقة ذاتها التي توجد فيها قرية المصرمة^٤.

أما نهر مصر (نهر مصريم) المعتبر تقليدياً نهر النيل (كما في تكوين ١٥: ١٨، عدد ٣٤: ٥)، فهو لم يكن بنظر الصليبي نيل مصر، بل وادي لية (أو أحد روافد وادي لية) الذي ينبع من الجبال اليمينية ويجري في ناحية سامطة جنوب منطقة حيزان. ويبدو أن هذا الوادي

^٤ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٩٣، ٩٤.

عرف في الأزمنة التوراتية باسم نهر مصريم أو نخل مصريم نسبة إلى قرية من حوض هذا الوادي تعرف اليوم بالمصرم^٥.

وسوف نستعرض فيما يلي من هذا القسم مصر المذكورة في السجلات الأشورية، وبالتالي الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين غرباً باتجاه ساحل البحر المتوسط أو جنوباً باتجاه غرب شبه الجزيرة العربية. ومن خلال ذلك سنتبين إذا ما كانت مصر وادي النيل هي المقصودة في سجلات آشور وبابل دون استثناء، أم المقصود مصر أخرى غير مصر الفرعونية. وهذا سوف يستتبع منهجياً - كما أشرنا في المقدمة - إلى مناقشة فراس السواح في أطروحته القائلة بأن كل الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين كانت موجهة، دون إستثناء، نحو بلاد الشام عموماً.

^٥ المرجع السابق، ص ٢٦٠. كذلك: "خفايا التوراة"، ص ١٤٨-١٤٩،

٢٠٣ وما بعدها.

١ - الحملات الأشورية على بلاد العرب

وفي معرض حديثه عن فترة المدّ الأشوري خلال حكم الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)، ينقل لنا الباحث فراس السواح أخبار الحملات المتواصلة التي قادها هذا الملك ضدّ بلاد الشام وإماراتها وملوكها. ويتوقف عند معركة قرقرة التي جرت برأيه في منطقة حماه على نهر العاصي^٦، فيذكر من أخبار هذه الحملة ما يلي: "هـب إلى ساح المعركة "حدد عدري" ملك "إمرشو" Imerisu، ومعه ١٢٠٠٠ عربية و ١٢٠٠ فارس و ٢٠٠٠ جندي؛ وإرخوليبي ملك "حماء" Amat ومعه ٧٠٠ عربية و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠ جندي. و"آخاب الإسرائيلي" ومعه ٢٠٠ عربية و ١٠٠٠ جندي. ومن "مصري" Musri جاء ١٠٠٠ جندي، ومن "قوية" Que ٥٠٠ جندي، ومن "عرقاقا" Arquanata ١٠٠ عربية و ١٠٠٠ جندي. وجاء "ما تينوبعل" من "أرواد" ومعه ٢٠٠ جندي، وأمير "أشناتو" Usanata ومعه ٢٠٠ جندي، و"أذنوبعل" من سيانو" Shian ومعه ٣٠ عربية و ١٠٠٠ جندي، و"جنديو" العربي ومعه ١٠٠٠ رجل، و"بعشا" أمير رحوبي، ومعه...، ومن "عمون..."

^٦ أنظر كتابه "الحدث التوراتي"، ص ٩٢ وما بعدها.

فكانوا إثني عشر ملكاً هبوا في وجهي للمعركة الحاسمة". وفي حين يعتبر السواح أن مسرح هذه المعركة كان دون أدنى شك، على نهر العاصي في سوريا، وإن أمرشو هي دمشق، وأمت هي حمّاه السورية، وقوية مملكة صغيرة على شاطئ المتوسط الشمالي في الأراضي التركبية الآن بين نهري سيحان وجيحان، وأشناتو إلى الجنوب من مدينة جبلة الحالية في سوريا، وسيانو إلى الشرق من مدينة جبلة الحالية. وفي حين يرى كذلك أن جنديو العربي كان على رأس القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام، لا يرى أي موقع مفترض لمصري المذكورة في سجل هذه المعركة، فهي مملكة مجهولة في نظره حتى الآن^٧.

لكننا نعتقد أن "مصري" هذه، المذكورة في سجل شلمنصر الثالث، والتي ذكرت في السجلات الآشورية اللاحقة، وبخاصة سجلات تغلت فلاصر الثالث وسرجون الثاني، هي مملكة صغيرة أو إمارة في الحجاز^٨. وسوف نورد في ما يلي بعض الأدلة على هذا الاعتقاد.

^٧ المرجع السابق، ص ٩٨.

^٨ ويرجح الصليبي في "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، أن تكون "مصري" المذكورة في نص سرجون الثاني هي آل مصري في منطقة الطائف. (أنظر ص ١١٦، ١٤٨، ٢٤٧). وسوف نرى لاحقاً أن مصر التي ذرت في مجال-

يرد في أخبار تغلت فلاصر الثالث (٧٤٧ - ٧٢٧ ق.م) عن حملته على بلاد العرب التي قام بها في السنة التاسعة للملكه، أنه قهر ملكة عربية اسمها "سمي" أو "شمي" وإضطرّها إلى دفع الجزية له. وذكر في النص أن هذه الملكة العربية قد أضناها التعب والجوع وخارت قواها المعنوية بعد فرارها إلى إقليم "بازو".

وبعدما أدّت "شمي" الجزية إلى ملك آشور، دفعت عدّة قبائل عربية الجزية له. فقد ذكر الملك أنه تسلّم الجزية ذهباً وفضة وإبلاً وطيوباً من مسأي (Mas'a) وتيما وسبأ وحيابه (Hayapa) وبطنه (Batana) وخطي (Hatti) أو خط (Hatte) وأدبيل (Idibail). وقد ورد أن هذه القبائل كانت تقطن في أراضي تقع في الغرب في أماكن بعيدة. ويقصد بتعبير أماكن بعيدة، البادية حيث يصعب الوصول إليها.

بعد ذلك، وفي السنة ٧٣٤ ق.م، عيّن تغلت فلاصر عربياً يُدعى "أدبيل" في وظيفة "قيبو" (Képu)، أي والياً على "مصري" ليدبر شؤونها بالنيابة عنه. ويحتمل أن يكون هذا الرجل -على رأي موصل- شيخاً من قبيلة أدبيل التي أدّت الجزية مع غيرها من القبائل

=مجال الحديث عن موطن الاسماعيليين (تكوين ٢٥: ١٨) هي على الأرجح آل مصري.

^٩ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج ١، ص ٥٧٩.

العربية إلى ملك آشور^{١٠}. فهل "مصري" المذكورة في نص تغلت فلاصر الثالث هي مصر وادي النيل؟ وهل يعقل أن يعين ملك آشور شيخاً عربياً في وظيفة "قيو" على مصر الفرعونية؟ إن المنطق التاريخي ينفي ذلك قطعاً، والسجلات الفرعونية لم تذكر لنا قط مثل هذه الحادثة في تاريخ الأسر الفرعونية التي تعاقبت على حكم وادي النيل. من هنا نرى أن "مصري" المذكورة في نص تغلت فلاصر، ليست إلا إمارة عربية كانت مناطق نفوذها على الأرجح تمتد من الحجاز حتى وادي بيشة شرقي جبال السراة حيث ما زالت حتى اليوم قرية مصر.

ومما يؤكد وجهة نظرنا هذه - أو على الأقل يجعلها أكثر احتمالاً - ما ورد في نص تغلت فلاصر من أن هذه القبائل (ومن بينها قبيلة أدبيل) كانت تقطن في أماكن بعيدة في البادية يصعب الوصول إليها، أي في بادية نجد وما يليها إلى الحجاز^{١١}.

^{١٠} المرجع السابق، ص ٥٨٤.

^{١١} نحن نعتقد أن تعبير "الأماكن البعيدة" أو البادية حيث يصعب الوصول، الوارد في نص تغلت فلاصر الثالث، إنما يقصد به بادية نجد في الجزيرة العربية وليس بادية الشام. لأنه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن بعض الحملات الآشورية قد وجهت نحو بلاد الشام عموماً، فإنها بذلك تكون قد تجاوزت بادية الشام بالتأكيد. وسوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة فيما بعد.

وبجددنا سرجون الثاني (٧٢٤-٧٠٥ ق.م) أنه في السنة السابعة من حكمه أدب ثموداي وأباديدي ومرسماني وخيايه وهزمهم، ونقل من أسر منهم إلى السامرة (Samaria). ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من سمسي ملكة أريبي (العرب) ومن برعو (Pir'u) ملك مصري (Musiri) ومن يثع أمر (it'amra - يثعمر) السبيي. وذكر أن الجزية كانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والخيول والأبل.

وقد ورد في بعض ترجمات نص سرجون، أنه نقل الأعراب الذين ينزلون في مواقع نائية في البادية، ولم يعرفوا حاكماً رسمياً، ولم يدفعوا جزية إلى أي ملك سابق، نقلهم إلى السامرة وأسكنهم فيها^{١٢}.

وورد في هذه الترجمات بعد جملة "ويثع أمر السبيي": "ومن هؤلاء الملوك ملوك على الساحل، ومنهم ملوك في البادية. تسلمت منهم جزية تبرا وأحجاراً كريمة...". وهذا يدل بشكل قاطع على أن أولئك الملوك كانوا يحكمون أراضي واسعة تمتد من بادية نجد إلى سواحل البحر الأحمر. ومما لا يدع مجالاً للشك بأن مصري المذكورة في نص سرجون كذلك، ليست على الإطلاق مصر الفرعونية، ورود عبارة "برعو ملك مصري" مترافقة مع سمي ملكة العرب ويثعمر السبيي الذي هو بلا أدنى

^{١٢} المرجع السابق، ص ٥٨٥، ٥٨٦.

شك من ملوك دولة سبأ اليمنية التي لم تكن تبعد كثيراً على مملكة مصري في وادي بيشة جنوب الحجاز^{١٣}.

وانطلاقاً مما تقدّم، وربطاً بما ورد عند الباحث فراس السواح، من أن معركة قرقرة قد جرت على نهر العاصي قرب حماه السورية، فإننا نتساءل: لو سلّمنا جدلاً بأن الممالك التي ذكرت في نص شلمنصر الثالث (إمرشو - أرخوليبي - أمت - قوية - عرقاتا وغيرها) هي في بلاد الشام، يبقى السؤال الأساسي وهو: كيف تسنى للملك "مصري" أن يشارك في هذه المعركة بعشرة آلاف جندي ومملكته تبعد عن حماه السورية ما لا يقل عن ألفي كيلومتر. وحتى لو فرضنا أن "مصري" كانت في أعالي الحجاز، فإنها سوف تكون بعيدة عن حماه السورية ما بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ كيلومتر على أقل تقدير، وهذه المسافة لا يمكن قطعها بأقل من ٧٠ يوماً. فكيف تسنى للملك مصري الاستعداد لهذه المعركة والوصول إلى نهر العاصي، طالما أن استعداده وإنطلاقه لا بد أن يكونا قد بدأ بعد توغل الجيش الأشوري في بلاد الشام وإقترابه من منطقة حماه السورية.

^{١٣} حول ملوك دولة سبأ ومكاريها، راجع جرجي زيدان، في "تاريخ العرب قبل الإسلام"، بدون تاريخ إصدار، ص ١٢٣، ١٢٤. حيث يشير إلى يتعمّر السبئي الذي دفع الجزية إلى سرجون الثاني، ويعده من ملوك سبأ الأوائل.

وفي مجال الحديث عن الحملات الأشورية على بلاد العرب، وما إذا كانت قد وجهت فعلاً نحو غرب شبه الجزيرة العربية أم لا، لا بد من التوقف عند مقولة فراس السواح في هذا الصدد. فبعد كلامه عن الحملات السومرية المبكرة على بلاد الشام بقيادة سرجون الأول (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م) وخليفته نارام سن، يقول: "وهكذا نجد أن أبكر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين، غرباً كانت موجهة ضد بلاد الشام. ولسوف نثبت بالدليل القاطع فيما يلي من هذا الفصل أن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية"^{١٤}. لكنه يعود في نهاية الفصل المتعلق بسجلات وادي الرافدين ليعدل جزئياً في رأيه هذا قائلاً: "ولقد كان للأشوريين غزوات موجهة نحو جزيرة العرب كما هو واضح من سجلاتهم. ولكن أخبار حملاتهم تلك توضح وبصريح العبارة أنها كانت موجهة ضد القبائل التي أطلقوا عليها اسم "أريبو" Aribu أي العرب"^{١٥}. ويفهم من رأيه هذا أن الحملات الأشورية لم تستهدف أعماق بلاد العرب في نجد والحجاز وتهامة حتى سواحل البحر الأحمر، بل "كانت موجهة ضد القبائل العربية المقيمة أو المتجولة بين بادية الشام والمناطق

^{١٤} الحدث التوراتي، ص ٨٠.

^{١٥} المرجع السابق، ص ١٢٤.

الشمالية في شبه الجزيرة العربية، وبين ضفاف الفرات الأدنى وصحراء النقب، وأنها لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب^{١٦}.

أما كيف يصل إلى أستنتاجه وتوكيده هذا، فذلك من خلال قراءته لنص حملة تغلت فلاصر الثالث^{١٧} على بلاد العرب، والذي سجله

^{١٦} المرجع السابق، ص ١٢٥. وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجهة نظر السواح هذه، تتفق تماماً مع رأي فيليب حتي في كتابه "تاريخ العرب"، دار غندور للطباعة والنشر، ط ٥، بيروت ١٩٧٤، ص ٦٦، حيث يرى في حديثه عن حملة تغلت فلاصر الثالث على بلاد العرب ومواطن القبائل التي أدت له الجزيرة، أن هذه القبائل "كانت تقطن شبه جزيرة سيناء والبادية الواقعة في شمالها الشرقي" (أي بادية الشام). ويذهب كذلك إلى هذا الرأي جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ص ٤٦١. ويرى قاموس الكتاب المقدس (ص ٧٥) أن القبائل الاسماعيلية "كانت تسكن الجزء الشمالي من شبه جزيرة العرب على حدود فلسطين وأرض ما بين النهرين". وهذا التحديد الجغرافي يبدو محاولة لتفسير عبارة سفر التكوين ٢٥: ١٨ "من حويلة إلى شور التي أمام مصر حيسما تجيء نحو آشور"، وهو ما يردده السواح بكل دقة. (نذكر القارئ أننا نعتمد "قاموس الكتاب المقدس" الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، تأليف نخبة من الأساتذة واللاهوتيين بإشراف د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكسندر طمسن، الأستاذ ابراهيم مطر، ط ٢، بيروت ١٩٧١).

^{١٧} سبق وسجلنا هذا النص نقلاً عن كتاب "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي (أنظر ص ٣٥). ولا نجد تعارضاً في الجوهر بين النصين، بل إن التعارض قائم في الواقع بين قراءتنا للنص وقراءة السواح له: فنحن-

على النحو التالي: "أما "شمسة" ملكة العرب، فقد قتلت من أتباعها ١١٠٠ رجل وأخذت ٣٠،٠٠٠ جمل، و ٢٠،٠٠٠ رأس ماشية و ٥٠٠٠ صندوق من التوابل و ١١ طاسة مكرسة لألهتها. أما هي فقد هربت بحياتها إلى مدينة "بازو" في إقليم العطش كحمار وحش بريّة. وأهل معسكرها لما أضناهم الجوع قد... ولكنها عادت بعد أن أدركت مدى جيروتي وقوتي، وجلبت إليّ جملاً ذكوراً وإناثاً... أما أهل "مسعاي" و"تيما" Tema و"حطيا" Hattia، وأهل "إيدي بعل" Idiba'leans، و"السبثيون" وأهل "حايبا" Haippaa و"بادانا" Badana من أقاليم الغرب التي لم يسمع بها أو يعرف بلادها أحد، فقد سمعوا أخبار سلطتي وخضعوا لحكمي، وجلبوا إليّ جميعاً الجزيرة"^{١٨}.

وهنا نسأل: هل إن أقاليم الغرب التي لم يسمع بها أو يعرف بلادها أحد، هي في المنطقة الممتدة بين بادية الشام والمناطق الشمالية في شبه الجزيرة العربية، وبين الفرات الأدنى وصحراء النقب؟ أم هي في أعماق بلاد العرب بين نجد والحجاز وتهامة؟

=نقرأه في ضوء جغرافية أعماق الجزيرة بين نجد والحجاز، وهو يقرأه في ضوء المنطقة الممتدة بين الفرات الأدنى وبادية الشام والمناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية حتى صحراء النقب. وسوف نرى في سياق هذه المناقشة أي القراءتين هي الأكثر صوابية.

الحدث التوراتي، ص ١٢٥.

نقرأ في سجل حدد نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٣ ق.م) أنه أخضع "بلاد حاتي، وكل أراضي "أمورو"، وصور، وصيدا، وأرض عمري، وايدوم، وبلاد الفلسطينيين، إلى البحر الكبير حيث تغرب الشمس"^{١٩}. فإذا كان هذا الملك الأشوري الذي سبق تغلث فلاصر الثالث بنصف قرن على الأقل، قد أخضع بلاد إيدوم (وهي أدوم التوراتية)، وبلاد أدوم كما يفترض عادة -والسواح يؤكد على ذلك- تمتد من جنوب البحر الميت في فلسطين حتى خليج العقبة على البحر الأحمر^{٢٠}. فكيف يمكن أن يخضع بلاد أدوم الواقعة جنوب شرق صحراء النقب دون أن يسمع أو يعرف عن هذه القبائل المقيمة أو المتجولة بين بادية الشام وصحراء النقب كما يقول السواح؟! طالما أن نص تغلث فلاصر الثالث يقول بكل وضوح أن هذه القبائل "لم يسمع بها أو يعرف

^{١٩} المرجع السابق، ص ١٠٣.

^{٢٠} يفترض الباحثون التوراتيون عادة، أن أرض أدوم التوراتية تقع جنوب البحر الميت الفلسطيني (يم، هـ - ملح). ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن إقليم أدوم يمتد مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة، على جانبي غور العربة (تكوين ١٤: ٦ / ٣٢: ٣ / ملوك ثاني ٣: ٨، ١٢). (أنظر قاموس الكتاب المقدس، الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط٢، بيروت ١٩٧١، ص ٣٩). وفي عصر سليمان، أي في القرن العاشر قبل الميلاد، كانت أرض أدوم تصل إلى البحر الأحمر، إذ نقرأ في الملوك الأول ٩: ٢٦، أن سليمان "عمل سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم".

بلادها أحد" قبله. أليس من المفترض منطقياً أن يسمع بها أو يعرف عنها حدد نيراري الثالث، أو عن بعضها^{٢١}. فسواء كان اجتياحه لبلاد أدوم من الشمال عن طريق الساحل السوري (وهذا هو الطريق الذي يفترضه السواح)، أو من الشرق عن طريق بادية الشام باتجاه جنوب فلسطين، فهو لا بد بالضرورة أن يكون قد اصطدم بإحدى هذه القبائل المنتشرة بين بادية الشام وصحراء النقب، أي إلى الشرق، وإلى الغرب من بلاد أدوم.

إن "أقاليم الغرب" حيث تقطن قبائل "مسأي" و"تيمما" و"سبا" و"خيابة" و"بطنة" و"خطي" (أو خط) و"أديبيل" (أو الدييل)، ليست حسب رأينا في المنطقة الممتدة بين بادية الشام وصحراء سيناء، بل هي في المنطقة الممتدة بين نجد والحجاز وتهامة حتى الأطراف الشمالية

^{٢١} نقول "عن بعضها"، لأن السواح يفترض أن هذه القبائل إما مقيمة، أو متجولة بين بادية الشام وصحراء النقب، فإذا كان معظمها إلى الشرق من أرض أدوم، فلا بد أن يكون بعضها إلى الغرب منها في صحراء النقب. وإذا كانت أقاليم الغرب التي يذكرها نص تغلث فلاصر واقعة بين بادية الشام وصحراء النقب، كما يرى السواح، فكيف لم يسجل لنا نص حدد نيراري الثالث أية إشارة -ولو عابرة- إلى وجود مثل هذه الأقاليم والقبائل على مقربة من أرض أدوم. فهل وقعت مصادفة تاريخية بحيث لم تكن أية قبيلة منها في صحراء النقب أثناء اجتياح حدد نيراري لأرض أدوم. لكن تعبير "أقاليم الغرب" كما نرى، يشير إلى مناطق ثابتة توجد فيها هذه القبائل.

اليمن. أي إنها تمتدّ من واحة تيماء في أعالي الحجاز إلى سبأ في شمال شرقي اليمن.

٢- مواطن القبائل الإسماعيلية

ويرى بعض الباحثين أن مسأي (Mas'a) هي قبيلة مسا (Massa) المذكورة في التوراة^{٢٢}. وهي قبيلة إسماعيلية كانت منازلها في شرق موآب، أو في جنوبها الشرقي. ويرأي موسل أنها لم تكن بعيدة جداً عن فلسطين. لكن ذورمه (Dhorme) يرى أنها قبيلة من قبائل العربية الجنوبية، ونحن نوافق هذا الرأي بالرغم من أن معظم الباحثين التوراتيين يستبعدون ذلك قطعاً، لأن القبائل الإسماعيلية لم تكن تسكن العربية الجنوبية^{٢٣}.

وتجدر الإشارة إلى أن "مسا" و"أدبئيل" المذكورتين في نص تغلت فلاصر الثالث هما من أبناء إسماعيل بن إبراهيم من زوجته هاجر المصرية^{٢٤}. وتذكر التوراة لإسماعيل إثني عشر ولداً هم في الواقع أسماء قبائل عربية كانت مواطنها "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"^{٢٥}.

٢٢ تكوين ٢٥: ١٤.

٢٣ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٥٨٠.

٢٤ تكوين ٢٥: ١٣، ١٤.

٢٥ تكوين ٢٥: ١٨.

وذكر في التوراة كذلك في جملة الأقوام والقبائل العربية "المهاجريون" نسبةً إلى هاجر أم إسماعيل، وعليه يمكن اعتبار المهاجرين هؤلاء هم الإسماعيليون أنفسهم^{٢٦}. والمهاجريون كانوا في أيام شاول (أوائل القرن العاشر قبل الميلاد) يسكنون شرقي أرض جلعاد التي اعتبرت وبدون أي مسوغ أنها شرقي الأردن^{٢٧}.

وإذا عدنا إلى النص التوراتي في معرض كلامه عن قصة يوسف بن يعقوب مع إخوته، نقرأ أنهم باعوه إلى قافلة من التجار الإسماعيليين "مقبلة من جلعاد وجماهم حاملة كثيراء ولبساناً ولأذنأ ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر"^{٢٨}.

^{٢٦} قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٩٤. كذلك المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٦١-٤٦٢. وفي أخبار الأيام الأول ١٩: ٥، جاء ذكر المهاجرين بالترافق مع يطور ونافيش (وهما من أبناء إسماعيل، تكويين ٢٥: ١٥). وقد حاربهم بنو إسرائيل و"سكنوا في خيامهم في جميع جهات شرق جلعاد" (أخبار أول ١٠: ٥).

^{٢٧} أخبار أول ٥: ١٠، ١٩، ٢٠/٢٧: ٣١. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٦٤. كذلك حزقيال، ٤٧: ١٦-١٨.

^{٢٨} تكوين ٣٧: ٢٥. وتجدر الإشارة إلى أن الصليبي قد أشار إلى هذه المسألة في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" (ص ١٥٥، ١٥٦)، وذلك في معرض تحليله لجغرافية قصة يوسف في التوراة. أما نحن فإننا نظرحها هنا في سياق بحثنا عن أرض جلعاد التوراتية التي سكن في شرقها الإسماعيليون=

فمن خلال هذا النص نستنتج وبشكل قاطع أن أرض جلعاد، التي تنتج بنوع خاص اللاذن، لا يمكن أن تكون في شرقي الأردن. لأن اللاذن هو من حاصلات اليمن وقد اشتهر به منذ القدم. وكان هيرودوتس يرى أن "بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيب"، لأنها كما قال "البلاد الوحيدة التي تنتج المرّ واللبن والاقاصيا والقرفة واللاذن..."^{٢٩}. أما الجغرافي سترابون الذي يسمي جنوب الجزيرة العربية (أي اليمن) "بلاد الطيوب"، فيقول: "وبلاد السبأي بلاد مزدحمة السكان... وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق، ثمارها المرّ واللبن والقرفة..."^{٣٠}.

وقد ترك لنا مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأبيض (٥٠-٦٠م) وصفاً مجملًا لسوق موزا وهي مخا الحالية في اليمن الواقعة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المندب، يقول فيه: "... وتصدر البلاد حاصلات أرضها: فاخر المرّ والصمغ المعيني"^{٣١}.

=المهاجريون (ومنهم قبيلتا مسا وأدبيل)، وكذلك في إطار مناقشتنا لفراس السواح حول مواطن القبائل التي ذكرت في نص تغلت فلاصر الثالث.
^{٢٩} تاريخ العرب، لفيليب حتي (ذكر سابقاً)، ص ٧٧.
^{٣٠} المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.
^{٣١} المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

فإذا ثبت أن أرض جلعاد التوراتية لا يمكن أن تكون منطقة شرقي الأردن، أي المنطقة الواقعة إلى الشرق من فلسطين، وإذا صح ما نفترضه من أن جلعاد التوراة التي تنتج الكثيراء (النكعة أو صمغ القتاد)^{٣٢} والبلسان واللادن، هي جلعاد اليمن، فإن بني إسماعيل (أو المهاجرين) لا بد أنهم كانوا في زمن بني إسرائيل يقيمون في المنطقة الممتدة من شرق اليمن (أو من نجران) إلى الشمال باتجاه عسير الداخل وأطراف الحجاز ونجد.

ثم أن قراءة العبارة التوراتية القائلة بأن مساكن بني إسماعيل تمتد "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"، في ضوء النصوص التوراتية

^{٣٢} وردت كلمة "كثيراء" في الترجمة الانجيلية للكتاب المقدس الصادرة عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي. وفي الطبعة الكاثوليكية (دار المشرق، بيروت ١٩٨٦) وردت كلمة "نكعة". وفي الترجمة اليسوعية، وهي إحدى الترجمات الحديثة للكتاب المقدس، صادرة عن جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق، بيروت ١٩٨٩. وردت عبارة "صمغ قتاد"، وربما كان صمغ شجر الطلح الذي ينبت في البادية العربية ويستخرج منه الصمغ العربي، الذي يعد من أهم حاصلات عسير. (أنظر تاريخ العرب، لفيليب حنسي، ص ٤٥-٤٦/ كذلك "صفة جزيرة العرب"، للهمداني، ص ٣٠١). وفي لسان العرب (ج ٢، ص ٥٣٢) الطلح له برمة طيبة الريح وليس في العضاء أكثر صمغاً منه. أو أنه صمغ شجر القتاد، وهو "شجر شاك صلب ينبت بنجد وتهامة" (لسان العرب، ج ٣، ص ٣٤٢). وفي الحالتين، لا الطلح ولا القتاد ينبتان في جلعاد الشامية.

الأخرى التي تتحدث -وبشكل خاص- عن "حويلة" هذه، سوف يلقي مزيداً من الضوء على المسألة التي نحن بصددتها، أي مسألة ما إذا كانت مساكن بني إسماعيل (ومنهم مسا وأدبيل) بين بادية الشام وصحراء النقب، أم في أعماق الجزيرة العربية؟

إن حويلة الواردة في التوراة، كانت أرضاً تخص بني يقطان وبني كوش على السواء. فبني كوش كما يذكر سفر التكوين (١٠ : ٧) هم "سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا". ويقطان ولد "الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهديرام وأوزال ودقلة وعوبال وأيمايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب". وكان مسكنهم "من ميشا حينما تجيئ نحو سفار جبل المشرق" (تكوين ١٠ : ٢٦-٣٠). ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن حويلة هي "مقاطعة في بلاد العرب، يسكن بعضها الكوشيون، ويسكن البعض الآخر اليقطانيون، وهم شعب سامي. والصلة بين حويلة وحضرموت وأماكن أخرى تشير إلى موقع في وسط البلاد العربية أو جنوبها. ويفضل البعض أن يحققها بمنطقة خولان في القسم الغربي من بلاد العرب شمالي اليمن. ولا يعرف إلى أي حد كانت تمتد الحويلة شمالاً، ومن قصة حرب شاول مع العمالقة قد نستنتج أن قسماً من الصحراء العربية يمتد عدة مئات من الأميال شمال اليمامة، يحمل إسم حويلة". (صموئيل أول ١٥ : ٧. وتكوين ٢٥ : ١٨)^{٣٣}.

^{٣٣} قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٢٩-٣٣٠.

وعن "رعمة" الواردة في تكوين ١٠: ٧، يرى قاموس الكتاب المقدس أنها "مقاطعة في الجنوب الغربي من بلاد العرب، كانت تتجر مع صور بالطيب والحجارة الكريمة والذهب"^{٣٤}. وهي متوافقة مع سبأ عند حزقيال (٢٧: ٢٢) كما في سفر التكوين، مما يوحي أنها في موقع قريب من سبأ اليمنية.

وفي سفر التكوين (٢: ١٠-١٢) نقرأ: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. إسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الخويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع". وتفيد القواميس العربية (كما قاموس الكتاب المقدس) أن المقل (وبالعبرية بدخ) عبارة عن صمغ أو مضاع يستخرج من شجرة الدوم (وتسمى أيضاً شجرة المقل)، وهي من نبات شبه الجزيرة العربية والهند وإفريقية (مصر والسودان). وقد ذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب" تحت باب "نبات أرض نجد من الشجر

^{٣٤} المرجع السابق، ص ٤٠٦.

كله"^{٣٥}، كما ذكر موضعاً في اليمن يُدعى "ذو الدوم" وهو وادي في الجوف من أوطان نهم قرب وادي خب^{٣٦}.

والجزع (وبالعبرية شوهام) حجر كريم يميل لونه إلى الحمرة. وقد ذكر الهمداني من معادن الجواهر "معدن الرضراض"، ويقع بعد مأرب إلى الجوف شرقي مخلاف خولان العالية^{٣٧}. وفيه إلى جانب الفضة

^{٣٥} صفة جزيرة العرب، تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٧، ص ٣٠١.

^{٣٦} المرجع السابق، ص ٣١٤. ولا شك أن الاسم "ذو الدوم" نسبة إلى شجر الدوم الذي يوجد في منطقة الجوف اليمنية. ثم أن "الصمغ المعيني" الذي ذكره صاحب كتاب الطواف حول البحر الأرتيري (أنظر ص ٤٧)، والذي اشتهرت به دولة معين اليمنية، هو في الراجح صمغ شجر الدوم أو المقل الذي ذكر في التوراة. هذا، ودولة معين اليمنية كان مركزها في الجوف، وقد ذكر الهمداني في "الصفة" عن مالك بن حريم قوله:

سنحني الجوف ما دامت معين بأسفله مقابلة عرادا" (أنظر ص ٣١٧).
^{٣٧} ويعلق محقق "الصفة" (ص ٣٦٤، هامش رقم ٢) على ما ذكره الهمداني بقوله: "معادن البقران (بالضم) والعقيق والجزع في الأماكن المذكورة أشهر من غيرها وفي غيرها، وكانت منتشرة الاستعمال متداولة في البلدان النائية، وكان يتهدى بها ويفتخر". ويذكر الهمداني أودية الرضراض قرب "حرب" التي تسمى حريب نهم (وهي حريب الغرامش أو حريب نهم والرضراض) نسبة إلى قبيلة نهم التي تنزل فيها، وهي قبيلة من بكيل. وقد أشرنا منذ قليل =

والحديد "فصوص البقران، ويبلغ المثلث بها مالا، وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود. والبقران ألوان، ومعدنه بجبل أنس"^{٣٨}.

وإنطلاقاً مما تقدم، فإننا نرى أن أرض الحويلة حيث المقل وحجر الجزع، كانت على الأرجح في منطقة الجوف اليمنية شرق خولان، مع أن المقل والجزع والذهب قد يوجد في أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية. لكننا نرجح الجوف كموقع أكثر احتمالاً من غيره للحويلة التوراتية، ليس فقط للاعتبارات التي تقدم ذكرها، بل للأدلة التالية التي سنوردها بالإضافة إلى ما سبق:

أ - إن بني يقطان الذين سكنوا في أرض الحويلة (بالإضافة إلى بني كوش)، كانوا ثلاث عشرة قبيلة كما جاء في سفر التكوين. ومن المرجح أن إحدى هذه القبائل اليقطانية (وليس كلها)، قد سكنت أرض الحويلة. فالابن الثاني عشر ليقطان يحمل اسم "حويلة"،

إلى أن وادي الدوم في الجوف (حيث المقل) هو من مواطنهم كذلك. ويذكر الهمداني أيضاً قرية في الرضراض تدعى "سامك"، وهي قرية المعدن. ويشير المحقق إلى أنها لا تعرف اليوم (أي في زمنه). (أنظر ص ١٥٢، هامش رقم ١). ويشير ياقوت في معجم البلدان (ج ٦، ص ٨٦) إلى ظفار اليمن وهي قرب صنعاء، وإليها ينسب الجزع الظفاري.

^{٣٨} ضفة جزيرة العرب، ص ٣٦٤. كذلك تاريخ العرب قبل الإسلام لجرسي زيدان، ص ١٤٦، حيث يربط ذهب خولان بالحويلة التوراتية.

وهذا الاسم إما أنه جاء نسبة إلى الأرض التي توطنتها هذه القبيلة، أو أن حويلة قد أعطى اسمه للأرض التي نزل فيها مع عشيرته -وهذا هو الراجح- لأنه في الغالب قد سميت المواقع والمواطن الجغرافية بأسماء القبائل والعشائر والبطون التي نزلت فيها، فنقول مثلاً: ديار خولان، ديار بكر، أرض الجعافرة، أرض كنعان. ومهما يكن من أمر الاسم، فإن بني يقطان كانت مساكنهم "من ميشا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق"، ولا بد أن حويلة كانت ضمن هذين الموقعين اللذين تحددهما التوراة في إطار الامتداد الجغرافي لليقطانيين.

ب - وميشا الحد الأول لليقطانيين^{٣٩} هي "موزا" التي ذكرت في كتاب "الطواف حول البحر الأبيض" (٥٠-٦٠م)، والتي ذكرها بطليموس في خريطته لشبه الجزيرة العربية^{٤٠}. وربما كانت "مخا"

^{٣٩} يرى قاموس الكتاب المقدس (ص ٩٣٩) أن "ميشا" تقع على التخم الشرقي لأرض اليقطانيين^{١٩}. ولست أدري كيف تكون حدود اليقطانيين من الشرق وإلى الشرق؟ أما جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، فيعتبرها الحد الشمالي لأرض اليقطانيين، بحيث يكون موقعها في رأس الخليج العربي، أو في نجد، أو في بادية الشام. "أو أن يكون في مكان آخر في غير هذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة، كأن يكون في شمال اليمن مثلاً، وبذلك يستقيم التحديد كل الاستقامة مع ما هو شائع ومعروف من أن أرض اليمن وبقية العربية الجنوبية هي أصل موطن اليقطانيين" (أنظر ص ٤٢٣، ٤٢٤).

^{٤٠} أنظر "تاريخ العرب"، لحفي وجرجي وجبور، ص ٨٠-٨١.

الميناء اليمني على ساحل البحر الأحمر شمالي باب المنذب^{٤١}، أو كانت "موزع" المدينة اليمنية القديمة الواقعة شمال شرق المخا^{٤٢}.

ج- أما سفار فقد ذكرت في آداب اليونان والرومان تحت إسم "سيفار" أو "سفار"، وهي في الراجح ظفار عاصمة الدولة

^{٤١} يشير فيليب حتي في "تاريخ العرب" إلى أن موزا التي ذكرت في كتاب الطواف حول البحر الأريتري هي مخا الميناء اليمني. (أنظر ص ٨١). أما أن تكون مخا هي "ميشا" التوراتية، فهو لا يقول ذلك صراحة، بل يلمح تلميحاً. (أنظر ص ٩٠).

^{٤٢} نرجح أن تكون "ميشا" هي "مَوْزَع" (بفتح الميم والزين وتسكين الواو) وليس "مخا". وموزع مدينة قديمة ما زالت عامرة أهلة بالسكان، وإن كانت كارثة السيول ما برحت تنتقص من أطرافها. وتقع في الشمال الشرقي من ميناء المخا بمسافة ثلاثين كيلاً. وقد عثر في بعض خرائبها على مسند حميري. ويذكر محقق "صفة جزيرة العرب" بأنه إطلع بنفسه على مسند مبني به في أسفل أحد دعائم جامعها الأثري، ولا تعرف كتابته لقدمها. وفي أعلى واديها العظيم كان يقوم سد كبير لا تزال أطلاله شاخصة. (الصفة، ص ٧٢، هامش رقم ٢). ويذكر ياقوت في "معجم البلدان"، أن كلمة "موزع" شاذة القياس لغوياً لأن كل ما كان من الكلام فاؤه حرف علة، فإن الفعل منه مكسور العين مثل مَوْعِد ومُورِد ومُوصِل. (ج ٥، ص ٢٢١). من هنا نرى أنها هي التي ذكرت في كتاب "الطواف" وفي جغرافية بطليموس تحت إسم "MYIA" (باليونانية)، MOZA (باللاتينية)، ولم يكتب حرف العين لعدم وجوده صوتياً، والأرجح أن كلمة "موزع" العربية هي تحريف للكلمة العبرية "ميشا" أو "ميشع".

الحميرية الواقعة على بعد مئة ميل إلى الشمال الشرقي من مخا، على الطريق المؤدية إلى صنعاء. ولا تزال آثارها ماثلة للعيان على قمة تل مستدير بجوار بلدة يرم الحديثة^{٤٣}. ولعل في هذا ما يوضح عبارة سفر التكوين "من ميشا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق". ويعتبرها جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" "الحد الجنوبي لبلاد اليقطانيين، وذلك باجماع آراء علماء التوراة"^{٤٤}. وهذا الرأي غير المسند إلا بإجماع علماء التوراة، لا يتفق في نظرنا مع منطق النص التوراتي القائل بوضوح لا لبس فيه أن سفار تحيي إليها باتجاه المشرق وليس الجنوب. ويختلف الباحثون التوراتيون في تحديد الموقع المفترض لسفار. فمنهم من يرى أنها ظفار عاصمة الدولة الحميرية القديمة، ومنهم من يفضل أن يقرنها بظفار حضرموت لشهرتها وقدمها^{٤٥}. لكننا نرى أن هذا الخلاف يبقى محصوراً في إطار جغرافية جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بين اليمن وحضرموت. وسواء كانت سفار ظفار حضرموت (بالضم) أم ظفار اليمن (بالفتح)، فإن مساكن بني يقطان تبقى -كما يرجح- من مخا غرباً وإلى الشرق باتجاه عمان.

^{٤٣} أنظر "تاريخ العرب"، لفيليب حتي، ص ٩٠. كذلك "الصفة" للهمدانسي، ص ٣٦٥.

^{٤٤} أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٢٣.

^{٤٥} المرجع السابق، ص ٤٢٤. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٦٧.

د - وقد رجحنا منذ قليل، أن تكون سفار هي ظفار عاصمة الدولة الحميرية، وذلك لأنها ذكرت في آداب اليونان والرومان تحت نفس الاسم الوارد في سفر التكوين. ولأنها تقع على تـل كما يقوله النص التوراتي بالتحديد (سفار جبل المشرق). فلو كان كاتب السفر يقصد بها ظفار حضرموت، لما قال -في اعتقادنا- سفار جبل المشرق، بل لكان اكتفى بالقول سفار المشرق. فظفار التي كانت قديماً أهم مدن حضرموت والمركز الرئيسي لتجارة اللبان (وهي ذُفر اليوم من مقاطعات الساحل)، لم تكن تقع على تل أو جبل بل كانت موقعاً ساحلياً^{٤٦}.

هـ - ثم إن ظفار حضرموت هي على الأرجح "أوفير" التوراتية^{٤٧} التي كانت تأتي إليها سفن سليمان وحيرام (ملك

^{٤٦} أنظر "معجم البلدان"، لياقوت الحموي، طبعة مصر ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م، ج٦، ص ٨٦ وما بعدها.

^{٤٧} هذا وقد اشتهرت أوفير -بنوع خاص- بذهبها (أخبار أول ٢٩: ٤ / أيوب ٢٢: ٢٤، و٢٨: ١٦ / مزمور ٤٥: ٩ / أشعيا ١٣: ١٢). وفي إرميا ١٠: ٩ ودانيل ١٠: ٥، وردت عبارة "ذهب أوفاز". وقد غير التلمسود والترجمة السريانية كلمة "أوفاز" في هذين الموضعين إلى أوفير. (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٣٨). وأوفاز على الأرجح هي أوفير ذاتها لورودها مترافقة مع ترشيش في إرميا ١٠: ٩. وسفن ترشيش كانت تذهب إلى أوفير في طلب الذهب (ملوك أول ٢٢: ٤٨؛ بالمقارنة مع أخبار ثاني ٢٠: ٣٥-٣٧).

صور التوراتية)^{٤٨} طلباً للذهب وخشب الصندل والحجارة الكريمة (ملوك أول ٩: ٢٧-٢٨، ١٠: ١١ / أخبار ثاني ٩: ١٠). وقد وردت "أوفير" كاسم لأحد أبناء يقطان في تكوين ١٠: ٢٩، بالتزافق مع حضرموت وشبا^{٤٩}، مما يزيد من احتمال كونها ظفار حضرموت وليس

=وكلمة أوفاز (خاصة إذا قرئت بالراء بدل الزين) متقاربة لفظياً -كما أوفير- من الكلمة العربية ظفار. (وحول إمكانية المقابلة بين حرف الزين العبري وحرف الراء العربي، مثل: بزق (عبرياً) أي برق بالعربية، أنظر المعجم الحديث، عربي-عربي، لربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥، ص ٢٠-٢١).

^{٤٨} إننا نستعمل تعبير صور التوراتية لتمييزها عن صور اللبنانية. وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق تحت عنوان: "صور التوراتية وجبل"، محاولين الإجابة عما إذا كانت صور التوراتية هي ذاتها صور اللبنانية أم لا؟

^{٤٩} وردت شبا في جملة أبناء يقطان. وفي تكوين ٢٥: ٢ يرد "شبا" الابن الأول ليقشان بن إبراهيم من زوجته قطورة. كذلك "شبا" من أبناء رعمة الابن الرابع لكوش، والابن الأول لكوش هو "سبا" بالسین المهملة، (تكوين ١٠: ٧). وفي ملوك أول ١٠: ١، ٤، ١٠، ١٣ / وأخبار ثاني ٩: ١، ٣، ٩، ١٢ / وأيوب ٦: ١٩، هي شبا في الأصل العبري رغم أنها مترجمة سبأ. وعليه فإننا نرى أن النص العبري يذكر شبا وسبأ، وقد اعتبرنا تقليدياً على أنهما تشيران إلى إسم واحد أو موضع واحد (والشين العبرية يقابلها في العربية شين أو سين) هو سبأ اليمنية أو السبيئون. (قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٥٢، ٥٠٤). لكننا نميل إلى الاعتقاد بأنهما تشيران إلى موضعين مختلفين، فحيث ترد بالسین فهي تشير إلى سبأ اليمنية، وحيث ترد بالشين =

ظفار اليمن^{٥٠}.

و - وبصدد الأسماء الأخرى التي وردت في لائحة أبناء يقطان، وهي على ما نرى أسماء قبائل وأماكن. فقد عاجلها بإسهاب

فهو تشير على الأرجح إلى شبوة (أو شباه) التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١٧٥) وهي مدينة لحمير بين يبحان وحضرموت. ولما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت وبهم سميت شبام (قاعدة حضرموت فيما بعد)، وكان الأصل في ذلك شباه فابدلت الميم من الهاء. وقد كانت شبوة قاعدة إقليم حضرموت في العصر الحضاري (من القرن الخامس إلى الأول قبل الميلاد) ومركزاً رئيسياً لتجارة اللبان (البخور). وجاء ذكرها في المساند الدهريّة وفي الآداب اليونانية باسم "سبوا". وتقع شرقي مأرب بمسافة ثلاثة أيام. وقد ورد عند إرميسا ٦: ٢٠. "لماذا يأتي اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة". (وأشعيا: ٦٠: ٦) تشير هنا إلى أن أوفير (أي ظفار حضرموت) و حضرموت وشبا (أي شبوة أو شباه) تقع خارج الإطار الجغرافي الذي نفترضه لمساكن بني يقطان (من موزع إلى ظفار اليمن)، أي باتجاه الشرق نحو عمان. فليس يمنع أن تكون القبائل اليقطانية قد توسعت شرقاً وشمالاً على إثر ازدياد بطونها وفروعها وضيق المراعي، مواسيها. وفي تقديرنا أن كتبة التوراة قد حشروا القبائل اليقطانية الثلاث عشرة في حدود جغرافية ضيقة نسبياً، لأن ما دونه في أسفارهم "إنما هو حاصل ما بلغ إليه علمهم في ذلك الزمن من أمر هذه القبائل. فلم تكن معارف أولئك الكتبة يومئذ أكثر من هذا الذي ذكره ودونوه على نحو ما وصل إلى علمهم ومسامعهم". (أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص ٤٢٤).

جواد علي في كتابه: "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دون أن يقدم رأياً قاطعاً في تعيين مواقعها وحدودها الجغرافية^{٥١}. وسنكتفي هنا بالإشارة إلى اثنين من هذه الأسماء، هما أوزال (أو ازال) وحويلة.

أما أزال، فقد ذكر أهل الأخبار أن صنعاء عاصمة اليمن كان اسمها في الجاهلية "أزال"^{٥٢}. وذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب"، حيث يقول المحقق أن صنعاء لا زالت تسمى بأزال إلى يوم الناس، وقد جاء ذكرها مصرحاً به في المسند الذي عثر عليه في قرية حاز. كما أن الإمام نشوان بن سعيد قال: إنها تنسب إلى أزال بن يقطان (قحطان بن عابر بن شالح)^{٥٣}. وهناك "أزال، أخرى في اليمن هي مقاطعة من آل عمار من ذي رعين"^{٥٤}.

^{٥١} أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ص ٤٢٤ وما بعدها.

^{٥٢} معجم البلدان، لياقوت، ج ١ ص ٢١٤ / ج ٥ ص ٣٨٧.

^{٥٣} صفة جزيرة العرب، ص ٨١. ويقول الهمداني كذلك أن سام بن نوح هو أول من ارتاد حقل صنعاء بعد الطوفان (الفرق المتعالي) (الصفة، ص ٣٥١). المرجع السابق، ص ٨١ هامش رقم ٣. كذلك ص ١٤٠.

^{٥٤}

٣- حويلة وشور في النوراة

وفيما يتعلّق بحويلة فإننا أشرنا قبل قليل أنها لابدّ أن تكون ضمن الإطار الجغرافي العام لامتداد بني يقطان. إذ لا يعقل أن تكون مساكن اليقطانيين في العربية الجنوبية^{٥٥}، وتكون حويلة التوراتية في بادية الشام أو على مقربة من خليج العقبة^{٥٦}. وقد ذهب البعض إلى أنها في أواسط جزيرة العرب، أو في منطقة جبل شمر، ورأى "كلاس" أنها في اليمامة^{٥٧}. وفي رأيي أن افتراض اليمامة أو أواسط جزيرة العرب عموماً، يبدو أكثر معقولة من افتراض بادية الشام أو خليج العقبة. فلو فرضنا أن قبائل اليقطانيين قد توسعت خارج إطارها الجغرافي (وهذا ما ألحنا إليه

^{٥٥} يتفق الأخباريون العرب، عموماً، على أن مواطن بني يقطان كانت في اليمن وبقية العربية الجنوبية. ويذكر الطبري في تاريخه أن بني يقطن لحقّت باليمن، فسميت اليمن حيث تيامنوا. (دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٩، ج١، ص ٢٠٩). ويشير الهمداني في "صفة جزيرة العرب" إلى بلد قحطان في اليمن (ص ٢٥٢).

^{٥٦} المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣١.

^{٥٧} المرجع السابق، كذلك ص ٤٣١.

قبل قليل)، فإن المنطق يقضي بالقول أن بعضاً منها قد انتقل للسكن والرعي شرقي موطنه الأساسية باتجاه عمان واليمامة، أو شمالاً باتجاه نجد والحجاز، قبل أن ينتقل إلى بادية الشام أو صحراء النقب^{٥٨}.

ويذكر الهمداني في "الصفة" قرية في اليمن تدعى "حوالة"، وهي في وادي نخلة في جنوب غرب اليمن على مقربة من حيس^{٥٩}. كما يذكر بني حوال في مخلاف أقيان الذي يسمّى أيضاً مخلاف شبام. وشبام هذه "قرية بها مملكة بني حوال"^{٦٠}، كان اسمها قديماً "محبس" ويسكنها مع الحوليين آل ذي جذن وبقايا الأقيانيين^{٦١}. وفي الجزء الثامن من "الأكليل" يذكر أنه عثر في قصر يشيع (غربي شمال ريدة) على مساند حميرية ورد فيها إسم الحوليين الحميريين^{٦٢}.

لكن كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، يرى أن "حويلة التي قيل أن "فيثون" يحيط بها، هي اليوم قرية

^{٥٨} يقول الهمداني في الصفة: "فلما كثرت قحطان وضاعت بها فجاجها، ساق بعضهم بعضاً فانتجعوا أرضاً فارضاً"، (أنظر ص ٣٧٦).

^{٥٩} صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠، ١٣١.

^{٦٠} المرجع السابق، ص ٢٣١.

^{٦١} المرجع السابق، ص ٢٣٢.

^{٦٢} المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣. كذلك "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص ٤٣١.

حوالة (حوله) في سراة غامد إلى الشمال من النماص^{٦٣}. وفي معرض بحثه عن جرار التي تقع بين قادش وشور حسب سفر التكوين ٢٠: ١، يحدد

^{٦٣} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٧٣-٢٧٤. وتجدر الإشارة إلى أن لنا على تحديد الصليبي لجنة عدن في وادي بيشة، بعض الملاحظات التي تخرج عن نطاق هذه الدراسة، لذا سنوجزها فيما يلي: في بحثه عن أرض نود الواقعة شرقي عدن، والتي خرج إليها قايين هارباً من وجه الرب (يهوه) عقاباً له على قتل أخيه هابيل (تكوين ٤: ١٦)، لم يجد الصليبي مكاناً بهذا الاسم (أي نود) في شبه الجزيرة العربية كلها، إلا في شمال شرقي اليمن حيث هناك قرية خربة إسمها "نودة" ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١١٥، ٢٤٥). ومع أن هذه القرية الخربة تحمل نفس الاسم التوراتي لأرض نود دون أي تعديل، فقد استبعد الصليبي أن تكون أرض نود في منطقة شرقي اليمن، لأنها لا تتلاءم مع الإطار الجغرافي الذي يفترضه لجنة عدن التوراتية. لذا عمد إلى الاجتهاد في تفسير كلمة "نود" بالعودة إلى جذرها العبري، فوجد أنهم تعني "تاه أي تنقل من مكان إلى آخر دون جدوى" (أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٧٨). وعليه فقد أصبحت أرض نود "أرض التيه والقفار"، إلى الشرق من وادي بيشة حيث قفار نجد والصحراء العربية. لكن النص التوراتي يقول بكل وضوح أن قايين خرج إلى أرض نود وسكن فيها عمر مدينة (أو قرية) ودعاها على اسم ابنه البكر "حنوك"، فهل تكون أرض نود أرض التيه والقفار؟ وفي تقديرنا أن الصليبي في تحليله لقصة "جنة عدن" في ضوء جغرافية وادي بيشة وروافده، يستبعد أية إمكانية أخرى قد تكون أكثر صواباً. فلماذا لا تكون جنة عدن في اليمن (في مأرب، خولان أو الجوف مثلاً) حيث هناك أكثر من جنة أو جنيّة ذكرها الهمداني في الصفة-

"شور" بقرية "آل أبو ثور" (ثور، قارن بالعربية شور) في وادي بيشة^{٦٤}. وعليه فإن بني إسماعيل الذين كانت مساكنهم "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"، قد توطنوا -حسب جغرافية الصليبي- منطقة شرقي السراة في عسير الداخل، من سراة غامد شمالاً إلى وادي بيشة جنوباً.

وفي رأينا أن تحديد الصليبي لحويلة وشور يحتاج إلى إعادة نظر وتقويم، إستناداً إلى المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي. من هنا فإن لنا على هذا التحديد الملاحظات التالية:

أولاً: إن نص التكوين ٢٥: ١٨ يحدد مساكن بني إسماعيل من "حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور". فهو هنا يتحدث عن ثلاثة أمكنة هي: "حويلة" و"شور" و"أشور"، وليس عن اثنين فقط. والمكان الثالث أي "أشور" -وكما يفهم من النص- يُفترض أن يكون

= (ص ١٣٦، ١٥٠، ٢٤٤)، كما ذكر وادي جيحان (قابل مع جيحون التوراتي المحيط بأرض كوش) إلى الشرق من رداع (أنظر ص ١٩٤)، وهو غير بعيد عن المكان الذي نفترضه لحويلة. (أنظر ص ٥١، هامش رقم ٣٧).

٦٤ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٦٤، ٩٨. وقرية "آل أبو ثور" تقابل عملياً المصرفة في منطقة خميس مشبط، والتي يفترض الصليبي أنها مصر التوراتية. وتجدر الإشارة إلى أن "شور" التكوين ١٦: ٧، يحددها في "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (ص ٦٤) بقرية "بني ثور" في وادي بيشة. ويحددها في "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" (ص ١٤٣) ببلدة "بني سار" شرقي سراة زهران، إلى الشمال من الأولى بحوالي ٣٠٠ كيلومتر؟

في نقطة أبعد من "شور"، وفي الاتجاه نفسه^{٦٥}. لكن الصليبي، وفي تحليله لجغرافية قصة "جنة عدن" التوراتية، يرى أن أشور (عشور) التي يجري إلى الشرق منها نهر حدافل (حدقل) -النهر الثالث من أنهر الجنة- هي قرية بني ثور (ثور)، وتسمى أيضاً آل أبو ثور^{٦٦} في وادي بيشة قرب خميس مشيط. من هنا نرى أن "شور" و"أشور" هما عند الصليبي المكان نفسه، والمحدد بقرية "آل أبو ثور"، وهذا لا ينسجم إطلاقاً مع منطق النص القائل: "إلى شور... حينما تجيء نحو أشور". فلو كان الكاتب يقصد بـ "شور" و"أشور" نفس المكان، لكان اكتفى بالقول: "إلى شور التي أمام مصر"، ولما أضاف عبارة "حينما تجيء نحو أشور" (وفي بعض الترجمات "وأنت آت نحو أشور") ..

ثانياً: في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، وفي معرض تحليله لقصة خروج بني إسرائيل من مصر (مصرإيم) وتيهيم في بركة سيناء (سيني)، يرى الصليبي أن بركة "شور" التي ارتحلوا إليها بعدما خرجوا من "يم سوف" (بحر صافي)^{٦٧}، هي اليوم "قرية شري بوادي خب

٦٥ سوف نعود إلى هذه المسألة عند تحديدنا لـ "شور". الحد الثاني لمساكن بني إسماعيل، وفي سياق البحث عن مصر التوراتية استناداً إلى النص التوراتي بالذات التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٦٦ تجدر الإشارة إلى أننا نتفق مع الصليبي، وفي الإطار العام لتحليله قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصرإيم التي ليست مصر وادي النيل، وعبورهم يم سوف الذي من غير الممكن أن يكون البحر الأحمر. فالذي شق البحر-

على بعد ١٢٠ كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب من وادي حبونا^{٦٨}. ويفهم منه أن "شور" هذه الواردة في خروج ١٥: ٢٢، هي غير "شور" الواردة في

ليس موسى بعصاه، وإن كان النص في خروج ١٤: ١٦ يقول: "إرفع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشقّه". فالبحر قد انشق في الواقع بريح شرقية شديدة طوال الليل جعلت فيه جفافاً (١٤: ٢١). وليست هناك أية ريح شرقية تستطيع أن تجفف (أو تشقّ) البحر الأحمر، إلا إذا كان المقصود — "يم سوف" بحر آخر هو على الأرجح منطقة مستنقعات. ولهذا السبب اعتمدت الطبعة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدس، ترجمة أخرى لعبارة "يم سوف" غيرت الترجمة القديمة "بحر القلزم" (أي البحر الأحمر) إلى "بحر القصب" مضيئة في الهامش (خروج ١٣: ١٨، ص ١٧٥، هامش رقم ٧) الشرح التالي: "هذه العبارة إضافة ظاهرة. كان النص القديم يقتصر على معلومات عامة، وهي أن بني إسرائيل سلكوا طريق البرية نحو الشرق أو نحو الشرق الجنوبي. ومعنى عبارة "يم سوف" وتحديد موقعه أمران غير مؤكدين، فالفصل الرابع عشر يكفي بذكر البحر. والنص القديم الوحيد الذي يذكر "يم سوف" أو "بحر القصب" (بحسب اللغة المصرية) كموقع للمعجزة هو خروج ١٥: ٤، وهو نص شعري. وإذا فرضنا أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر وادي النيل، فهل نستطيع أن نجد إلى الشرق منها، أو إلى الشرق الجنوبي، منطقة مستنقعات أو بحر قصب؟ إن قصة الخروج من أرض مصر يمكن فهمها بشكل أكثر معقولة في إطار جغرافية غرب شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا في جنوب عسير وشمال اليمن وما يليها إلى الشرق الجنوبي. (أنظر الصليبي خفايا التوراة، ص ٢٣١).

خفايا التوراة، ص ٢٣٥.

تكوين ٢٠: ١، و١٦: ٧، و٢٥: ١٨. لكن، وبالمقارنة — خاصة — بين تكوين ٢٥: ١٨ (كذلك صموئيل أول ١٥: ٧) وخروج ١٥: ٢٢، نستنتج أن "شور" هي واحدة في كلا النصين. لأنها في التكوين تقع قبالة مصر، وفي الخروج كذلك. فعندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر بقيادة موسى، ارتحلوا من رعسيس إلى سكوت "وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قرية. لأن الله قال لثلاثين الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصرائيم. فأدار الله الشعب في طريق برية "يم سوف"... وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية" (خروج ١٣: ١٧-٢٠). ثم رجعوا ونزلوا أمام فم الحيرت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون. مقابله عند البحر (أي يـم سوف). (خروج ١٤: ١، ٩). ثم عبروا يـم سوف وخرجوا إلى بريـة "شور" (خروج ١٥: ٢٢).

إن برية يـم سوف التي نزلوا في طرفها في "إيثام" هي بلا أدنى شك برية شور الواقعة قبالة أرض مصرائيم كما في تكوين ٢٥: ١٨. وبالمقارنة كذلك بين خروج ١٣: ٢٠ / ١٥: ٢٢، وعدد ٣٣: ٥ - ٨. نستنتج أن برية شور تُسمى أيضاً برية إيثام. ففي سفر العدد ٣٣: ٨، ارتحل بنو إسرائيل "من أمام الحيرت وعبروا في وسط البحر إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية إيثام ونزلوا في مارة". فإذا كان بنو إسرائيل حال خروجهم من مصرائيم قد تجمعوا في "سكوت" (خروج ١٢: ٣٧)، ومنها مباشرة إلى إيثام في طرف برية شور (أو برية يـم سوف)،

فهل تكون "شور" هذه هي غيرها "شور" التكوين ٢٥: ١٨ الواقعة قبالة مصر؟ وهل يعقل أن تكون هناك شور في وادي بيشة، وشور أخرى في وادي خب باليمن تبعد عن الأولى ما لا يقل عن ٢٥٠ كيلومتراً؟ وإذا سلمنا بأن شور الخروج هي في وادي خب باليمن، فهل يعقل أن يسير فيه بنو إسرائيل ثلاثة أيام ولم يجدوا ماءً للشرب، طالما أن فيه "نجل وزروع"، وبأعلاه "طشر وأساء، ماءان عدنان وبئر ذي بئر"^{٦٩}. ففي ثلاثة أيام من المسير، وبسرعة ٢٠ إلى ٣٠ كيلومتر في اليوم، يمكن قطع وادي خب بأكمله أو بمعظمه على أقل تقدير.

ثالثاً: وانطلاقاً من تحديد الصليبي لحويلة وشور بين سمرامة غامد شمالاً وقرية بني ثور في وادي بيشة جنوباً، نرى أن مساكن بني اسماعيل تقع في منطقة شرقي الأردن (عبر هـ - يردن)^{٧٠} أي شرقي

^{٦٩} أنظر "صفة جزيرة العرب"، للهمداني، ص ١٦٣، ٢٥٤. والنجل في اللغة هو الماء السائل أو النزل الذي يتحلب من الأرض. والماء العذ هو الماء الجاري الذي لا ينقطع.

^{٧٠} يعتبر الصليبي أن الأردن التوراتي (هـ - يردن) ليس كما أخذ تقليدياً بأنه يشير إلى نهر الأردن في فلسطين، بل يعني الجرف أو القمة أو المرتفع. وفي المبني عبر هـ - يردن (عبر أو ما بعد الـ يردن)، الذي أخذ حتى الآن على أنه يعني "عبر الأردن" (أي شرق الأردن)، تشير هـ - يردن بلا استثناء إلى الجرف الرئيسي لسرعة عسير الجغرافية. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٣٤). وانطلاقاً من كوننا نوافق الصليبي على هذا الرأي، فإن السياق =

جبال السراة في عسير الداخل. وهذه المنطقة تدخل ضمن أرض الوعد حسب تحديد الصليبي لها استناداً إلى الوعد المذكور في سفر العدد ٣٤: ٣-١٢^{٧١}. فالحدود الشرقية (٣٤: ١٠-١٢) للأرض "الموعودة" لموسى "هي الحد الفاصل بين المناطق الزراعية المأهولة من داخل الحجاز وعسير، وما يليها من البراري والقفار إلى الشرق". لكن النصوص التوراتية لم تذكر أن الاسماعيليين والهاجرين كانوا في أرض كنعان بتخومها عند دخول الاسرائيليين إليها. ففي وعد الرب "يهوه، لأبرام العبراني (تكوين ١٥: ١٨-١٩): "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر (نهر مصر) إلى النهر الكبير نهر فرات (نهر فرات)"^{٧٢}، لم يرد ذكر الاسماعيليين بين

العام لتأويله الجغرافي لحدود الأرض الموعودة يؤدي حتماً إلى القول بأن بني اسماعيل كانوا ضمن هذه الحدود، طالما أن حويلة وشور تقعان شرق الأردن حسب تحديده لهما.

^{٧١} أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٦٧-٢٦٨، والخريطة ص ٢٦٩. نهر مصر، وكما أخذ في كل الدراسات التوراتية الكلاسيكية دون استثناء، يشير إلى نهر النيل المصري. ونهر فرات يشير إلى الفرات العراقي. وإذا سلمنا بهذا التحديد الجغرافي للأرض الموعودة "من النيل إلى الفرات"، فسوف يبرز أمامنا الأشكال التالية: لماذا لم تذكر التوراة الاسماعيليين من بين الشعوب العشرة القاطنة في هذه الأرض، طالما أن مساكنهم كانت من حويلة إلى شور، أي من بادية الشام (أو من الفرات الأدنى) إلى صحراء النقب كما يقول فراس السواح (أنظر ص ٤٢)؟. أوليس الفرات الأدنى وبادية الشام وصحراء النقب ضمن هذه الأرض؟! وحتى إذا قيل بأن الهاجرين =

الشعوب العشرة التي كانت من السكان الأصليين للأرض الموعودة. وفي سفر التثنية (١: ٦-٧) يكلم "يهوه" بني إسرائيل وموسى في حوريب قائلاً: "كفاكم قعود في هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر فرات". ولكي نعرف ما هي الشعوب التي تسكن جبل الأموريين وما يليه... نعود إلى نص آخر في التثنية ٧: ١، يقول: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك: الحثيين والجرحاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبعة شعوب أكثر وأعظم منك". وفي تثنية ٩: ١، نقراً: "إسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم

= ويطور ونافيش، كما جاء في أخبار الأيام الأول ٥: ١٠، ١٩، كانوا يسكنون شرقي جلعاد، إلى الشرق من شرقي الأردن نحو بادية الشام، وبالتالي ضمن حدود أرض الوعد. فإننا نرد بأن شرقي جلعاد وموآب وأدوم لم تكن ضمن ميراث بني إسرائيل (تثنية ٢: ٥، ٩/ ٣: ١٢-١٧/ يشوع ١٣: ٨-١٢، ٢٥-٣١)، بل كان ميراثهم من جبل الأموريين وما يليه غرباً (قارن تثنية ١: ٧ و ٢: ٧ مع يشوع ١٢: ٧-٨ و ٢٤: ١١). إن المنطق يقضي بالقول بأن نهر مصر لم يكن نيل مصر، ولا نهر فرات كان الفرات العراقي. وهذا ما يذهب إليه الصليبي في التوراة جاءت من جزيرة العرب (الفصل ١٥). وسواء كانت أرض الوعد في فلسطين وشرقي الأردن، أم في عسير وتهامة، فإن مساكن بني إسرائيل كانت خارجها.

منك". وبالمقارنة مع يشوع ٩: ١ حيث يرد: "ولما سمع جميع الملوك الذين في عبر الأردن في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان... اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع وإسرائيل..."، فضربهم يشوع وبني إسرائيل "في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأملس الممتد إلى سعين... في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والجنوب، الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون" (١٢: ٧-٨). نقول، بالمقارنة بين هذه النصوص نستنتج أن هذه الشعوب السبعة التي تسكن جبل الأموريين وما يليه، إنما كانت في عبر الأردن غرباً. وهنا لا بد من التساؤل: وما هي الشعوب التي كانت في عبر الأردن شرقاً؟ وهل كان الاسماعيليون من بينها؟ إن النصوص الواردة في سفر التثنية ويشوع تعطينا الإجابة الحتمية عن هذا السؤال. ففي التثنية ٣: ١٢-١٧ و ٤: ٤٦-٤٨، نجد أن الأموريين والباشانيين الذين ضربهم موسى وبني إسرائيل وامتلكوا أرضهم، كانوا في عبر الأردن شرقاً. وفي يشوع ١٣: ٨-٣٢، نجد أن منطقة شرقي الأردن (عبر هـ - يردن) التي أعطيت لبني جاد ورأوبين ونصف سبط منسى، كانت كذلك للأموريين والباشانيين والجنشوريين والمعكيين. (قارن كذلك مع عدد ٣٢: ١، ٥، ٣٢).

٤ - جلعاد في النوراة

إن بني جاد ورأوين ونصف منسى الذين أخذوا ميراثهم في عبر الأردن شرقاً، قد امتلكوا في الواقع أرض جلعاد ويعزيز وباشان (عدد ٣٢: ١، ٢٩، ٣٩ / ٢١: ٣٢ / تثنية ٣: ١٢-١٦) وفي يشوع ١٣: ٨ يرد: "معهم أخذ الرؤيين والجاديون ملكهم الذي أعطاهم موسى في عبر الأردن نحو الشروق". وفي الاصحاح ٢٢ يرد: "حينئذ دعا يشوع الرؤيين والجاديين ونصف سبط منسى وقال لهم... إنصرفوا الآن واذهبوا إلى خيامكم في أرض ملككم التي أعطاكم موسى عبد الرب في عبر الأردن... فرجع بنو رأوين وبنو جاد ونصف سبط منسى وذهبوا من عند بني إسرائيل من شيلوة التي في أرض كنعان لكي يسيروا إلى أرض جلعاد أرض ملكهم... وجاءوا إلى دائرة الأردن" (ككرر هـ - يردن)... وبنوا مذبحاً على الأردن (عل يردن) عظيم المنظر". وكان الأردن تخماً بينهم وبين باقي أسباط إسرائيل (يشوع ٢٢: ٢٥). وإذا كان الصليبي يرى أن "ككرر هـ - يردن" ليست "دائرة الأردن" أو "وادي الأردن" في فلسطين، بل تشير إلى محيط جبل هروب الخصب في داخل منطقة جيزان قرب الحدود اليمنية. فمن المفترض بناء على ذلك أن

تكون أرض جلعاد، التي كانت من نصيب الأسباط الثلاثة في عبر الأردن شرقاً، إلى الشرق أو إلى الشرق الجنوبي من جبل هروب باتجاه نجران شرقاً واليمن جنوباً^{٧٣}. وعليه فإن جلعاد التوراتية التي كانت في شرقي الأردن يجب أن تكون حسب جغرافية الصليبي في شرقي السراة بين سراة غامد ووادي بيشة في عسير الداخل^{٧٤}، أو بين حويلة وشور حيث كانت مساكن بني اسماعيل. لكن مساكن الاسماعيليين والهاجرين لم تكن في جلعاد كما يقول النص التوراتي صراحة، بل كانت في جهات شرقي جلعاد، أي أنها يفترض أن تكون إلى الشرق من عسير الداخل وليس فيها^{٧٥}.

^{٧٣} أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٤٣. (كذلك الخرائط ص ٧٧ و ٨٢ و ٢٨٢). وإذا أخذنا بالاعتبار تحديد الصليبي لـ "شيلوه" التوراتية التي ربما كانت آل أم شلوى (شلو) في رجال ألمع، أو (وهي الأرجح) أم شلوه (شلو) في منطقة القنفذة (التوراة جاءت، ص ٢٠٠، هامش رقم ٣). فإن من المفترض بناء على ذلك، أن يكون بنو راوبين وجاد ونصف منسى الذين جاءوا من "شيلوه" إلى دائرة الأردن لكي يسروا إلى أرض جلعاد أرض ملكهم، قد انتقلوا في الواقع من القنفذة أو رجال ألمع شمالاً إلى جبل هروب جنوباً بهدف الوصول إلى جلعاد.

^{٧٤} يرى الصليبي أن عبر هـ - يردن تشير، وفي معظم الحالات، إلى أراضي عسير الداخلية تقريباً لها عن عسير الساحلية التي كانت أرض يهوذا الاسرائيلية. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٣٤).

^{٧٥} أنظر ما سبق وأشرنا إليه، ص ٤٦ هامش رقم ٢٦، ص ٦٩ هامش رقم ٧٢.

وإنطلاقاً من الدليل الوارد في أخبار الأيام الأول ٥: ٩، ١٩، نجد أن قبيلة راوبين التي سكنت أرض جلعاد منذ أيام موسى ويشوع، قد توسعت إلى الشرق من جلعاد وبعد ازدياد عشائرها وتكاثر مواشيتها، وذلك على حساب الهاجرين ويطور ونافيش ونوداب. لكن هذا التوسع إلى الشرق من شرقي الأردن (جلعاد) لم يتم إلا في أيام شاول (٥: ١٠) أي بعد أربعة قرون تقريباً من دخول أرض كنعان.

ثم إن تحديد الصليبي لجلعاد التوراتية التي قدمت منها قافلة من التجار الاسماعيليين حاملة "كثيراء وبلساناً ولاذناً" لينزلوا بها إلى مصر، بقرية الجعدية في جنوب اليمن، يؤدي إلى إشكال أساسي هو التالي: إذا كانت جلعاد التوراتية في جنوب اليمن على وجه التحديد^{٧٦}، فمن المفترض - بناءً على ذلك - أن تكون مساكن الاسماعيليين عامة، والهاجرين ويطور ونافيش خاصة، إلى الشرق من جلعاد هذه، ربطاً بالدليل الوارد في الأخبار الأول ٥. لكن ذلك يتعارض، وبصورة رئيسية، مع تحديد الصليبي لحويلة وشور اللتين كانت مساكن بني اسماعيل بينهما، بمنطقة عسير الداخل. وسوف يتعارض كذلك مع اعتبار

^{٧٦} أنظر "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ١٥٥-١٥٦.

جنوب اليمن وشرقيها (إلى حضرموت وظفار) موطن القبائل اليقطانية^{٧٧}.

ولكي يمكن تحديد جلعاد التوراتية، ولو بصورة ترجيحية، لا بد من الملاحظة بأن النصوص التوراتية تربط دائماً بين أرض جلعاد وأرض يعزير وأرض باشان وأرض الأموريين. فبعدما سيطر الاسرائيليون على مملكة سيحون ملك الأموريين وأقاموا في أرضهم وجميع مدنهم "في حشبون وف ي كل قراها" (عدد ٢١: ٢٥، ٣١)، أرسل موسى ليتجسس يعزير فأخذوا قراها وطردها الأموريين الذين هناك، ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان... فضربوا عوج ملك باشان وملكوا أرضه

^{٧٧} لقد سبق وحددنا موطن اليقطانيين من ميشا (موزع في غربي اليمن) إلى حضرموت وظفار شرقاً. والصليبي يذهب كذلك في هذا الاتجاه، أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٣٥-٢٣٦. لكن نقطة الخلاف الأساسية مع الصليبي ليست في أن تكون جلعاد التوراتية في اليمن عموماً، بل أن تكون في جنوب اليمن تحديداً. لأن ذلك يتعارض مع النص التوراتي القائل بأنها في شرقي الأردن طالما أن الصليبي يعتبر الأردن(هـ - يردن) سلسلة جبال السراة الممتدة من الطائف شمالاً إلى أواسط اليمن جنوباً(أنظر خريطته في "خفايا التوراة"، ص ١٤٨)، وطالما يعتبر كذلك أن "عبر هـ - يردن" تشير، وفي معظم الحالات، إلى أراضي عسير الداخلية. فإذا كانت مساكن بني إسماعيل (من حويلة إلى شور) واقعة في عسير الداخل حسب جغرافية الصليبي، فأين يفترض أن تكون جلعاد؟.

(٢١: ٣٢-٣٥). وعندما رأى بنو راويين وبنو جاد أن أرض يعزير وأرض جلعاد تلائمهم لكثرة مواشيتهم، كلموا موسى قائلين: "إن وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكاً ولا تعبرنا الأردن" (عدد ٣٢: ١-٥).

فإذا كانت "باشان" عند الصليبي هي "اليوم البثنة في جبل فيفا بداخل منطقة جيزان"^{٧٨}، وكانت "حشبون" قمة أو نبع شحِب في رجال ألمع^{٧٩} إلى الشمال من جبل فيفا، والأموريون، الذين كانت عاصمتهم حشبون، في منطقة فنا والبحر إلى الغرب من رجال ألمع

^{٧٨} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٥٢-١٥٣. وتجد الإشارة هنا إلى أن الصليبي يرى كذلك أن "جبل جلعاد" المذكور في نشيد الأنشاد ٤: ١، لا بد أن يكون جبل فيفا. وهذا التحديد لا يتعارض مع النصوص التوراتية التي تربط بين باشان وجليعاد. (المرجع نفسه، ص ٢٨٥).

^{٧٩} يرى الصليبي أن حشبون يفترض أن تكون كذلك في منطقة جيزان، وذلك إنطلاقاً من كون نص نشيد الأنشاد ٧: ٤-٥ يربط بينها وبين كل من لبنان (لبنون) ودمشق (دمسق) والكرمل التي يحددها في منطقة جيزان وجوارها العام. لكنه لم يجد بين أسماء الأماكن الباقية قيد الوجود في منطقة جيزان، أو في جوارها القريب، ما يتوافق مع كلمة حشبون التوراتية. لذا عمد إلى البحث عنها في منطقة رجال ألمع شمال جيزان. (التوراة جاءت، ص ٢٩٠). لكن حشبون رجال ألمع (قمة أو نبع شحِب) تقع في غربي الأردن، بينما هي في شرقي الأردن، حسب النص التوراتي (يشوع ١٢: ١-١٣/٨، ٢٦).

مباشرة^{٨٠}. فكيف يمكن اعتبار جلعاد في جنوب اليمن، وهي التي أعطيت لجاد ورأوبين وماكير بن منسى. فذهب بنو ماكير بن منسى إلى جلعاد وأخذوها وطردوا الأموريين الذين فيها (عدد ٣٢: ٣٩). إلا إذا كانت جلعاد التكوين ٣٧: ٢٥ هي غير جلعاد التي في عبر الأردن والتي كانت في ميراث الأسباط الثلاثة المشار إليها. وهذا ما نستبعده لأن جلعاد التكوين التي تنتج الكثيراء والبلسان واللاذن، هي نفسها جلعاد التي يتغنى إرميا النبي ببلسانها (إرميا ٨: ٢٢ / ٤٦: ١١)، والتي منها أخذ إخوة يوسف هدية من أفخر جنى أرض كنعان "بلساناً وكثيراء ولاذناً..." (تكوين ٤٣: ١١) ليقدموها إليه^{٨١}.

^{٨٠} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٦٢. والصلبي يرى احتمالات أخرى لكلمة الأموريين (ء مري نسبة إلى ء م). فرمما كانت الأمرة في تهامة زهران، وومرة، في وادي إضم، ويحتمل أيضاً أنها مرو وهو اسم لثلاث قرى: إثنان في وادي إضم والثالثة في منطقة قنا والبحر. وهذه الأخيرة فقط، كم منطقة محتملة للأموريين التوراتيين، تتلاءم جغرافياً مع حشبون (عاصمة سبوحون الأموري) في رجال ألمع إلى الشرق مباشرة من قنا والبحر.

^{٨١} إن الإشارة إلى اللاذن (أي المر) في هذه الهدية تثبت بأن الأرض التي كان بها يعقوب وأبنائه، يوجد فيها حتماً شجر المر. وعليه فإنهم لم يكونوا بعيدين عن اليمن حيث يوجد اللاذن، وحيث نرجح أن تكون جلعاد.

إن تحديد الصليبي لباشان وحشبون وجبل جلعاد^{٨٢} ودائرة الأردن "ككر هـ - يردن"^{٨٣}، ينسجم - وفي الإطار العام - مع المعطيات الجغرافية التي تقدمها النصوص التوراتية المتعلقة بجغرافية عبر الأردن. فإذا كانت أرض جلعاد ويعزيز وباشان وحشبون التي في عبر الأردن شرقاً قد أعطيت لأسباط شرقي الأردن الثلاثة، فلا بدّ إذن - وانسياقاً مع منطق النص التوراتي - من التأكيد بأن دائرة الأردن (حيث بنى الرؤوبيون والجاديون ونصف منسى مذبحاً على الأردن "على يردن") تشكل الحد الفاصل بين أسباط شرقي الأردن وأسباط غربيه. وبما أن دائرة الأردن "ككر هـ - يردن" كانت تشير في الأزمنة التوراتية "إلى الشعاب التي تشكل حوضي وادي صيبا ووادي ييش في محيط جبل هـروب" في منطقة جيزان^{٨٤}، فمن المفترض - بناء على ذلك - أن تكون أرض أسباط شرقي الأردن واقعة شرقي جنوب منطقة جيزان باتجاه نجران واليمن، وأن

^{٨٢} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٨٥.

^{٨٣} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٧٤ هامش رقم ٧٣.

^{٨٤} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٤٧.

تكون جلعاد في هذا المحيط الجغرافي^{٨٥}.

٥ - جغرافية شرقي الأردن

ثم إن البحث عن أرض أسباط شرقي الأردن في إطار جغرافية شرقيّ جيزان بين نجران واليمن، وليس في عسير الداخل، يبدو أكثر انسجاماً مع المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي من جهة، ومع جغرافية اليمن من جهة أخرى^{٨٦}.

نقرأ في سفر يشوع ١٢: ١-٦: "وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم بنو إسرائيل وامتلكوا أرضهم في عبر الأردن نحو شروق

^{٨٦} نشير هنا إلى أن الصليبي يرجح في "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (ص ٣٠١ وما بعدها)، بأن تكون أراضي جاد ورأوبين في جنوب الحجاز بين بلاد غامد وبلاد زهران. ولعل هذا الرأي مبني على تحليله السابق (المراجع نفسه، ص ١٣٦-١٣٧) لجغرافية سفر العدد ٣٣: ٤١-٤٩، حيث يقول: "والمنطقة التي استوطنها الاسرائيليون أخيراً بقيادة موسى كانت امتداد الأرض المرتفعة بين الأئمة في إقليم زهران وبحرى ماء جبل شتان، المسمى اليوم وادي وج، في إقليم الطائف. لكننا لا نتفق مع الصليبي في هذا الرأي، وبخاصة اعتباره بأن موآب التوراتية هي أم الياب في وادي إضم. وسوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة في فصل لاحق. (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٧٤، هامش رقم ٧٣).

^{٨٥} إستناداً إلى ما جاء في سفر يشوع (الفصل ١٢) فإن جلعاد كانت تنقسم مناصفة بين سبكون الأموري وعوج ملك باشان الذي كان ملكه أيضاً على جبل حرمون (١٢: ٥). من هنا نرى بأن جلعاد لم تكن بعيدة عن حرمون، والأرجح أنها كانت إلى شرقيه. وحيث أن الصليبي يحدد حرمون بنجران (حمرن) في ناحية الحرث شمال اليمن، فمن المفترض أن تكون جلعاد شرقها. (أنظر التوراة جاءت، ص ٣٦، ٢٨٦). لكن لنا تحديداً آخر لحرمون التوراتي حيث نرجح أن يكون جبال الأهنوم (أو هنوم) في شمال اليمن كذلك، وإلى الشمال الشرقي من حجة. وستتناول هذه المسألة في فصل لاحق.

الشمس من وادي أرنون إلى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق. سيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون المتسلط من عر وعير التي على حافة وادي أرنون ووسط الوادي ونصف جلعاد إلى وادي يوق تخم بني عمون والعربة إلى بحر كنزوت نحو الشروق وإلى بحر العربة بحر الملح نحو الشروق طريق بيت بشيموت ومن التيمن تحست سفوح الفسجة. وتخوم عوج ملك باشان من بقية الرفائيين الساكن في عشتاروت وفي إذرعي والمتسلط على جبل حرمون وسلخه وعلى كل باشان إلى تخم الجشوريين والمعكيين ونصف جلعاد تخوم سيحون ملك حشبون... وأعطاه موسى... ميراثاً للأووبيين والجاديين ولنصف سبط منسى".

وسوف نقوم بقراءة هذا النص في ضوء جغرافية شمال شرقي اليمن من سراة خولان وهنوم وعذر غرباً إلى بلاد يام شرقاً. فسيحون الأموري الساكن في حشبون تمتد تخومه من عر وعير إلى تخم بني عمون، وتصل شرقاً حتى بحر كنزوت (يم كنت) وبحر العربة بحر الملح (يم عربة، يم ه - ملح).

وفي حين يحدد الصليبي "يم عربة، يم ه - ملح" الوارد في يشوع ٣: ١٦، وفي إطار عبور بني إسرائيل للأردن، بقريتي غرابة والملحة في وادي بقران، مباشرة شرق الشق المائي، في منطقة الطائف^{٨٧}. فإنه

^{٨٧} أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٣٨.

يحدد "كتف يم كنت" و"يم ه - ملح" الواردين في إطار الحد الشرقي لأرض الوعد (عدد ٣٤: ١٠-١٢)، بـ "قطف، غرب قرينات" جنوب وادي الدواسر في بلاد يام، وبلاد يام غرب رمال الربع الخالي^{٨٨}. وعليه فإن "يم عربة، يم ه - ملح" الوارد في يشوع ١٢ بالتوافق مع "يم كنت"، ليس غرابة والملحة في وادي بقران بالطائف، بل بلاد يام إلى الجنوب الشرقي من نجران. من هنا نرى بأن تخوم سيحون الأموري تمتد من عراعر (عر وعير) جنوب صعدة^{٨٩} مروراً بـ "يعمون"^{٩٠} حتى بلاد يام.

^{٨٨} المرجع السابق، ص ٢٦٤، ٢٦٨.

^{٨٩} أنظر "صفة جزيرة العرب" للهمداني، ص ٢٥٢.

^{٩٠} يذكر ياقوت في معجم البلدان (ج ٨، ص ٥١٠) موضعاً باليمن من منازل همدان يُسمّى "يعمون". وهو يقع إلى الشرق من عراعر. ولعل كلمة يعمون (أو عمون لأن الباء زائدة في اللهجات اليمنية) تشير إلى بني عمون التوراتيين وموطنهم في زمن بني إسرائيل. والعمونيون هم من ذرية "بن عمي" بن لوط الذي ولد له بعد خراب سدوم وعمورة (تكويين ١٩: ٣٨). وليس يستبعد أن يكون لوط قد ارتحل شرقاً بعد خراب سدوم وعمورة اللتين يحددها الصليبي في منحدرات جبل هروب في منطقة جيزان (التوراة جاءت، ص ١٤٧)، أي باتجاه منطقة همدان في شمال اليمن.

أما حشبون عاصمة سيحون فرمما كانت شبحان التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب^{٩١}، وهي واقعة في شمال اليمن جنوب شرق صعدة.

وفيما يتعلّق بتخوم عوج ملك باشان المتسلط على حرمون، فإننا نرجح أن تكون من جبال الأهنوم^{٩٢} وإلى الشرق بمحاذاة تخوم سيحون الأموري.

وما يؤيد وجهة نظرنا بخصوص أراضي أسباط شرقي الأردن، ورود أسماء لقرى ومواقع كانت في ميراث جاد ورأوين، يمكن أن نجدها في اليمن، وفي الصيغة العبرية ذاتها دون أي تغيير أو تبديل. فقد ورد في سفر العدد (٣٢: ٣) "عطاروت وديون ويعزيز ونمرة وحشبون والعاله وشبام ونبويعون". وفيما يلي نورد تحديداً لبعض هذه المواقع:

١ - ديبون: جبل ذبيان الذي يذكره الهمداني في

الصفة^{٩٣} بالتزاف مع شبحان. وهو يقع في الجوف الأعلى من بلد همدان.

^{٩١} الصفة، ص ٢٤١.

^{٩٢} المرجع السابق، ص ١١٥. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص ٨٠.

هامش رقم ٨٥.

^{٩٣} المرجع السابق، ص ١٦٠، ٢٤٠.

٢ - يعزيز: وادي ذو "يعزز" في عزلة كحلان من حبان شرقي مدينة يريم^{٩٤}.

٣ - شبام: شبام أقيان، ويقال لها شبام حمير أو يحبس أو يعفر. ومن أحواضها جبل ذخار مطل عليها وهي في أصله، وفيها عيون تخرج منه تشق بين المنازل إلى البساتين. وفي سفوح الجبل مياه تجري مثل حبله والخلتب. وفي رأس جبل ذخار قصر كوكبان الشهير وهو مطل عليها^{٩٥}. وقد اشتهرت شبام التوراتية بكرومها، وهي مترافقة في أشعيا ١٦: ٨-٩، مع يعزيز وحشبون حيث يرد: "لذلك أبكي بكاء يعزيز على كرم سبمة"^{٩٦}.

٤ - نبو: يذكر الهمداني في الصفة^{٩٧} وادي "نبا" ومآتيه من أشراف بني سبأ وأعالي عزلة إرياب وبلحارث وغرب

^{٩٤} المرجع السابق، ص ٢١٧.

^{٩٥} المرجع السابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

^{٩٦} تجدر الإشارة إلى أن سبمة الواردة في أشعيا ١٦: ٨، ٩، ويشوع ١٣: ١٩، وعدد ٣٢: ٣٨، هي نفسها شبام أو سبام الواردة في عدد ٣٢: ٣. ويرى قاموس الكتاب المقدس (ص ٤٧٥) أنها قد تكون "سومية" الواقعة شرقي البحر الميت (أي شرقي الأردن) على الجانب الغربي من وادي حسيان المعتبر حشبون؟^{٩٧}.

^{٩٧} صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩-١٤٠. وقد ورد بصورة "نبا" (باء ثم نون) بينما يذكره المحقق بصورة "نبا" (نون ثم باء).

ظفار. وإرياب في رأس جبل "أدم" من يحصب العلو، وهو جبل ناتئ مطل على قرية سمارة^{٩٨}. وربما كان "أدم أرياب" هو "نبو" التوراتي نسبة إلى وادي "نبا".

وتجدر الإشارة إلى أن "نبا" اليميني هذا يقع إلى الشرق من جبل "ألهان" الذي يفترض الصليبي أنه "جبل الله حوريب" حيث ظهر ملاك الرب (يهوه) لموسى "بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق" (خروج: ٣: ١-٢)^{٩٩}.

٦- خلاصة ومنطق الخلاصة

بعد هذا العرض التحليلي النقدي لمسألة موطن القبائل الإسماعيلية المحدد في النص التوراتي "من حويلة إلى شور التي أمام مصر". هذه المسألة التي استلزمت البحث في مسائل أخرى مترابطة معها مثل موطن اليقطانيين "من ميشا إلى سفار جبل المشرق"، وحويلة وشور وجلعاد وجغرافية شرقي أل يردن. نقول بعد هذا العرض نصل إلى الخلاصة التالية:

١ - إن حويلة التوراتية التي كانت في حدود اليقطانيين، والتي منها تبدأ حدود بني إسماعيل، هي على الأرجح في منطقة الجوف اليمنية إلى الشرق من خولان. وعليه فإننا نستبعد أن تكون في وادي بيشة كما يرى الصليبي.

٢ - إن شور التوراتية ليست، كما نرجح، قرية "أل أبو ثور" في منطقة خميس مشيط في عسير الداخل، ولا قرية "شري" في وادي خب باليمن.

^{٩٨} المرجع السابق، ص ٢١٢.

^{٩٩} أنظر "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، ص ٢١٠، ٢١١. ويقع "نبا" اليميني كذلك جنوب غرب حريب أو حارب التي قرب مأرب، والتي يعتبرها الصليبي "حوريب" التوراتية. وهو يعتبر نبو التوراتي جبل نباه في أقصى التواء الجنوبي لقمة الطائف في الشمال (التوراة جاءت، ص ١٣٦-١٣٧، هامش رقم ٥). وحين صعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا، أراه الرب (يهوه) جميع الأرض من جلعاد إلى دان (تثنية ٣٤: ١). وإذا كان "نبو" التوراتي في قمة الطائف شمالاً، فهل يستطيع موسى أن يرى جلعاد التي يحددها الصليبي في أقصى جنوب اليمن؟ (سوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة تفصيلاً في فصل لاحق).

٣ - إن جلعاد التوراتية لا يمكن أن تكون في منطقة شرقي الأردن في المملكة الأردنية الهاشمية (أي البلقاء)، لأن هذه لا تنتج الكثيراء (النكعة أو صمغ القتاد) واللادن (أو المر). بل لا بد أن تكون في اليمن. ونحن نرجح أن تكون في شمال شرقي اليمن وليس في أقصى الجنوب.

٤ - إن جلعاد هذه كانت مع أرض يعزير وباشان ومملكة سيحون الأموري، في ميراث أسباط شرقي اليردن (رأوبين وجاد ونصف منسى). وعليه فإننا نرجح أن تكون منطقة شرقي اليردن التوراتية الخاصة بهذه الأسباط، من شرقي جيزان حتى نجران في شمال شرقي اليمن.

٥ - بناء على ذلك فمن المفترض أن تكون مساكن بني إسماعيل من شرقي جلعاد (حيث موطن يطور ونافيش)، أو من حويلة باتجاه الشمال نحو أطراف الحجاز ونجد. وهنا نصل إلى مسألة "شور" وتحديد موقعها الجغرافي، مع الأخذ بالاعتبار أنها قبالة مصر التوراتية، وأن الطريق من حويلة إليها هو، كما يحدد نص التكوين ٢٥: ١٨، باتجاه أشور. أي أن الآتي من حويلة إلى شور لا بد أن تكون وجهته بلاد أشور^{١٠٠}.

^{١٠٠} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٦١ وما بعدها.

يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب موضعاً في نجد جنوب «وادي الرمة يدعى الشور (شور تماماً بدون آل التعريف). وهو فيف طوله خمسة أميال^{١٠١}».

وشور هذه التي بنجد، هي في الواقع قبالة قرية "آل مصري" في الحجاز التي نرجح أن تكون مصر التوراتية المقصودة هنا. ثم أن الطريق -أو خط السير- من حويلة في اليمن إلى شور بنجد، هو

^{١٠١} صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٠. وفي اللغة الفيض: المفازة التي لا ماء فيها. من هنا فإننا نرجح أن يكون شور نجد هذا هو بالذات شور التوراتية التي سار فيها بنو إسرائيل ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء للشرب (خروج ١٥: ٢٢). ومن الممكن أن تعبّر برية شور في الأزمنة التوراتية، كان يشير إلى كل المنطقة الصحراوية الممتدة من شمال بحرصافي وبلاد يام حتى بنجد. أو من وادي الدواسر شرقي عسير وحتى وادي الرمة بنجد. وعليه فإن خروج بني إسرائيل كان من أرض مصر (مصري في الحجاز) باتجاه واحة الضبطين بنجد "عن طريق وادي الرمة" (ب - يدرمه) (خروج ١٤: ٨)، ومن هناك إلى برية شور. وهنا لا تتفق مع الصليبي في تحليله لعملية الخروج من المصرفة في منطقة خميس مشيط باتجاه وادي الرمة بسراة بلقرن، ثم باتجاه الخماسين بوادي الدواسر، ثم جنوباً نحو وادي حبونا ومنه إلى برية شور في وادي خب باليمن. (راجع تحليل الصليبي لعملية الخروج في كتابه: "خفايا التوراة"، ص ٢٢٨-٢٣٦).

بالتحديد باتجاه بلاد آشور في وادي الرافدين^{١٠٢}. كما يقول النص التوراتي تماماً "من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور". وإذا ما قرأنا هذه العبارة في ضوء جغرافية سيناء ومصر وادي النيل، كما أخذت حتى الآن، فلا بد من أن يواجهنا إشكال أساسي يصعب حله، وهو التالي:

إذا كانت حويلة التوراتية في بادية الشام أو في الفرات الأدنى^{١٠٣}، وكانت شور في غربي سيناء قبالة مصر وادي النيل. فأين يفترض أن تكون بلاد آشور، طالما أن نص التكوين يقول بكل دقة ووضوح أن الآتي من حويلة إلى شور يكون إتجاهه في الواقع نحو بلاد آشور. من هنا نرى أن آشور يفترض أن تكون في نقطة أبعد من مصر وادي النيل باتجاه ليبيا مثلاً، ولا يعقل أن تكون آشور بلاد ما بين النهرين. فلو قال كاتب نص التكوين ٢٥ أن مساكن بني إسماعيل "من شور التي أمام مصر إلى حويلة حينما تجيء نحو آشور"، لكان من الممكن القبول بأن مصر المقصودة هنا هي مصر وادي النيل، وأن شور هي إلى الشرق منها مباشرة، وأن حويلة هي في بادية الشام أو في الفرات الأدنى.

^{١٠٢} نحن نرجح أن تكون "أشور" المقصودة هنا هي آشور بلاد ما بين النهرين، كما في ملوك ثاني ١٧: ٣-٥، وعزرا ٤: ٢، ١٠، وهوشع ١٠: ١١/٦: ٥، وأشعيا ٣١: ٨/ ٣٦: ١ وما بعدها/ ٣٧: ٤ وما بعدها.

^{١٠٣} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٦١٣-٦١٤.

ولأصبح الاتجاه من شور إلى حويلة هو باتجاه آشور كذلك. لكن - وكما نرى - فإن قراءة النص في ضوء جغرافية المنطقة الممتدة من الفرات الأدنى، أو من بادية الشام، حتى صحراء سيناء، هي في الواقع قراءة خاطئة لا تنسجم مع منطق النص التوراتي^{١٠٤}.

ولعلّ اعتبار حويلة التوراتية في بادية الشام أو في الفرات الأدنى، واعتبار شور في غربي سيناء أمام مصر وادي النيل، هو الذي دفع الباحث فراس السواح إلى التأكيد - وبدون أي مسوغ - بأن القبائل العربية (وهي في الغالب من بني إسماعيل) التي وجهت ضدها الحملات الآشورية المتكررة بهدف تأديبها، كانت تقيم (أو تتحول) بين بادية الشام والأطراف الشمالية من شبه الجزيرة العربية، أو بين الفرات الأدنى وصحراء النقب^{١٠٥}.

^{١٠٤} نرى كذلك بأن ما ورد في صموئيل الأول ١٥: ٧: "وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر"، لا يمكن تفسيره أو القبول به في إطار هذه المنطقة الجغرافية الشاسعة جداً. فهل يعقل، أولاً، أن يكون شعب عماليق مقيماً في منطقة تمتد من الفرات إلى مصر، وثانياً أن تكون سلطة شاول قد امتدت فعلاً لتغطي كل هذه المنطقة بحيث أصبحت تضاهي امبراطوريات الشرق القديم؟

^{١٠٥} من هنا فإن السواح يرى أن الحملات الآشورية لم تتوغل في أعماق بلاد العرب (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٣٩)، وهذا بالتحديد ما لا نوافقه فيه. فكل التحليل السابق حول مساكن بني إسماعيل وحويلة وشور وجلعاد، كان=

وفي ضوء تحديد مساكن القبائل الاسماعيلية من حويلة في اليمن إلى شور بنجد، يمكن قراءة نص تغلت فلاصر الثالث الأشوري وتعيين المواضع والأسماء الواردة فيه^{١٠٦}.

أ - يرد في النص أن "سمسي" أو "شمي" ملكة العرب قد فرّت إلى إقليم "بازو" بعدما أضناها التعب والجوع. ويخبرنا أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) أنه قام بحملة على قبائل عربية تنزل أرض بازو (Bazu) أو بوزو (Bozu)، وحازو (Hazu). وقد اخترق جيشه البادية فروعته الثعابين والحيات التي كانت تثور عليهم وتقفز أمامهم، ومنها ثعابين ذات رأسين ومنها ما له أجنحة. ولما مرّ الجيش بأرض بازو وجدها مغطاة بالثعابين والعقارب^{١٠٧}. والمرجح هنا أن البادية التي اخترقها أسرحدون قبل وصوله إلى أرض بازو هي النفود^{١٠٨} أما بازو فيفترض

= يهدف إثبات أن مساكن بني إسماعيل لم تكن بين بادية الشام وصحراء النقب. وفي الصفحات التالية سوف نقدم دليلاً إضافياً يستند إلى أن أسماء المواقع والقبائل التي ذكرت في سجلات الحملات الأشورية على بلاد العرب، ما زالت موجودة في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية.

١٠٦ أنظر ص ٣٥ وما بعدها.

١٠٧ أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي، ص ٢٠٥، ٥٩٤.

١٠٨ ويذهب إلى هذا الرأي كذلك، جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب"، ص ٥٩٨. ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام" أن أسرحدون أوغل في بلاد العرب فوصل إلى إقليم "بازو" في أقصى المعمورة =

أن تكون ما بين نجد والحجاز. ويذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب من المنازل الحجازية "البزواء" (بزوا) بين مكة والمدينة، وخبث البزواء بناحية عليب^{١٠٩}.

ومما يرجح وجهة نظرنا في أن تكون أرض بازو في الحجاز، وليس كما يرى موسل^{١١٠} في وادي السرحان جنوب غرب تدمر في الشام، ما ذكر في نص أسرحدون بأن قصبة بلاد بازو تدعى "يديع" (Jadi) ويحكمها ملك اسمه ليلي^{١١١}. وقد تمكن ملك يديع من النجاة، لكنه ذهب بعدئذٍ إلى نينوى طالباً الصفح من أسرحدون فقبل وعينه ملكاً على أرض بازو وحازو على أن يدفع له الجزية. ويديع موضع بالحجاز يذكره الهمداني في الصفة بالترافق مع خيبر والحجر^{١١٢}. أما حازو فهي "حزوى" التي ذكرت في الصفة كذلك، ما بين اليمامة

= وراء البادية، قطع إليه ٤٩٠ ميلاً في يبداء تكثر فيها ريح السموم و٧٠ ميلاً في أرض عامرة، ولم يبق وراء ذلك غير الجبال (ص ١٠١). وإذا كان أسرحدون قد قطع حوالي ٩٠٠ كلم، فمن المؤكد أنه لم يتوجه لمحاربة القبائل العربية في بادية الشام (أنظر ص ١٠٧).

١٠٩ الصفة، ص ٣٣٣.

١١٠ المفصل في تاريخ العرب، لجواد علي، ص ٥٩٧.

١١١ أنظر "العرب قبل الإسلام"، لجرجي زيدان، ص ١٠١. كذلك "المفصل في تاريخ العرب"، لجواد علي، ص ٥٩٥-٥٩٦.

١١٢ الصفة، ص ٣٨٣.

ونجد^{١١٣}. وقد ورد في التوراة إسم "بوز" و"حزو" (تكوين ٢٢: ٢١-٢٢). وعند أرميا ٢٥: ٢٢ وردت بوز كاسم موضع بعد ددان وتيماء، وربطاً بملوك العرب. كما وردت عند أيوب ٣٢: ٢، ٦ كموضع كذلك، وإليه ينسب "ألهو البوزي" أحد أصدقاء أيوب. فكان حكماً بينه وبين أصحابه الثلاثة^{١١٤}. ونحن نرجح أن تكون بوز التوراتية هي

^{١١٣} المرجع السابق، ص ٢٩٨، ٣٣١.

^{١١٤} وعند إرميا وردت بوز بعد أرض عوص (٢٥: ٢٠) التي ينسب إليها أيوب النبي (١: ١) الذي كان صاحب ثروة كبيرة جداً من المواشي تعد بالآلاف من الأغنام والجمال والأبقار والحمير. ويفترض منطقياً أن تكون عوص أرض صالحة للرعي وتكاثر المواشي. ونحن نستبعد أن تكون في حوران (اللحاة) كما يرى البعض (المفصل لجواد علي، ص ٤٢٠)، أو في الصحراء السورية بين دمشق وأدم (قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٤٧). فإذا كانت في حوران، فكيف يمكن تفسير إغارة السبثيين عليها (أيوب ١: ١٥). لذلك نرجح أن تكون أرض عوص موطن أيوب في الحجاز حيث توجد بوز (بزوا) كذلك. ويذكر الهمداني في الصفة (ص ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٢١، ٣٨٣) موضعاً بين وادي القرى والحجر يدعى العيص من ديار جهينة، وإليه ينسب التمر العيصي. ومن أصحاب أيوب الثلاثة بلدد الشوحي (نسبة إلى شوح)، وشوح موضع بالحجاز كذلك قريب من العيص يدعى الشيخه (شيخ). وبقره مياه "توضح" وهي من المياه القديمة بين رمل الشيحة وشرح بسذات الطلح. (الصفة، ص ٢٧٠). هذا وقد اعتبرت أرض عوص في حوران أو في البادية السورية إلى الشرق من فلسطين، لكي تكون متوافقة جغرافياً مع ما ورد في سفر أيوب من أنه كان أعظم كل بني المشرق (١: ٣). ومع ذلك-

نفسها بازو الوارد ذكرها في النصوص الآشورية، أي أنها بزواء الحجاز. وكذلك حزو، حازو الآشورية أو حزوى.

ب - مسأى: ربما كانت المسقى (مسقى) من ديار عنز جنوب الطائف^{١١٥}، أو المشقا في رجال ألمع، أو المشقة في وادي أضم^{١١٦}.
ج - تيماء: واحة تيماء شمال الحجاز.

د - سبأ: نرجح أن تكون سبأ اليمنية، وليس كما يرى جواد علي أنها تشير إلى قبائل سبئية تعيش في شمال الحجاز قرب تيماء^{١١٧}، أو كما يرى فيليب حتي أنها من القبائل العربية التي كانت تقطن شبه جزيرة سيناء والبادية الواقعة في شمالها الشرقي^{١١٨}. فقد ورد في نص سرجون الثاني أنه تلقى الجزية من يشعر السبئي، ويشعر أحد ملوك سبأ الوارد ذكره في نقوش مأرب^{١١٩}. وورد كذلك في نص سنحاريب (٧٠٥ -

^{١١٥} يرى البعض من أهل الأخبار أن موطن أيوب كان في الاحقاف بداخل الجزيرة (الطبري، ج ١، ص ٢٠٦).

^{١١٦} أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٧.

^{١١٧} التوراة جاءت من جزيرة العرب، لكمال الصليبي، ص ١١٩.

^{١١٨} المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج ١، ص ٥٨١.

^{١١٩} تاريخ العرب، لفيليب حتي، ص ٦٦.

^{١٢٠} العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص ١٢٢. كذلك تاريخ العرب، لحقي، ص ٨٨.

٦٨١ ق.م) أنه تسلم الجزيرة من كرب إيل ملك سبأ. وكرب إيل هو كذلك أحد مكربي سبأ (الحاكم الكاهن)^{١٢٠}.

هـ - خياه وبطنه: الخيبة والبطنة وهما موضعان في شمال شرقي اليمن ذكرهما الهمداني في الصفة^{١٢١}. ومما يرجح ذلك ورود خياه في نص سرجون الثاني^{١٢٢} بعد كلمة "مرسماني" التي تشير إلى إسم قبيلة وموضع. ومرسماني هي على الأرجح "مريابا" أو "مارسيابا" التي وصلت إليها حملة اليوس غالوس على الجزيرة. فقد سلكت الحملة الطريق البري عبر الحجاز ووصلت إلى "مارسيابا" مارة بنجران ونشق^{١٢٣}. ويستنتج من

^{١٢٠} تاريخ العرب، لحي، ص ٦٦، ٨٧. العرب قبل الإسلام، لجرسي زيدان، ص ١٢٤.

^{١٢١} صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤.

^{١٢٢} أنظر نص سرجون الثاني في كتاب جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج ١، ص ٥٨٥. وسوف نعود إلى هذا النص لاحقاً.

^{١٢٣} أنظر كتاب "تاريخ العرب في عصر الجاهلية"، عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ إصدار، ص ١٤١. كذلك تاريخ العرب لحي، ص ٧٧. وقد وردت "مارسيابا" هكذا في كتاب سترابو، وفي كتاب بليينوس وردت "ماريابا"، ويذكرها حتى تحت إسم "مارياما" (أنظر خريطة بطليموس في تاريخ العرب، ص ٨٠). ونشق هي التي إكتشفها المستشرق اليهودي "يوسف هاليفي" في رحلته إلى اليمن عام ١٨٦٩م في جملة ما اكتشفه من مدن دولة معين اليمنية ونقوشها في الجوف. وهي "ناسكوس" (Nascus) عند اليونان، واسمها الحالي البيضاء. (أنظر صفة-

ذلك أن مارسيابا تقع في جنوب الجزيرة بعد نجران وفي موضع قريب من الخيبة والبطنة اللتين ذكرهما الهمداني. وقد تكون كلمة مارسيابا الواردة في كتاب "سترابون" مؤرخ حملة إليوس غالوس، اختصاراً لكلمتي مارسماني وخياه الواردتين في نص سرجون الثاني.

و - خطي أو خط: يذكر الهمداني في الصفة موضعاً في البحرين يدعى الخط وإليه تنسب الرماح الخطية^{١٢٤}، وهو على الأرجح موضع "خطيني" الذي ذكره "بليينوس"، المؤرخ الروماني (ت ٧٩م)، على ساحل الخليج. ولهذا رجح كلاسر أن يكون موضع "خطي" المذكور في نص تغلت فلاصر الثالث هو خطيني الذي ذكره بليينوس. ولكننا نرجح أن يكون موضع الخط الذي ذكره ياقوت في المعجم، وهو جبل بمكة^{١٢٥}.

ز - أدبيل أو الديبل: الديبل هو موضع يذكره الهمداني في الصفة يقع شرقي عسير بين الفلج والحجاز^{١٢٦}.

ويخبرنا سرجون الثاني أنه في السنة السابعة من حكمه قام بحملة على بلاد العرب، فأدب ثمودي وأباديدي (عباديدي) ومرسماني

= جزيرة العرب، للهمداني، ص ٨١. كذلك العرب قبل الإسلام، لجرسي زيدان، ص ١١٥).

^{١٢٤} صفة جزيرة العرب، ص ٣٣١.

^{١٢٥} معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٤٩.

^{١٢٦} صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

وخيابة وهزمهم^{١٢٧}. ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من سمسي ملكة العرب ومن برعو ملك مصري ومن ينعم السبي.

فهل إن حملة سرجون الثاني هذه، كانت باتجاه بلاد الشام "ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية" كما يرى فراس السواح^{١٢٨}؟ أم هل كانت موجهة ضد القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة و"لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب"^{١٢٩}. إن البحث -وبشكل خاص- عن مواضع تمودي وأباديدي، سوف يسمح بالإجابة عن هذا التساؤل.

لقد جاء إسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم، إما منفرداً أو مقروناً بأقوام أخرى مثل قوم نوح وقوم عاد وأصحاب الرس^{١٣٠}. ويستدل من ورود ذكر ثمود في عدة مواضع قرآنية لترهيب الكفار من العقاب التي آلت إليها حالتهم بعد أن تمادوا في الضلال عن الحق، واستمروا في طغيانهم، كما استمر طغيان "فرعون"^{١٣١} وقوم

^{١٢٧} سبق وأشرنا إلى هذا النص، أنظر ص ٣٧.

^{١٢٨} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٣٩. كذلك فراس السواح في: "الحدث التوراتي"، ص ٨٠.

^{١٢٩} أنظر الحدث التوراتي، لفراس السواح، ص ١٢٥.

^{١٣٠} سورة التوبة ٩، الآية ٧٠/ سورة إبراهيم ١٤، الآية ٩/ سورة الحج ٢٢، الآية ٤٢/ سورة غافر ٤٠، الآية ٣١/ سورة الفرقان ٢٥، الآية ٣٨.

^{١٣١} سورة البروج ٨٤، آية ١٨/ سورة الفجر ٨٨، آية ١٠.

مدین^{١٣٢}، أن الجاهليين كانوا يعلمون مصير ثمود وعاد^{١٣٣}، وكانوا يعرفون كذلك منازلهم كما يظهر بوضوح من الآية: "وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم"^{١٣٤}. ولم يعين القرآن الكريم موضع ثمود بل اكتفى بالتلميح كما يظهر من آية: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"^{١٣٥}. ويرى المفسرون أن عبارة "جابوا الصخر" تعني أن منازلهم كانت في مناطق جبلية أو في هضاب صخرية فقطعوها واتخذوا فيها بيوتاً كقوله تعالى: "وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين"، وأن الواد هو وادي القرى بالحجاز^{١٣٦}. وقد عيّن أكثر الرواة منازل ثمود في الحجر وهو قرية بوادي القرى. وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر ثمود^{١٣٧}، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه في غزوة تبوك^{١٣٨}.

^{١٣٢} سورة هود ١١، آية ٩٥.

^{١٣٣} سورة فصلت ٤١، آية ١٣.

^{١٣٤} سورة العنكبوت ٢٩، آية ٣٨.

^{١٣٥} سورة الفجر ٨٨، آية ٩.

^{١٣٦} أنظر تفسير ابن كثير، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦، ج ٦، ص ٤٠٧.

^{١٣٧} ٤٠٨.

^{١٣٨} معجم البلدان، لياقوت، ج ٣، ص ٢٢١/ تاريخ الطبري، ج ١، ص ١١٨/ صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٧٤.

^{١٣٩} أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج ١، ص ٣٢٤.

وقد وصف مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الأبيض"،
مواضع التموديين مستنداً إلى مورد آخر أقدم عهداً منه. فذكر أن
"Thamudeni" كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل لا يصلح لسير
السفن، وليست فيه خلجان تستطيع أن تحتمي بها السفن في حالة هبوب
الرياح، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه، ولا موضع أو جزر عنده، تلجأ
إليه القوارب الهاربة من الأخطار. فيظهر من هذا الوصف أن مواطن ثمود
كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر^{١٣٩}.

وورد ذكر ثمود في آداب اليونان والرومان، وعرفوا تحت إسم
"تموداي". فقد ذكر بلينوس تموداي وعين منازلهم بين "Domata"
(دومة الجندل) و"Haegra" (الحجر) وموضع ثالث أسماه "Badanatha"
هو في الراجح موضع "فج الناقة" على مقربة من الحجر^{١٤٠}.

أما أباديث "الذين يسكنون البادية ولا يقرون كبيراً أو صغيراً
من الحكام"^{١٤١}، فيفترض أن لا يكونوا بعيدين عن مواضع ثمود. وعليه
فإننا نرجح أن تكون منازلهم بين الحجاز وبادية نجد. وقد ذكر ياقوت في
معجم البلدان مكاناً يُقال له وادي العبايد (أو العباديد) على مقربة من

^{١٣٩} أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي. ص ٣٢٥.

^{١٤٠} المرجع السابق، ص ٣٢٥. كذلك العرب قبل الإسلام، لجرحي زيدان، ص
٦٧-٦٨.

^{١٤١} أنظر تاريخ العرب، لفيليب حتي، ص ٦٦.

العقيق بأرض يثرب^{١٤٢} من المحتمل أن يكون موضع أباديدي المذكورين في
نص سرجون الثاني^{١٤٣}.

وانطلاقاً مما تقدّم نقول: إذا كانت منازل ثمود وعباديد في
الحجاز، فهل يمكن القبول بمقولة فراس السواح التي يرى فيها أن الحملات
الأشورية كانت موجهة عموماً نحو بلاد الشام ولا علاقة لها من قريب أو
بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية. وأن الغزوات الأشورية نحو جزيرة
العرب إنما "كانت موجهة ضد القبائل التي أطلقوا عليها إسم "أريبو"
Aribu أي العرب"، والتي كانت مقيمة أو متحولة "بين بادية الشام
وصحراء النقب. وأنها لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب"^{١٤٤}. ثم ما
المقصود بعبارة "لم تتوغل كثيراً"؟ هل يعني أنها لم تتجاوز الأطراف
الشمالية لشبه الجزيرة العربية؟ وهل وصولها إلى الحجاز لا يعني هذا
التوغل الذي ينفيه السواح؟^{١٤٥}

^{١٤٢} معجم البلدان، ج ٦، ص ١٠٤. كذلك صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص
٢٦٤.

^{١٤٣} كما أنه من المحتمل جداً أن يكون أباديدي (أو عباديدي) هم قوم عاد الوارد
ذكرهم في القرآن بالتوافق مع ثمود تماماً كما ورد في السجلات الأشورية.

^{١٤٤} الحدث التوراتي، ص ١٢٤، ١٢٥. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص
٣٩.

^{١٤٥} لكن الباحث فراس السواح وفي معرض مناقشته للصليبي حول كلمة
"أريبي" الواردة في السجلات الأشورية، يرى أن الكلمة لا تعني "عربة" أو-

وفي الحملة التاسعة التي قام بها آشور بانيبال (٦٦٨-٦٣٣ ق.م) على بلاد العرب لمعاقبة أويتع (Uaiti) بن حزائيل زعيم قبيلة قيدار، الذي حنث بيمينه وخالف عهده وميثاقه معه ونسي الجميل، يرد أن أويتع لم يتمكن من الثبات طويلاً والصمود أمام الآشوريين فاضطر للرجوع إلى البادية والاحتماء بها مع أتباعه. ثم أجبره بعد ذلك على الالتجاء إلى "نتنو" (Natnu) ملك "نبيتي" (Nabaiti) تاركاً زوجته بين أتباعه من قبيلة قيدار^{١٤٦}. لكن ملك نبيتي الذي أخذ يتقرب من الآشوريين أرسل أويتع أسيراً إلى نينوى حيث سلم إلى الملك آشور بانيبال فأمر بوضعه في قفص ليعرض على الناس عند أبواب المدينة. ويخبرنا الملك الآشوري عما صنعه بالأسير أويتع قائلاً في سجل حملته: "حبسته في

"عراة" في عسير (كما يحدد الصليبي في التوراة جاءت، ص ٣٧)، بل هي نسبة إلى العرب، وأن هؤلاء هم شعب كبير متنوع في تقسيماته القبليّة ومتوزع في مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة (الحدث التوراتي، ص ٢٨٩ - ٢٩٠) فهل هذا الكلام ينسجم مع تأكيد المؤلف سابقاً (الحدث التوراتي، ص ٨٠، ١٢٥). وإذا كانت كلمة "أربي" المذكورة في السجلات الآشورية تعني العرب في مختلف أنحاء الجزيرة، فهل بادية الشام وصحراء النقب والفرات الأدنى هي من أنحاء الجزيرة العربيّة؟

^{١٤٦} انظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص ٥٩٣،

٦٠٠، ٦٠١.

مربط الكلاب، وضعته مع بنات آوى والكلاب، وأقامته على حراسة الباب في نينوى"^{١٤٧}.

ووصف حملته على القبائل العربيّة ومطاردته لهم "في رمضاء البادية وقيظها حيث لا ترى طيور السماء، وحيث لا يرى العير (حمار الوحش) ولا الغزال". وذكر في النص الخير التالي الذي يصف فيه حالة الاعراب بعد هزيمتهم: "إشتدت عليهم وطأة الجوع، ولكي يسدوا رمقهم، أكلوا لحوم صغارهم... وقد سأل أهل العربية بعضهم بعضاً: ما بال بلاد العرب قد أحرق بها هذا الشر المستطير؟ فكان الجواب: "تلك عاقبة نكثنا العهد والميثاق الذي قطعناه لآشور".

وذكر آشور بانيبال في كتابته أن منازل قبيلة "نبيتي" بعيدة، ولم يسبق لها أن أرسلت رسلاً من قبل إلى بلاط أحد من آبائه وأجداده في نينوى، وأن هذه هي المرة الأولى التي يصل فيها من هذه القبيلة رسول. ومن المفترض -بناء على ما تقدم- أن تكون مواطن "قيدار" و"نبيتي" متقاربة، أو على الأقل غير متباعدة إلى درجة كبيرة^{١٤٨}. فإذا

^{١٤٧} المرجع السابق، ص ٦٠٢. كذلك "تاريخ العرب"، لفيليب حتي، ص ٦٨.

^{١٤٨} وفي التوراة كذلك تأتي نبايوت مرافقة مع قيدار (أشعيا ٦٠: ٧) كما أن نبايوت وقيدار هما من أبناء اسماعيل (تكوين ٢٥: ١٣). وانطلاقاً من تحليلنا السابق بأن مساكن بني اسماعيل كانت من شرقي اليمن وعسير وحتى-

كانت مواطن قيدر في نواحي تدمر كما يرى فيليب حتي في "تاريخ العرب" ^{١٤٩}، ونبتي في البتراء جنوب المملكة الأردنية الهاشمية ^{١٥٠}، فكيف يمكن تفسير لجوء أويتع زعيم قبيلة قيدر إلى تنتو ملك نبتي طالما أن المسافة بينهما لا تقل عن ٨٠٠ كلم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن تفسير تحالفهما ضد آشور بانيبال الذي انشغل في حربه مع ملك عيلام في عام ٦٤٠-٦٤١ ق.م. هذا التحالف الذي قام في عهد أويتع الثاني، فطلبت قبيلة قيدر مساعدة تنتو ملك نبتي فلبى الطلب وتحالف معهم وأخذوا يهاجمون الحدود الآشورية. غير أن الجيوش الآشورية تمكنت من الانتصار على القيداريين وحلفائهم النبتيين في موضع في البادية بين "يركي" (Jarkī) وأزلة (Azalla)، وشنتت شملهم. ثم انتصرت في معركة أخرى على قيدر و"عشر سمين" (Atarsamain)، وقعت عند (Quraziti) (خرازة)، وغنمت

= أطراف نجد والحجاز، فإن نايوت وقيدر كانتا على ما نرجح بين الحجاز ونجد. وسوف نشير إلى ذلك فيما يلي.

^{١٤٩} تاريخ العرب، لحتي، ص ٦٧، ٧٣. كذلك "المفصل" لجواد علي، ص ٦٠٣.

^{١٥٠} المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٧. كذلك الحدث التوراتي، لفراس السواح، ص ٢٩١-٢٩٤. ونشير هنا إلى أن السواح يرى أن "سالع" عاصمة قيدر (كما ورد عند أشعيا ٤٢: ١١) هي على الأرجح "بيزا" المدينة النبطية المعروفة. وأن الانباط الذين تلو القيداريين لم يكونوا سوى فريق قيداري أقام في سالع بصورة دائمة. أنظر كذلك تاريخ العرب، لفيليب حتي، ص ١٠٣ وما بعدها.

فيها غنائم كبيرة من الجمال والأغنام والحمير، كما أسرت أصنام أويتع وأمه وزوجته وعدداً كبيراً من أتباعه. وفي معركة ثالثة جرت عند خوكرينا (Khukrina) أسر إثنان من زعماء القبائل العربية هما: "أبي يثع" (Abjati) وشقيقه "إيمو" (Aimu) ^{١٥١}.

ويرى جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" أن موضع يركي أو أرك يقع شرقي تدمر. أما موضع خوكرينا فيحدده جرجي زيدان في "العرب قبل الإسلام" قرب دمشق ^{١٥٢}. وحيث أننا لا نوافق على هذا الرأي، نرى أن المعارك الثلاث التي جرت بين الآشوريين والقبائل العربية المتحالفة إنما جرت -على ما نرجح- بين الحجاز ونجد. وسوف نورد فيما يلي تحديداً لهذه المواضع:

أ - يركي أو أرك: هناك أكثر من موضع في الحجاز ونجد يحمل اسم أرك. والموضع المقصود في النص الآشوري هو بلا شك واحد من الاحتمالات التالية: أرك في بلد بني نهد، وأراكة في أسفل بلد زبيد، وأراكة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة ^{١٥٣}. ذو الأراكة في

^{١٥١} أنظر "المفصل في تاريخ العرب"، لجواد علي، ص ٦٠٣.

^{١٥٢} العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص ١٠١.

^{١٥٣} صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٥٣.

العارض، وهو مترافق مع موضع آخر يُدعى إجلة^{١٥٤}. أريك الأبيض في بلد بني أسد بنجد، وأريك بمكة^{١٥٥}.

ب - أزلة: إجلة من ديار جرم في العارض^{١٥٦}.

ج - خرازة: ربما كان موضع خزار، ويُقال له خزازي (أو خرازي). وهو بنجد جنوب ذات عرق وإلى الشرق من الأوس الذين كان بينهم قوم يُقال لهم النبيث. وفي خزاز هذه جرت الوقعة الشهيرة المسماة "يوم خزاز" بين عدنان واليمن^{١٥٧}.

د - خوكرينا: الخورنق وهو من منازل إياد ومن محاضر العرب القديمة إلى جهة العراق^{١٥٨}.

أما نبيي الذين يرد ذكرهم في النصوص الأشورية بالتزاف مع قيثار، كما في النصوص التوراتية، فهم ليسوا بنطي البتراء كما عرفوا حتى الآن. فلو كانوا في البتراء لما ورد في نص آشور بانيبال أن منازل نبيتو بعيدة، ولم يسبق أن أرسلوا رسلاً إلى بلاط آبائهم وأجدادهم في نينوى

^{١٥٤} المرجع السابق، ص ٢٨٣.

^{١٥٥} المرجع السابق، ص ٣٢٨. ونرجح أن يكون الموضع المقصود هو أريك بني أسد، أنظر معجم البلدان لياقوت، ج ١، ص ١٣٥، ١٦٥.

^{١٥٦} المرجع السابق، ص ٢٨٣.

^{١٥٧} المرجع السابق، ص ٣٢٢. كذلك "العرب قبل الإسلام"، لزبدان، ص ٢٣٦.

^{١٥٨} صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٣٢١، ٣٢٨.

من قبل. والبتراء ليست بعيدة إلى هذا الحد عن بلاد آشور إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الآشوريين كانت لهم حملات موجهة نحو بلاد الشام عموماً، ونحو فلسطين حتى غزة وصحراء النقب بشكل خاص. وعليه فإننا نرى أن مواطن نبيي كانت في الحجاز جنوب شرقي يثرب (المدينة) حيث كانت منازل الأوس في الجاهلية. وقد كان بين الأوس قوم يُقال لهم "النبيت" افتخر بهم الشاعر قيس بن الخطيم من شعراء الجاهلية، فمدحهم ووصفهم بالشدة والبأس^{١٥٩}. كما كان في إياد قوم يُقال لهم النبيت كذلك^{١٦٠}.

وفي حين يقرن الصليبي كلمة "نبايوت" التوراتية بقرية النباة في بلاد بني مالك من منطقة الطائف^{١٦١}، فإننا نرجح أن يكون إسم القرية

^{١٥٩} الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٨. ومن شعر قيس في مدح النبيت تنقل هذه الأبيات:

ويثرب تعلم أن النبيت
وقد علموا أن ما قلهم
رأس يثرب ميزانها
حديد النبيت وأعيانها
فلا أعرفنكم بعد عز وثروة
يُقال ألا تلك النبيت عساكر.

^{١٦٠} لسان العرب، ج ٢، ص ٩٧/ج ٣، ص ٥٦٣. تابع العروس، طبعة مصر، ١٢٨٦هـ، ج ١، ص ١١٥. والنبيت أبو حي، وفي الصحاح حي من اليمن إسمه عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة.

^{١٦١} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢١٨ (هامش رقم ١٠). ونشير هنا إلى أن الصليبي يرفض اعتبار نبايوت التوراة بنطي البتراء. وفيليب حتي في-

منسوباً إلى هؤلاء النبيين الذين كان مقامهم هناك. أما قيدر المذكورون في النصوص الأشورية تحت إسم "قيدرو" (Kidru)، فلم يكن مقامهم في شرقي تدمر أو بادية الشام عموماً. وقد ذكرهم بليزوس تحت إسم "قيدراي" (Cederci) وقال أنهم قبيلة عربية تقيم على مقربة من النبط^{١٦٢}. وسواء كان هؤلاء النبط الذين يقصدهم بليزوس "نبطي" البتراء أو "نبيتي" الحجاز، فإن القيداريين كانوا بجوارهم وليس في بادية الشام.

وذكرت قيدر في التوراة ربطاً بالعرب كما جاء عند حزقيال ٢٧: ٢١ "العرب وكل رؤساء قيدر". وعند أشعيا اعتبرت قيدر من بلاد العرب حيث يقول: "وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا... فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأحير يفنى كل مجد قيدر. وبقية عدد قسي أبطال بني قيدر تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم" (أشعيا ٢١: ١٢-١٧).

يذكر أشعيا في هذا النص تيماء وددان وقيدر من جملة قبائل بلاد العرب. فإذا كانت "تيماء" هي واحة تيماء بأعالي الحجاز، وددان هي

^{١٦٢} = "تاريخ العرب" يرجع أن نبيوت التوراة ونبيوت الأشورية ليسوا الأنباط

(ص ١٠٣، هامش رقم ١).

^{١٦٣} الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٩.

"العلأ" اليوم إلى الجنوب الغربي من تيماء، فمن المفترض منطقياً أن تكون قيدر في جوارهما العام، وعلى الأرجح إلى الجنوب منهما وليس إلى الشمال في البتراء التي يرجح الباحث فراس السواح أن تكون هي بالذات "سالع" عاصمة قيدر كما ورد عند أشعيا ٤٢: ١١^{١٦٣}.

فلو سلمنا جدلاً أن "سالع" الواردة في قضاة ١: ٣٦، وملوك ثاني ١٤: ٧، وأخبار ثاني ٢٥: ١٢، وعوبديا ٣، هي موقع "بيترا" (ومعناها الصخر) - كما دعاه اليونانيون - جنوب شرقي البحر الميت في المملكة الأردنية الهاشمية اليوم. فإن سالع هذه تعتبر توراتياً من بلاد الأدوميين، وقد بقيت عاصمتهم حتى القرن الرابع قبل الميلاد حين استولى عليها الأنباط. وقد استطاع أمصيا ملك يهوذا (حوالي ٧٩٩-٧٧١ ق.م) انتزاعها منهم، لكنهم ما لبثوا أن استعادوها. ففي عهد آحاز (٧٣٥-٧١٦ ق.م) غزا الأدوميون يهوذا وسبوا سبياً (٢ أخبار: ٢٨: ١٧)، وحدث هذا في زمن أشعيا الذي بدأ رسالته النبوية في عام ٧٤٠ ق.م (عام وفاة عزيا ملك يهوذا ووالد آحاز) وأكملها في عهد آحاز وحزقيا (٢ أخبار: ٢٠: ٣٢). من هنا نعتقد بأن "سالع" قيدر الواردة عند أشعيا ٤٢: ١١، ليست "سالع" التي كانت عاصمة الأدوميين في زمن أشعيا

^{١٦٣} الحدث التوراتي، ص ٢٩٣-٢٩٤. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص ١٠٤، هامش رقم ١٥٠. بشأن ددان أنظر فصل "صور التوراتية وجبل"، ص ٢٦٣-٢٦٤.

من هنا نرى بأن "سلع" بني قيدر الذين كانوا في بلاد العرب هي موضع "سلع" (سلع تماماً كما في النص العبري) الذي يذكره الهمداني في الصفة^{١٦٨}، وهو بأرض يثرب حيث موضع النبئت الذين رأينا سابقاً أنهم "نبئي" النصوص الآشورية و"نبايوت" التوراة.

وفي ختام هذه الخلاصة، نتوقف عند نص حران الذي اكتشف عام ١٩٥٦م، ولم يشر إليه السواح في تحليله للحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين نحو بلاد الشام والقبائل العربية بين بادية الشام وصحراء النقب. فقد عثر على هذا النص في خرائب جامع حران الكبير وترجم إلى الانكليزية، وهو يتحدث عن حملة الملك البابلي نبونيد (٥٥٦-٥٣٩ ق.م) في الحجاز، ومما جاء فيه: أنه لما ترك بابل وجاء إلى "تيماء" أخضع أهلها، ثم ذهب إلى "ددانو" (ديدان أو العلا) و"بداكو" (فدك)

=اعتبر تقليدياً أن أدوم جنوب شرقي البحر الميت. ويلزم كذلك أن تكون بلاد العرب (ومنها قيدر وسالع قيدر) التي ذكرت عند أشعيا في موقع أبعد من أدوم. وحول الصلات والروابط بين أدوم وإسرائيل أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩-٤٠، ٤٤٥-٤٤٦.

١٦٨ صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٤. ويذكره كذلك ياقوت في معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٧. حيث يرد أن سلع جبل بسوق المدينة، وقال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة. وقال الشاعر قيس بن ذريح في جارية يزيد بن عبد الملك، وكانت أحسن الناس وجهاً ومسموعاً، وكان منشؤها بالمدينة: لعمرك إني لأحب سلعاً لرؤيتها ومن أكناف سلع.

النبى. فأشعيا يتحدث عن بني قيدر الذين كانوا في بلاد العرب، ولا يعقل أن يخلط بينهم وبين الأدوميين الذين جاؤوا بني إسرائيل. ومن ثم فلا يعقل أن يقصد بـ "سالع" عاصمة قيدر وأدوم في نفس الوقت^{١٦٤}.

ثم إذا كانت بلاد العرب - كما يقول السواح - غير مجاورة لمملكتي يهوذا وإسرائيل، وأهلها لا يمتون بصلة لأهل التوراة، بل هم شعب مغاير لهم في كل شيء، ولا تربطه بهم رابطة قريبة كانت أم بعيدة^{١٦٥}. "وبلاد العرب المقصودة في التوراة هي جزيرة العرب. مما فيها عسير واليمن، حيث تذكر سبأ والسبئيون إلى جانب بقية الجماعات العربية. وهذه الأرض لا علاقة لها بملكة يهوذا وإسرائيل"^{١٦٦}. نقول: إذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن اعتبار سالع قيدر هي "بيتر" المدينة النبطية المعروفة، طالما أن هذه كانت مجاورة لمملكة يهوذا وإسرائيل منذ عصر داود وسليمان وحتى السبي، وترتبط بها بأكثر من صلة أو علاقة^{١٦٧}، وبلاد العرب ليست كذلك.

١٦٤ ولعله لهذا السبب بالذات يرى قاموس الكتاب المقدس بأن "سلع" الواردة في القصة والملوك الثاني والأخبار الثاني، ربما كانت هي نفسها الواردة عند أشعيا ٤٢: ١١ و ١٦: ١. يقول ربما ولا يؤكد. (أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦).

١٦٥ الحدث التوراتي، ص ٢٩٢.

١٦٦ الحدث التوراتي، ص ٢٩٥.

١٦٧ تجدر الإشارة إلى أنه انطلاقاً من إصرار السواح على اعتبار فلسطين أرض التوراة، يلزم أن تكون بلاد الأدوميين هي المجاورة لأرض إسرائيل طالما =

"وخيرا" (خير) و"يديعو" (يديع) حتى بلغ "اتريسو" (يثرب) ^{١٦٩}. والأماكن المذكورة في النص معروفة كلها في الحجاز بين تيماء شمالاً ويثرب جنوباً، وما زالت موجودة حتى اليوم باستثناء موضعي فديع وفديع. وفديع من الواحات القديمة التي كانت معروفة في صدر الإسلام ولم يبق منها سوى مساحة صغيرة قرب خير ^{١٧٠}. أما موضع يديع فقد أشرنا إليه سابقاً في خلال الحديث عن حملة أسرحدون على أرض بازو ^{١٧١}، وقد ذكره الهمداني في الصفة وياقوت في معجم البلدان ^{١٧٢}. وإن وروده في نص نبونيد بين خير ويثرب يؤكد صوابية تحليلنا السابق حول أرض بازو التي ذكرت في السجلات الآشورية، وبوز وعوص التوراتيتين.

وبعد، فهل يمكن القبول بمقولة فراس السواح بأن "أبكر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين، غرباً كانت موجهة ضد بلاد

^{١٦٩} المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٦١٤. كذلك معجم

البلدان، لياقوت، ج ٤، ص ٢٣٨.

^{١٧٠} تاريخ العرب لختي، ص ٤٤. الصفة للهمداني، ص ٣٢١.

^{١٧١} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٩٣.

^{١٧٢} معجم البلدان، ج ٨، ص ٥٠٢. ويديع ناحية بين فديع وخير بها عيون لبني

فزارة وبني مرة.

الشام... وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية ^{١٧٣}.

^{١٧٣} تجدر الإشارة في ختام هذه الفقرة إلى أن الإخباريين العرب يرون أن يختصر قد غزا أهل حصور في اليمن (وربما هي حاصور الواردة في التوراة). ويرد عند إرميا ٤٩: ٢٨ وما بعدها عن قيذار وممالك حاصور التي صربها نبوخذ نصر ملك بابل. إن التوافق بين قيذار وحاصور لا يدعم كثيراً اعتبار حاصور في شمال فلسطين قرب بحيرة الحولة، في حين أن قيذار من القبائل العربية في الحجاز بأرض يثرب (أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٣٥٠). وينقل الهمداني عن الإخباريين العرب كذلك أن أولاد معد بن عدنان عندما غموا وتكاثروا ولم تعد منازلهم بمكة وما والاها تتسع لهم، وكانت أرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لأخرب يختصر إياها وإجلأ أهلها إلا من كان اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها، فاقتسموا غور تهامة بينهم على سبعة أقسام، لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن. (أنظر الصفة، ص ٥٦، كذلك ص ١٠٨-١٠٩ حيث يرد أكثر من حضور يمنية).

٧ - مصر التوراتية من خلال النص

بعد أن استعرضنا في الصفحات السابقة من هذا القسم مسألة الحملات الآشورية على بلاد العرب والقبائل العربية عموماً والتي هي في الغالب من بني اسماعيل. وقد استلزمت منهجية البحث مناقشة الباحث فراس السواح في تعيين مواطن هذه القبائل، وعما إذا كانت مواطنهم تصل إلى حدود مصر وادي النيل (أو شور التي قبالة مصر) أم إلى مصر أخرى غير هذه، وإلى شور أخرى ليست - كما اعتبر تقليدياً - واقعة في غربي سيناء. كما استلزمت منهجية البحث كذلك مناقشة الباحث كمال الصليبي في بعض جوانب أطروحته "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، وبخاصة تلك الجوانب المرتبطة بشكل مباشر بالإطار الجغرافي للمسائل التي كانت في أساس البحث. وقد قادتنا تلك المسائل إلى الولوج في مسألة "مصر التوراتية" و"مصري" المذكورة في السجلات الآشورية، فتبين لنا أنهما ليستا مصر وادي النيل، بل على الأرجح مملكة صغيرة كانت في الحجاز من شبه جزيرة العرب. وفي سياق المسائل التي عولجت كان لا بدّ من طرح بعض النقاط المتعلقة بمدى تلاؤم فلسطين وشرقي الأردن مع المعطيات الجغرافية والمناخية والنباتية التي تثبتها

النصوص التوراتية، وهذا قادنا أيضاً إلى البحث عن "أرض مصر" انطلاقاً من النصوص التي تناولناها في هذا السياق. فنحن لم نتناول سوى بعض النصوص التي كان تناولها يبدو ضرورياً لاستيفاء المسائل المعالجة حقها من البحث والتحليل. وفي خلال هذه الفقرة سوف نطرح مسألة "مصر التوراتية" استناداً إلى جملة من النصوص التي يظهر من خلالها أن مصرًا في التوراة ليست مصر الفرعونية.

١ - مصر "المدينة" أو "القرية"

من بين عشرات المواضع التي ذكرت فيها مصر (مصرًا) في التوراة، قليلة - بل نادرة - هي النصوص التي تشير، وبصورة لا غموض فيها، إلى أن مصر المقصودة هي مدينة أو قرية محدودة السكان، وإلى أن المصريين هم عشيرة أو قبيلة. لكن تلك النصوص، على قلتها، تقدم للبحث الذي نحن في صددده قيمة فريدة.

يشير إرميا النبي في الإصحاح السادس والأربعين إلى مصر المدينة حين يقول: كلمة الرب التي صارت إلى إرميا النبي عن الأمم، عن مصر... تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول أصعد وأغطي الأرض، أهلك المدينة والساكين فيها^{١٧٤}، (٤٦: ١-٨).

^{١٧٤} المدينة في العبرية "ه-ع"، وقد جاءت الكلمة في النص العبري نكرة مفردة "ع". ولهذا ترجمت في الترجمة اليسوعية (طبعة دار المشرق ١٩٨٦) -

فمصر هنا "مدينة" وليست أمباطورية أو دولة كبيرة المساحة والسكان، كما هي الحال بالنسبة لمصر الفرعونية. ومما يؤكد صحة هذا الاستنتاج ما ورد في سفر زكريا ١٤: ١٧-١٨: "ويكون أن جميع الذين لا يصعدون من عشائر الأرض إلى أورشليم ليسجدوا للملك رب الجنود لا ينزل عليهم المطر. وعشيرة مصر إن كانت لا تصعد ولا تأتي تنالها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال"^{١٧٥}. إن الإشارة إلى مصر القبيلة أو العشيرة عند زكريا، تلقي

-بالمفرد، وكذلك في الترجمة الانجيلية (دار الكتاب المقدس في العالم العربي). بينما جاءت العبارة في الترجمة اليسوعية الأحداث (دار المشرق ١٩٨٩): "وأبيد المدن والساكنين فيها". لكن النص العبري قصده مدينة واحدة (عبر بالمفرد) وليس مدناً (عبريم)، حتى ولو كانت نكرة. وفي سفر الخروج (٩: ٢٩، ٣٣) كذلك، تأتي الإشارة إلى مصر المدينة حيث يرد: "فقال له موسى عند خروجه من المدينة... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون". وهي هنا مفردة معرفة "ه-ع". وبخصوص كلمة "النيل" التي تشير إلى النيل المصري، فهي في الأصل العبري "يثور": وتعني النهر أو الجدول أو الساقية. وعليه فإن الترجمة الأكثر دقة هي: "تصعد مصرًا كجدول وكأنهار...". وسوف نعود إلى هذه المسألة في فقرة لاحقة.

في بعض الترجمات يرد تعبير "عشيرة مصر" (الترجمة اليسوعية)، وفي غيرها (الترجمة الانجيلية) يرد "قبيلة مصر". والكلمة العبرية "مشبحة" تعني قبيلة أو عشيرة أو أسرة. (أنظر المعجم الحديث، عبري - عربي، تأليف ربحي كمال، ص ٢٨٨).

الضوء على عبارة إرميا "أهلك المدينة والساكين فيها"، أي أهلك قبيلة المصريين الذين ليسوا -وفي أية حال- شعب وادي النيل.

وقد جاء في القرآن الكريم، وفي الكلام على قصة موسى، أنه دخل مصر المدينة وخرج منها هارباً. وهذا يتوافق تماماً مع ما ورد عند إرميا بحيث نرى أن مصر -سواء في التوراة أو في القرآن- هي مدينة أو قرية لا يتعدى سكانها حجم العشيرة أو القبيلة. جاء في سورة القصص ٢٨، آية ١٤: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقضى عليه ... فأصبح في المدينة خائفاً يترقب (١٨) ... وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال يا موسى إن الملائكة يأمرون بك ليقتلوك فاهرب إنني لك من الناصحين (٢٠) ... فخرج منها خائفاً يترقب، قال رب أنجي من القوم الظالمين" (٢١).

وكما في التوراة، كذلك في القرآن، فقد دمرت مدينة مصر لأنها طغت واستكبرت وكفرت بالرسول، "وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك ... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون". (سورة الأعراف ٧، آية ١٣٧).

وفي بعض المواضع القرآنية ترد مصر كقرية من بين مجموعة القرى التي ظلمت وكفرت. ففي سورة هود أو الأعراف أو القصص أو غيرها، تعداد لهذه القرى، وهي قرية إرم حيث قوم عاد، وقرية الرس، وقرية ثمود، وقرية مدين، وأصحاب الأيكة، وقرية لوط، وقرية فرعون. وتختتم سورة هود سردها لهذه القرى وأخبار أهلها بالآية: "ذلك من أبناء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد... وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد" (آية ١٠٠، ١٠٢).

وفي سورة الأعراف نقراً: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" (آية ٩٦). و"تلك القرى نقص عليك من أنبائها، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل" (آية ١٠١).

وهذه القرى تقع كلها في منطقة واحدة هي وادي القرى بالحجاز بين مكة التي هي أم القرى، والحجر قرية ثمود. وقد بُعث النبي في مكة لينذر أهلها بعد أن أهلك الله ما حولها من القرى. "ولقد

^{١٧٦} يرد في تفسير ابن كثير حول تعبير "منها قائم وحصيد" أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين. فمنها قائم أي عامر وحصيد أي هالك. (ج ٣، ص ٢٥٨).

أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون" (سورة الأحقاف ٤٦، آية ٢٧) ١٧٧.

وقد استخدم القرآن كلمتي القرية والمدينة ليشيرا إلى مضمون واحد في كلتا الحالتين. فقرية لوط -على سبيل المثال- دُعيت في بعض الآيات القرآنية "قرية"، وفي بعضها الآخر "مدينة". نقرأ في سورة الحجر حيث دُعيت القرية بالمدينة: "وجاء أهل المدينة يستبشرون. قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، واتقوا الله ولا تخزون. قالوا أو لم ننهك عن العالمين. قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين، لعمرك إنهم لفبي سكرتهم يعمهون. فأخذتهم الصيحة مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل" (آية ٦٧-٧٤). وفي سورة الأعراف استخدم النص القرآني كلمة القرية: "ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة، ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون. وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون" (٨٠-٨٢).

٢ - بنو إسرائيل أكثر من شعب مصر

"وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب ... رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين

ودان ونفتالي وجاد وأشير. وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر" (خروج ١: ٥-١٠). هكذا يبدأ الإصحاح الأول من سفر الخروج ليخبرنا بأن بني إسرائيل الذين دخلوا مصر التوراتية (أرض مصر) كانوا سبعين شخصاً مع يوسف الذي كان في مصر وتزوج هناك وولد منسى وإفرائيم. لكن عشيرة إسرائيل هذه أصبحت بعد زمن أكثر وأعظم من المصريين على ما تقوله التوراة. وفي متابعة سفر الخروج نقرأ ما يلي: "ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل. وأما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا وكثروا كثيراً جداً، وامتألت الأرض منهم. ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نخال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض" (خروج ١: ٦-١٠).

إن ما يقوله هذا النص بكل وضوح، أن بني إسرائيل أعظم من المصريين. فهل مصر وشعبها المقصودين هنا هما مصر وادي النيل وشعبها؟ إن الواقع لا يمكن أن يكون كذلك، وفي أية حال من الأحوال. وحتى لو فرضنا أن الاسرائيليين لم يعودوا سبعين نفساً كما كانوا زمن دخولهم أرض مصر، بل نموا وتوالدوا وكثروا وأثامروا كثيراً جداً، فهم مع ذلك لا يمكن أن يصبحوا أعظم من شعب مصر الفرعونية في مدى جيلين أو ثلاثة أجيال أو أكثر.

١٧٧ راجع تفسير ابن كثير، ج ٥، ص ٣١١.

وإذا فرضنا أن الزمن الذي انقضى بعد موت يوسف، ومن ثم تكاثر بني إسرائيل، إلى قيام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، هو في حدود قرن بل قرنين. مع أن منطق النص يوحى بأن هذا الملك الجديد قام بعد يوسف بفترة قصيرة نسبياً قد لا تتعدى الجيل أو الجيلين على الأكثر. نقول إذا ما فرضنا أن الفترة الزمنية الفاصلة قد تصل إلى ستة أجيال أو قرنين، أي نصف الزمن الذي بقي فيه الاسرائيليون في مصر^{١٧٨}، فإن تزايد بني إسرائيل في خلالها لا يمكن أن

^{١٧٨} لقد بقي الاسرائيليون في مصر، على ما جاء في سفر الخروج ١٢: ٤٠-٤١، مدة أربع مئة وثلاثين سنة. ونشير هنا إلى أن الباحث السوري أحمد داود، وفي دراسة له نشرت في جريدة الديار اللبنانية (أعداد: ٢٩ و ٣٠ أيلول ١٩٩٠، و تشرين الأول ١٩٩٠) يعتبر "أن عدد بني إسرائيل كان أكثر من المصريين زمن يوسف بن يعقوب، علماً أن عددهم كان، كما تحدده التوراة، سبعين نفساً فقط". لكن هذا الرأي ليس دقيقاً، فإذا كان صحيحاً أن عدد الاسرائيليين سبعون نفساً في زمن يوسف، فليس صحيحاً أن هذا العدد كان يفوق المصريين، لأن النص لا يقول ذلك. فالباحث داود قد أهمل جانباً أساسياً من النص (خروج ١: ٦-٧) يقول بأن يوسف قد مات، وكذلك إخوته وجميع ذلك الجيل، وتكاثر بنو إسرائيل جداً، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. وحول ما إذا كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين موت يوسف وإخوته، وقيام ملك جديد على مصر، طويلة أم قصيرة، فنحن لا نستطيع تحديدها بدقة لأن النص لا يوضح هذا الأمر. لذلك نفترض أن تكون قد امتدت إلى ستة أجيال.

يصل إلى درجة يصبحون معها أعظم من شعب وادي النيل. فإذا كان تكاثرهم يتم حسب المتواليات الهندسية (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، إلخ)، ويتضاعف عددهم مرة في كل جيل، ففي الجيل السادس لن يصبحوا أكثر من خمسة آلاف نسمة، وفي العاشر أكثر من سبعين ألفاً^{١٧٩}، ومع ذلك لن يصيروا أكثر وأعظم من شعب مصر الفرعونية. فالهرم الكبير بالجيزة، وهو هرم الفرعون خوفو (وقد حكم بين ٣٠٦٨-٣٠١١ ق.م)، عمل في نقل حجارته البالغ عددها مليونين ونصف تقريباً، وفي بنائه، مئات

^{١٧٩} نحن نفترض أن تكون الأرقام الواردة في التوراة حول عدد الاسرائيليين عندما خرجوا من أرض مصر، دقيقة بوجه عام، مع أنها في الواقع قد تكون أرقاماً مبالغاً. فإذا كان الاسرائيليون الخارجون من مصر نحو ست مئة ألف من الرجال عدا الأولاد (خروج ١٢: ٣٧)، فإن تزايدهم السكاني قد تم حسب المتواليات الهندسية، فتضاعف عددهم مرة في كل جيل (مع أن ذلك ليس مطلقاً وفق نسب التزايد السكاني)، وذلك على الوجه التالي: ٧٠-١٤٠-٢٨٠-٥٦٠-١١٢٠-٢٢٤٠ (أو ٢٢٥٠-٤٥٠٠-٩٠٠٠-١٨٠٠٠-٣٦ ألف-٧٢ ألف-١٤٤ ألف-٢٩٠ ألف أو ٣٠٠ ألف-٦٠٠ ألف. أي أنهم تزايدوا من سبعين نفساً إلى ست مئة ألف في ثلاثة عشر جيلاً، وهي المدة التي قضوها في مصر (٤٣٠ سنة، والقرن ثلاثة أجيال). (راجع حول التزايد السكاني والمتواليات الهندسية، كتاب "دراسات في علم السكان"، تأليف د. حسن الساعاتي، د. عبد الحميد لطفي، دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧١، ص ٧٧).

الآلاف من العمال مناوبة، فكان يعمل منهم مائة ألف في كل نوبة، وكل نوبة تعمل ثلاثة أشهر كما ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس^{١٨٠}.

٣ - إخوة يوسف في مصر

في سياق رواية سفر التكوين عن أبناء يعقوب وذهابهم إلى مصر لشراء القمح، لما حدثت مجاعة في أرض كنعان، "وكان الجوع شديداً في الأرض" (٤١: ٥٧، ٤٢: ٥، ٤٣: ١)، نقرأ أنه في المرة الأولى "نزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر، وأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته" (٤٢: ٣-٤). ثم عادوا حاملين قمحهم وجاءوا إلى يعقوب أبيهم إلى أرض كنعان. وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذي جاءوا به من مصر أن أباهم قال لهم إرجعوا اشترؤا لنا قليلاً من الطعام، فقال يهوذا لأبيه إسرائيل (يعقوب): "إننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين" (٤٣: ١٠). إن

^{١٨٠} أنظر "قصة الحضارة"، تأليف ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، طبعة جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١، ج ٢، ص ٦٩. ونذكر القارئ بأن الأرقام التي ذكرها هيرودوتس قد تكون مبالغاً (كما الأرقام التوراتية). لكن يجب أن نلاحظ أن بناء هرم خوفو قد تم في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وأن المصريين لا بد أيضاً أن يكونوا قد تكاثروا -ولو نسيباً- خلال اثني عشر قرناً، على الأقل، قبل دخول الاسرائيليين إلى مصر.

قراءة هذه القصة، إنطلاقاً من منطق النص بالذات، توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

أ - إن الوسيلة التي استخدمها إخوة يوسف للذهاب من أرض كنعان (التي اعتبرت تقليدياً فلسطين) إلى مصر والعودة منها حاملين القمح، هي الحمير. فإذا سلّمنا بإمكانية عبور صحراء سيناء الفاصلة بين فلسطين ووادي النيل بواسطة الحمير، وبإمكانية نقل القمح على ظهورها، فإننا لا نستطيع أن نتصور أن حمولة عشرة حمير سوف تزيد عن أربع مئة رطل كحد أقصى (أو أربعة قناطير) إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن المسافة لا تقل عن ٧٥٠ كيلومتراً ذهاباً وإياباً.

ب - إن كمية القمح هذه لا يمكن أن تكفي عشيرة إسرائيل التي تقدر بشمانين نفساً مع النساء^{١٨١}، أكثر من أربعين يوماً، أي بمعدل عشرة أرطال في اليوم الواحد.

ج - لقد قال يهوذا لأبيه -وبعد أن فرغوا من أكل القمح الذي جاؤوا به من مصر- "إننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين". فإذا فرضنا أنهم قد توانوا عن الذهاب مرة ثانية، فترة من

^{١٨١} إن هذا الرقم مبني على أساس أن بني يعقوب الخارجين من صلبه كانوا ستة وستين شخصاً ما عدا النساء (تكوين ٤٦: ٢٦)، بالإضافة إلى يعقوب ونسائه الثلاث (راحيل ماتت عندما ولدت بنيامين، تكوين ٣٥: ١٩)، ونساء أولاده وأحفاده أكثر من عشر (ثلاث عشرة امرأة، تكوين ٤٦: ٨-٢٥).

الزمن تعادل الزمن الذي مرّ إلى حين انتهاء كمية القمح -أي أربعين يوماً^{١٨٢}، فإنهم لا يمكنهم في خلالها الذهاب إلى مصر والعودة منها مرتين، لأن ذلك سوف يستغرق ثلاثة أشهر على الأقل، أي بمعدل ٤٥ يوماً للمرة الواحدة.

د - من هنا نرى، وبشكل قاطع، أن مصر المقصودة ليست مصر وادي النيل. بل هي إمارة مجاورة لموطن عشيرة إسرائيل ولا تبعد عنها أكثر من مسيرة عشرة أيام على أبعد تقدير. وفي القرآن الكريم وخلال الكلام على قصة يوسف وإخوته، يقول كبيرهم (وهو رأوبين): "إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك (أي بنيامين) سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين. واسأل القرية التي

^{١٨٢} إننا نفترض أن تأخرهم عن الذهاب مرة ثانية قد يصل إلى أربعين يوماً، مع أن هذه الفترة طويلة نسبياً. ذلك لأن الجوع كان شديداً في الأرض وكمية القمح التي حملوها من مصر في المرة الأولى كانت قد استهلكت، كما دفع يعقوب ليقول لأولاده: "أرجعوا اشترؤا لنا قليلاً من الطعام" (تكوين ٤٣: ٢). ولكنهم تأخروا عن الذهاب لأن يعقوب رفض أن يرسل معهم ابنه الأصغر بنيامين كما اشترط الرجل سيد الأرض في مصر (أي يوسف). ثم ما لبث أن انصاع لهذا الشرط بالرغم من أن بنيامين هو الوحيد الباقي له من زوجته راحيل بعدما فقد يوسف أخاه البكر، مما يؤكد حاجتهم الماسة إلى الطعام وعدم إمكانية تأخرهم إلى أكثر من هذه المدة. وحتى لو تأخروا شهرين، فليس بالإمكان في خلال ذلك الذهاب إلى مصر والعودة مرتين.

كنا فيها والعر" (سورة يوسف ١٢، آية ٨٠-٨١). مما يوحي بأن مصر التي كان فيها إخوة يوسف هي قرية مجاورة لموطن بني إسرائيل. فلو أراد يعقوب التأكد من صدق أولاده لكان بإمكانه أن يسأل قرية المصريين القريبة منه. وفي تفسير ابن كثير: المراد بالقرية مصر^{١٨٣}.

٤ - جنازة يعقوب

جاء يعقوب مع عشيرته إلى أرض مصرام وهو بعمر مئة وثلاثين سنة (تكوين ٤٧: ٩)، وعاش هناك سبع عشرة سنة. ولما قربت أيامه "دعا ابنه يوسف وقال له: "إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفاً وأمانة، لا تدفني في مصر. بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم" (تكوين ٤٧: ٢٨-٣١). وعندما أصبح على فراش الموت دعا أبناءه جميعاً وأوصاهم وقال لهم: "أنا أنضم إلى قومي، إدفنوني عند آبائي في

^{١٨٣} أنظر ج ٣، ص ٣٠٢. ونلفت نظر القارئ إلى أن الباحث أحمد داود وفي مقالته المشار إليها سابقاً، يطرح هذه المسألة كذلك ويقول: أن يوسف لم يبع إخوته حاجتهم في المرة الأولى، بل عادوا أدراجهم صفر الأيدي. لكن النص التوراتي لا يقول ذلك بل يؤكد أن يوسف أمر "أن تملأ أوعيتهم قمحاً، وترد فضة كل واحد إلى عدله، وأن يعطوا زاداً للطريق. ففعل لهم هكذا. فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك" (تكوين ٤٢: ٢٥-٢٦). ويبدو أن الباحث داود قد استند في رأيه هذا إلى النص القرآني (سورة يوسف، آية ٦٣).

المغارة... التي في حقل المكفيلة التي أمام ممرا في أرض كنعان، التي اشتراها ابراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ملك قبر. هناك دفنوا ابراهيم وسارة امرأته، هناك دفنوا أسحق ورفقة امرأته، هناك دفنت ليثة" (تكوين ٤٩: ٢٩-٣١)^{١٨٤}.

وبعد موت يعقوب أمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوه، ثم صعد ليدفن أباه في أرض كنعان حسب وصيته. "وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه. غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان. وصعد معه مركبات وفرسان فكان الموكب عظيماً جداً. فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً

^{١٨٤} تجدر الإشارة إلى أن "ليثة" زوجة يعقوب الأولى قد ماتت في أرض مصر ايم بعد انتقال عشيرة اسرائيل إليها من أرض كنعان. أما راحيل زوجته الثانية فقد ماتت في أرض كنعان قبل الهجرة إلى مصر، ودفنها يعقوب في طريق أفرائيم التي هي بيت لحم (تكوين ٤٨: ٧). فإذا كانت ليثة قد ماتت في مصر ايم ودفنت في مغارة المكفيلة كما يقول يعقوب: "هناك دفنت ليثة"، فمن المفترض -بناءً على ذلك- أن يكون يعقوب قد صعد من مصر إلى أرض كنعان ليدفن زوجته (كما صعد يوسف ليدفن أباه)، مما يوحي بأن الانتقال من مصر ايم إلى كنعان ليدفن ميت، كان أمراً يسيراً وليس بمثل الصعوبة التي يتصورها المرء في حمل ميت من مصر وادي النيل وعبور صحراء سيناء بهدف دفنه في فلسطين. (حول موت ليثة في أرض مصر ايم، أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٢٦).

وشديداً جداً، وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام. فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا: هذه مناحة ثقيلة للمصريين. لذلك دعي اسمه آبل مصر ايم الذي في عبر الأردن. وفعل له بنوه هكذا كما أوصاهم: حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة... أمام ممرا" (تكوين ٥٠: ٧-١٣).

وتجدر الإشارة أولاً، إلى أن الباحث كمال الصليبي قد قام بقراءة هذه القصة في ضوء جغرافية غرب شبه الجزيرة العربية بين عسير وتهامة. وهو يرى أن موكب الجنازة قد انطلق من المصرفة، بجوار خمس مشيط في عسير الداخل، صعوداً إلى مرتفعات السراة حيث توقف للمناحة عند جبل ضرم (بيدر أطاد أو آبل مصر ايم). ثم عبر شفا السراة عن طريق عقبة حضوة التي تسير بمحاذاة جبل ضرم، متابعاً سيره نزولاً باتجاه منطقة القنفذة من تهامة حيث قرية المقلعة. فموكب الجنازة حسب قراءة الصليبي قد انطلق من مصر ايم شرقاً إلى أرض كنعان غرباً^{١٨٥}.

^{١٨٥} أنظر "حفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، ص ١٥٦-١٥٨. ومهما يكن من أمر صوابية تحليل الصليبي عموماً، فإننا نتفق معه حول مسألة انطلاق موكب جنازة يعقوب من الشرق إلى الغرب، وليس من الغرب إلى الشرق كما هو الواقع بالنسبة لجغرافية مصر وادي النيل وفلسطين. وسوف نوضح ذلك في سياق هذه الفقرة.

كما أن الباحث أحمد داوود قد أشار إلى "حكاية دفن يعقوب" في مقالته المشار إليها آنفاً، مؤكداً على استحالة أن تكون مصرًا هي مصر وادي النيل^{١٨٦}.

وفي حين أن الصليبي - وإلى حد ما داوود - ينطلق من مسلمة مسبقة وهي أن أرض التوراة في عسير وتهامة، ويحاول في ضوئها قراءة جغرافية قصة جنازة يعقوب. فإننا على العكس من ذلك سوف ننطلق من التسليم مسبقاً بأن أحداث القصة قد جرت بين وادي النيل وفلسطين، لنرى ما إذا كانت قد جرت فعلاً في هذا الإطار الجغرافي، وما إذا كانت المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي تنسجم مع هذا الإطار. وعليه نسجل الملاحظات التالية:

أ - إن الكلمة العبرية "أطاد" قد تعني الشوك أو العليق أو شجرة شائكة، ويمكن أن تعني كذلك شجرة "القتاد"^{١٨٧}. من هنا نرى بأن الترجمة الأكثر دقة لعبارة "جرن ه-ءطد" ليست

"بيدر الشوكة" كما ورد في الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)^{١٨٨}، بل "بيدر القتاد".

ب - إن موضع بيدر أطاد أو آبل مصرايم، كما يحدد النص، هو في عبر الأردن (عبر ه - يردن)، أي شرقي الأردن التوراتي. وقد اعتبر الباحثون التوراتيون عموماً، أن هذا المكان يجب أن يكون في نقطة ما إلى الشرق من نهر الأردن الفلسطيني في المملكة الأردنية الهاشمية، دون الوصول إلى تحديد موضعه كما جرى في حالات أخرى مشابهة. ولهذا يكتفى عادة بالقول بأن هذا المكان "لا يعرف الآن على وجه التحقيق"^{١٨٩}.

ج - إن عبارة "جرن ه-ءطد" إذا ما أخذت بمعنى "بيدر القتاد"، وليس بيدر الشوك أو العليق، سوف تثير بلا شك إشكالاً أساسياً لأن شجر القتاد لا ينبت في الأردن وفلسطين. بل هو من نبات

^{١٨٨} أنظر ص ١٤٧. كذلك في الهامش حيث يرد بأن بيدر الشوكة وآبل مصرايم هما: "موقعان مجهولان يحددهما النص كأنهما في عبر الأردن". وتعبير "كأنهما" يوحي بأن المترجمين قد وقعوا في شك حول كون هذين المكانين يقعان حقيقة في شرقي الأردن. فإذا كان موقعهما كذلك - وهذا ما يثبت به النص - فلماذا جاء الموكب إلى شرقي الأردن أولاً؟ ولم يأت مباشرة إلى حبرون الواقعة غربي الأردن؟

^{١٨٩} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٧.

^{١٨٦} أنظر ص ١٢٢ سابقاً، هامش رقم ١٧٨. كذلك المقدمة، ص ١٣.

^{١٨٧} أنظر المعجم الحديث، عبري-عربي، لربحي كمال، ص ٤٠. كذلك قاموس

ي. قوجمان، عبري-عربي، مكتبة المحتسب، القدس ١٩٧٠، توزيع دار الجيل

بيروت، ص ٢٣.

الجزيرة العربية، وعلى الأخص بنجد وتهامة^{١٩٠}. ولكننا سنتجاوز هذا الأمر معتبرين أن موضع بيدر أطاد هو في شرقي الأردن، وذلك انسباقاً مع المنطلق المنهجي الذي أشرنا إليه قبل قليل.

وبناءً على هذه الملاحظات، يفترض منطقياً أن يكون موكب الجنازة قد انطلق من مصر وادي النيل عبر صحراء سيناء، ليصل إلى بيدر أطاد الذي في شرقي الأردن قبل وصوله إلى أرض كنعان. فالنص يقول أن أبناء يعقوب -وبعد المناحة في بيدر أطاد- فعلوا كما أوصاهم، فحملوه "إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة". مما يعني أنهم مروا ببيدر أطاد الذي في عبر الأردن قبل وصولهم إلى قبر ابراهيم وسارة وإسحق أمام ممرا بالقرب من حبرون.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن حبرون تعتبر اليوم مدينة الخليل الواقعة إلى الجنوب الغربي من القدس بتسعة عشر ميلاً، وإلى الغرب من البحر الميت^{١٩١}. فإن المنطق يحتم القول بأنهم وصلوا إليها قادمين من الشمال الشرقي بعد عبورهم نهر الأردن. نقول ذلك لأنه من غير المعقول أن يكونوا قد توجهوا إليها من الجنوب الشرقي، أي من الطرف الجنوبي للبحر الميت. فهذا الطريق لا ينسجم مع منطق النص

^{١٩٠} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٤٨، هامش رقم ٣٢.

^{١٩١} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٨٦-٢٨٧.

القائل بأنهم توقفوا للمناحة سبعة أيام في بيدر أطاد الواقع "في عبر الأردن" (عبر هـ - يردن).

وهنا نستنتج أن الطريق الذي سلكه الموكب من مصر إلى حبرون -مروراً بعبر الأردن- لا بد أن يكون واحداً من اثنين: إما أنهم جاءوا عن طريق الساحل نحو غزة، وتابعوا سيرهم شمالاً باتجاه نهر الأردن، ثم عبروه نحو الشرق للمناحة في بيدر أطاد، ثم عادوا وعبروه مرة ثانية نحو الغرب وانطلقوا جنوباً نحو حبرون. وهذا غير معقول لأن بإمكانهم التوجه من غزة إلى حبرون (الخليل) مباشرة، وتوفير فترة من الوقت تعادل الوقت الذي استغرقوه لقطع المسافة بين مصر وغزة^{١٩٢}. وإما أنهم عبروا صحراء سيناء باتجاه النقب وتابعوا سيرهم شمالاً عن طريق شرقي البحر الميت للوصول إلى شرقي الأردن. وبعد المناحة في بيدر أطاد عبروا غرباً باتجاه أرض كنعان إلى مغارة حقل المكفيلة.

^{١٩٢} وهو غير معقول كذلك، لأن التوجه من غزة إلى شرقي الأردن يعني في الواقع أنهم قد عبروا أولاً أرض كنعان من الساحل الفلسطيني إلى نهر الأردن. وهذا يناقض قطعاً منطق النص القائل بأنهم أتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن قبل توجههم إلى أرض كنعان. وإذا كانوا قد توجهوا من غزة إلى حبرون مباشرة (وهذه أقصر الطرق)، فيكونون بذلك قد وصلوا إلى قبر ابراهيم دون الحاجة للمرور بعبر الأردن. وهذا أيضاً يتناقض مع منطق النص.

ولكن لماذا كان عليهم أن يسلكوا هذا الطريق الذي يبلغ طوله على أقل تقدير ٧٥٠ كيلومتراً ذهاباً؟ ولا يسلكوا الطريق الأقرب، أي من مصر إلى حبرون مباشرة دون المرور بشرقي الأردن، ويوفروا نصف المسافة على الأقل^{١٩٣}. فالمنطق يقضي بالقول أن القادم من مصر إلى فلسطين لدفن ميت -تاركاً الأولاد والمواشي في أرض جاسان- يختار الطريق الأقرب والأسهل توفيراً للوقت ومعاناة عبور الصحراء، أخذاً في الحسبان كذلك الوقت الضروري للعودة^{١٩٤}.

^{١٩٣} قد يُقال أنهم اختاروا هذا الطريق لتحاكي الاصطدام بأهل البلاد الكنعانيين. لكن لا هذا الطريق، ولا أي طريق آخر غيره بين مصر وادي النيل وفلسطين، يمكن أن يغنيهم عن المرور بأرض الكنعانيين طالما أنهم في الواقع يريدون الوصول إلى حبرون الواقعة في وسط أرض كنعان. عدا عن أن الموكب كان عظيماً جداً ومعه مركبات وفرسان. ثم أن الصلات والروابط بين عشيرة إسرائيل وأهل البلاد الكنعانيين كانت حتى ذلك الزمن ودية، ولم تصبح عدائية إلا بعد الخروج من أرض مصر أيام زمن موسى. ثم إن يعقوب وكما يفترض -كان قد صعد قبلاً من مصر أيام إلى أرض كنعان لدفن زوجته ليئة، دون أن يذكر النص أية مشكلة في ذلك (أنظر ص ١٢٨)، هامش رقم (١٨٤).

^{١٩٤} من المفترض منطقياً -وبناء على هذا التحليل الجغرافي- أن تكون مصر التوراتية واقعة إلى الشرق من أرض كنعان، وليس غربها كما هي الحال بالنسبة لمصر وادي النيل. فالقادم من مصر إلى فلسطين يريد حبرون (الخليل)، ليس مضطراً للمرور عبر الأردن أولاً، وقبل وصوله إلى أرض كنعان، -

٥ - أنهار مصر وسواقيها

ترد عبارة "أنهار مصر وسواقيها" عدة مرات في التوراة. والنص العبري يميز بشكل لا لبس فيه بين النهر (وفي العبرية "نهر" وجمعها "نهرات") وبين الساقية (وفي العبرية "يئور" وجمعها "يئوريم").

نقرأ في سفر الخروج ٧: ١٩: "ثم قال الرب (يهوه) لموسى قل لهارون: خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين، على أنهارهم وعلى سواقيهم... ومات السمك الذي في النهر وتنت النهر. فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر". وفي أشعيا ١٩: ٦-٥: "وتنشف المياه من البحر ويجف النهر ويبس. وتنت الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر". وفي حزقيال ٣٠: ١٠-١٢: "هكذا قال السيد الرب. إني أبعد ثروة مصر... فيجردون سيوفهم على مصر ويملأون الأرض من القتلى. وأجعل الأنهار (يئوريم) يابسة".

فهل مصر المقصودة هنا، والتي فيها أنهار وسواقي، هي مصر وادي النيل؟. من الممكن الموافقة على أن الإشارة إلى السواقي في هذه النصوص التي أوردناها، قد تكون إشارة إلى سواقي النيل المصري.

= كما يحدد النص بكل وضوح. وقد أشار الباحث أحمد داود إلى هذه المسألة قائلاً: "إذاً لقد جاؤوا من بيدر في مصر وعبروا الأردن إلى بيدر في أرض كنعان. فأية مصر هذه التي يفصلها عن فلسطين نهر الأردن؟" (أنظر مقاله في جريدة الديار اللبنانية، عدد ٣٠ / ٩ / ١٩٩٠).

لكن أنهار "مصر" لا يمكن أن تكون بأية حال من الأحوال أنهار مصر وادي النيل. فهي -وكما يبدو من سياق النص- أنهار تحف وتنن، مما يوحي بأنها أنهار وجداول موسمية تفيض في فصول معينة من السنة، ثم لا تلبث أن تعود إلى حالة الجفاف. بينما النيل المصري (وهو النهر الوحيد في مصر) الذي يفيض في أوقات معينة من السنة، لا يمكن أن يصيبه الجفاف إطلاقاً مهما انخفض منسوب مياهه.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن الكلمة العبرية "يثور" الواردة في أشعيا ١٩: ٧، ٢٣: ٣، وفي إرميا ٤٦: ٧، ٨، وفي عاموس ٨: ٨، ٩: ٥، والتي اعتبرت تقليدياً على أنها تشير إلى النيل المصري، وترجمت هكذا في سائر الترجمات العبرية، لا تعني في الواقع نهر النيل المصري، بل تعني مجرّد نهر أو جدول أو ساقية. وقد وردت في عدّة نصوص بصيغة الجمع (يثوريم) وترجمت "سواقي"، وإلاّ لماذا لم تترجم "الأنبال" كصيغة جمع للنيل طالما اعتبرت أنها تعني نيل مصر؟^{١٩٥}

^{١٩٥} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٩٠، حول النيل المصري. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترجمة اليسوعية (دار المشرق، بيروت ١٩٨٩) قد ترجمت عبارة "يثوريم" الواردة عند حزقيال ٢٩: ٤ و ٣٠: ١٢، بالأنبال (جمع النيل المصري). ولست أدري أية أنبال هذه التي في مصر وادي النيل؟!

٨ - الفرات التوراتي

يقول الرب (يهوه) في وعده لابراهيم (تكوين ١٥: ١٨) "لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر (نهر مصر) إلى النهر الكبير نهر الفرات (نهر فرت). وقد اعتبر تقليدياً أن نهر مصر هو النيل المصري ونهر فرت هو الفرات في وادي الرافدين.

لقد سبق وتناولنا في فقرة سابقة نهر مصر وفقاً للنصوص التوراتية، أما الآن وفي هذه الفقرة فإننا سنتناول نهر الفرات انطلاقاً من منطق النصوص التوراتية محاولين الإجابة عما إذا كان حقاً نهر فرت هو الفرات العراقي كما اعتبر حتى الآن انسياقاً مع جغرافية الشرق الأدنى من مصر إلى بلاد الرافدين.

ووفقاً للدليل الوارد عند إرميا ٤٦: ٦، ١٠، فإن نهر فرت هو الحد الشمالي لأرض إسرائيل حيث يرد: "في أرض الشمال عند نهر فرت"، وعليه فإن نهر مصر هو الحد الجنوبي حسب وعد يهوه لابراهيم، والحد الغربي هو البحر الكبير المعتبر تقليدياً البحر الأبيض المتوسط (تثنية ١١: ٢٤). وهذا يتأكد من خلال وعد الرب لموسى

(عدد ٣٤) حيث نرى أن الحد الجنوبي ينتهي إلى وادي مصر وتكون مخارجه عند البحر، أما جهة الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً.

وانطلاقاً مما تقدّم فإن نهر الفرات العراقي لا يمكن أن يشكل جغرافياً الحد الشمالي لأرض إسرائيل في فلسطين، ولا النيل المصري يمكن أن يشكل الحد الجنوبي. وفي الواقع وفقاً لقراءة الجغرافية التوراتية حسب منطقة الشرق الأدنى من مصر الفرعونية إلى بلاد ما بين النهرين، فإن الدليل الوارد عند إرميا والقائل تحديداً بأن نهر الفرات في أرض الشمال يصبح مشكوكاً بصحته تبعاً لهذا الإطار الجغرافي. أو أن المشكوك في صحته وصوابيته فعلاً هو إسقاط الجغرافية التوراتية على منطقة الشرق الأدنى عامة وفلسطين خاصة.

فالفرات العراقي هو جغرافياً إلى الشرق من فلسطين وليس في الشمال، حتى بالنسبة إلى مصر الفرعونية فهو إلى الشرق أيضاً، هذا ما يقرّه علماء ومفسرو التوراة. فقاموس الكتاب المقدس^{١٩٦} يرى أن الفرات "كان الحد الفاصل بين الشرق والغرب، بين بلاد مصر وبلاد آشور وبابل". أما القول بأنه كان يشكل الحد الشمالي الشرقي لأرض العبرانيين حينما وصل سلطانهم الحد الأقصى في امتداده^{١٩٧}، فإنه قول غير دقيق، بل ويعتبر إسقاطاً لا مسوّغ له لجغرافية التوراة على منطقة الشرق

الأوسط بكاملها. فالحدّ الشرقي لأرض الوعد حسب الدليل في سفر العدد ٣٤: ١٠ يمتدّ من حصر عينان شمالاً إلى بحر الملح (يَم هـ - ملح) جنوباً ماراً بالأردن. وإذا كانت حصر عينان واقعة على حدود فلسطين الشمالية الشرقية كما هو معتبر تقليدياً، وبحر الملح هو البحر الميت الفلسطيني، فلا أرى كيف يكون الفرات العراقي الحدّ الشمالي لأرض إسرائيل، ولا كيف يمكن أن ينحدر هذا الحد من نهر الفرات ماراً ببحر كنّارة (المعتبة بحيرة طبريا) ونهر الأردن وصولاً إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت. حتى ولو اعتبرت حصر عينان واقعة على الطريق بين دمشق وتدمر، فإن نهر الفرات العراقي وفقاً لامتداده الجغرافي من الشمال إلى الجنوب لا يمكن أن يكون إلاّ إلى الشرق من أرض فلسطين، وهذا يتعارض تماماً مع عبارة إرميا "في أرض الشمال عند نهر الفرات". فلو كان نص النبي إرميا "في أرض الشرق عند نهر الفرات" لأمكن القول بأن نهر فرت المقصود ينطبق جغرافياً على الفرات العراقي.

ولهذا السبب بالذات، فإن الباحث كمال الصليبي يرى وفقاً لفرضيته القائلة بأن أرض إسرائيل الأساسية هي في غرب شبه الجزيرة العربية من الطائف شمالاً وحتى جيزان في اليمن جنوباً، بأن نهر فرت هو وادي إضم الذي يقع تماماً في الامتداد الشمالي، ونهر مصرم هو وادي

^{١٩٦} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٣.

^{١٩٧} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٣ كذلك.

لّيه في ناحية سامطة جنوب منطقة جيزان الذي يشكل أيضاً الامتداد الجنوبي لهذه الأرض^{١٩٨}.

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٥: ٩ إن بني راويين الساكنين في جلعاد توسعوا شرقاً عندما كثرت ماشيتهم ولم تعد الأرض تتسع لهم، فسكنوا من نهر فرت إلى مدخل البرية شرقاً. وفي أيام شاول حاربوا المهاجرين الساكنين شرق جلعاد^{١٩٩} وطردوهم وسكنوا في خيامهم.

يستدل من سياق هذا النص أن نهر فرت الذي اعتبر تقليدياً فرات وادي الرافدين هو في جوار جلعاد التوراتية الواقعة شرق الأردن حسب جغرافية فلسطين. فهل يمكن أن يكون نهر فرت هذا الفرات العراقي؟

وحتى إذا سلمنا جدلاً بأنه الفرات العراقي، فمن المفترض أن يكون الرأوبيونيون قد توسعوا من وادي الرافدين باتجاه بلاد الفرس طالما أن نص الأخبار الأول ٥: ٩ يقول "من نهر فرت وإلى الشرق حتى مدخل البرية"، أي من النهر وحتى القفار شرقاً. وهذا أمر غير معقول ولا يحتاج إلى مناقشة.

^{١٩٨} التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٥٩ وما بعدها.

^{١٩٩} أنظر ما سبق الإشارة إليه بشأن مساكن المهاجرين الاسماعيليين ص ٤٥ وما بعدها.

وربما لأن هذا النص يثير إشكالاً يصعب حلّه وفقاً لجغرافية شرق الأردن حيث لا وجود لنهر فرت قرب جلعاد التوراتية، فإن إحدى الترجمات الحديثة للتوراة قد قلبت النص رأساً على عقب، فجاءت ترجمة الأخبار الأول ٥: ٩ كما يلي: "وانتشروا شرقاً إلى مدخل الصحراء المؤدية إلى نهر الفرات، لأن ماشيتهم كثرت في أرض جلعاد"^{٢٠٠}. إن مثل هذا النص يستقيم جغرافياً مع واقع المنطقة الممتدة من شرق الأردن حتى نهر الفرات العراقي. لكنه تحريف لا مسوغ له لسياق النص التوراتي^{٢٠١}.

وإذا كان الفرات المقصود في النصوص التوراتية - كما نرى - ليس فرات وادي الرافدين، ولا أرض الشمال الواردة عند إرميا ٤٦: ٦، ١٠، هي أرض بابل وأشور. فإن الإشارة إلى أرض الشمال في مواضع أخرى عند إرميا كما في ٢٣: ٨ و ١٦: ١٥، وعشائر الشمال بقيادة نبوخذنصر ملك بابل (إرميا ٢٥: ٩)، تعني بكل تأكيد بلاد وادي الرافدين. لكن النص التوراتي في هذه المواضع يقول أرض الشمال بكل وضوح: "وأنتي بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضي التي طردتهم إليها، فيسكنون في أرضهم": إن نص إرميا هذا يشير إلى أن أرض بابل التي سُمي إليها الاسرائيليون هي أرض الشمال

^{٢٠٠} أنظر ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ٤٩٣.

^{٢٠١} في النص العبري من نهر فرت (م - فرت) وليس إلى نهر فرت (ل - فرت).

بالنسبة لأرض إسرائيل، حتى ولو جاء النص في سياق تنبؤي فإن دلالتيه الجغرافية تبقى هي عينها.

فهل أرض بابل، أرض الشمال التي سُميَ إليها بنو إسرائيل واقعة فعلاً إلى الشمال من فلسطين؟ وهل عشائر الشمال بقيادة نبوخذنصر جاءت لتخرب أرض إسرائيل في فلسطين، طالما أن الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين لتأديب ممالك بلاد الشام عموماً على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط، كانت موجهة غرباً، وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه^{٢٠٢}. فإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية في فلسطين، فلماذا يقول النص عند إرميا أرض الشمال وعشائر الشمال طالما أن بلاد بابل وأشور هي إلى الشرق من فلسطين؟ إلا إذا كانت أرض إسرائيل الأساسية واقعة في غرب شبه الجزيرة العربية حتى مشارف اليمن، وهنا يستقيم النص عند إرميا جغرافياً.

ونقرأ في سفر صموئيل الثاني ٨: ٣ أن داود الملك ضرب هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليردّ سلطته عند نهر الفرات. وفي أخبار الأيام الأول ١٨: ٣ أن داود ضرب هدد عزر في حماه حين ذهب ليقم سلطته عند نهر الفرات. ولنا على هذا النص الملاحظات التالية:

^{٢٠٢} أنظر الحدث التوراتي لفراس السواح، ص ٨٠، وما سبق الإشارة إليه ص ٩٨. أيضاً كتاب "لبنان في الكتاب المقدس" لغسان خلف، ص ١٢٩.

أ - إذا كانت صوبة أو آرام صوبة كما يعتقد واقعة غربي دمشق الشام بين سهل البقاع وحمص، فهل كان لهذه المملكة سلطة فعلية عند نهر الفرات في وادي الرافدين؟

ب - وإذا فرضنا أن سلطتها قد امتدت فعلاً في عصر الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد إلى بلاد ما بين النهرين بموهذا أمر مشكوك في صحته- فلماذا يشكل هذا الأمر خطراً على مملكة داود في أورشليم؟ طالما أن سلطة ملك صوبة على نهر الفرات لا تعتبر امتداداً على حساب مملكة إسرائيل؟

ج - وإذا سلّمنا جدلاً بأن سلطة صوبة على نهر الفرات تشكّل خطراً على مملكة إسرائيل، فلماذا يضربه داود في حماه طالما أن النص يقول "حين ذهب ليردّ سلطته على نهر الفرات". إن منطق النص يقضي بالقول أن داود قد ضربه في نفس المنطقة التي ذهب ليردّ سلطته عليها وليس في منطقة حماه التي تبعد مسافة شاسعة عن نهر الفرات العراقي. فلو قال النص بأن داود قد ضربه في حماه حين عزم على الذهاب إلى نهر الفرات، لقلنا إنه أمر معقول أن يضربه في عقر داره قبل أن تتحرك قواته باتجاه نهر الفرات.

د - إن سياق النص في ضوء ما تقدّم، وفي ضوء ما قلناه سابقاً بشأن نهر فرت الذي يشكل الحد الشمالي لأرض إسرائيل، يجب أن يفهم في إطار جغرافي مختلف تماماً عن الإطار الذي رسم له بين

غربي الشام وبلاد الرافدين. فأينما كانت أرض إسرائيل الأساسية، فإن آرام صوبة وحماه (حمت في النص العبري) ونهر فرت هي في الحدّ الشمالي لمملكة إسرائيل. ونحن نعتقد أن نهر فرت التوراتي كان يشكّل الحدّ الفاصل بين مملكة آرام صوبة ومملكة إسرائيل، ولهذا السبب كان النزاع بينهما للسيطرة على هذا المورد المائي الحيوي^{٢٠٣}.

^{٢٠٣} أنظر كتاب "حروب داود"، لكمال الصليبي، دار الشروق للنشر والتوزيع،

عمان الأردن، ط ١، ١٩٩٠، ص ٥٢-١٤٥-١٤٦.

القسم الثاني

لبنان التوراتي في اليمن

١ - لبنان التوراتي في اليمن

لقد وردت كلمة "تيمن" و"تيمان"، والنسبة إليها تيمني وتيماني، في أكثر من موضع من أسفار التوراة. ففي تكوين ٣٦: ١١، ١٥ ورد تيمان وهو ابن اليفاز من بني عيسو الساكنين في أرض أدوم التي تشير إليها التوراة عادة أنها في جنوب أرض اسرائيل. ومن أصحاب أيوب أليفاز التيماني، وهو هنا منسوب إلى التيمن (أيوب ٢: ١١). وترد التيمن في مواضع أخرى كإشارة إلى اسم موضع أو مكان أو أرض، كما في تكوين ٣٦: ٣٤ وإرميا ٤٩: ٧، وحزقيال ٢٥: ١٣ وعوبديا ٩ وهي هنا أرض بنو عيسو كما في تكوين ٣٦. وفي أخبار الأيام الأول ٤: ٦ وردت التيماني كاسم لشخص.

وقد وردت الكلمة أيضاً في كتب الابوكريفا^١ التي لا يقرّ بها اليهود، بصيغة تيمان كما في باروك ٣: ٢٢، ٢٣ حيث تترافق مع إسم

^١ كتب الأبوكريفا لا توجد في التوراة العبرية، بل في الترجمة اليونانية للتسوراة أو الترجمة السبعينية التي قام بها اليهود في الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد. وهي أسفار: طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن-

موضع آخر أو عشيرة هي مرّان. وفي سفر يهوديت لم ترد كلمة تيمن بل وردت يميناً (٢: ٢٨).^٢ (ووردت كلمة التيمن كذلك في العهد

= سيراخ وباروك وأستير (يوناني) ودانيال (يوناني) والمكابيين الأول والثاني. وبعد ظهور المسيحية اعتمدت الكنيسة الترجمة اليونانية للعهد القديم، أما اليهود من الفريسيين المقيمين في جنينا فقد رفضوا الترجمة السبعينية واعتمدوا قائمة من أسفار التوراة (بين عامي ٨٠ و ٣٠٠ م) تحتوي على ٣٩ سفرًا فقط. أما في الكنيسة الكاثوليكية فقد اعتبرت الأسفار التسعة المشار إليها أعلاه أسفاراً قانونية ثانية في ~~الأسفار القانونية الأولية~~ (في الجمع التريدينيني ١٥٤٥-١٥٦٣) بينما اعتبرها البروتستانت الذين ظهروا في القرن السادس عشر أسفاراً منحولة (أبوكريفا) غير قانونية وملحقة بالتوراة. ولهذا فإن الترجمات التي يعتمدونها الانجيليون تحتوي على الأسفار المعتبرة قانونية أولية، أي ٣٩ سفرًا كما في التوراة العبرية.

^٢ إن كلمة "يميناً" الواردة في يهوديت ٢: ٢٨ لم ترد في الترجمة الكاثوليكية العبرية (دار المشرق ١٩٨٦) بل في النص اليوناني من السبعينية. (أنظر لبنان في الكتاب المقدس، للنفس غسان إيليا حلف، دار منهل الحياة، ١٩٨٥، ص ٣٠٨). أما في ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان (١٩٩٣) والترجمة اليسوعية (دار المشرق ١٩٨٩)، فقد وردت الكلمة "يمناع". أما كلمة "مرّان" (بتشديد الراء) فقد وردت في الترجمة اليسوعية (١٩٨٦ و ١٩٨٩)، وفي ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان المشار إليها أعلاه فقد وردت "مديان" مع إشارة في الهامش إلى أن كلمة "مديان" ترجمة معقولة، أما في اليونانية فالكلمة هي "مران" وهو مكان غير معروف (أنظر ص ١٤٤ من الكتب اليونانية).

الجديد^٣.

وفي حين يرى قاموس الكتاب المقدس أن الكلمة العبرية "تيمن" تعني جهة اليمين أو الجنوب، وأنها تشير عمومًا إلى الصحراء الجنوبية الواقعة جنوب أرض إسرائيل في فلسطين، يرى معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس أن الكلمة تعني أولاً الجنوب وجهة اليمين، وتعني ثانياً بلاد اليمن قديماً، كما في خروج ٢٦: ١٨ و ٢٧: ٩ حيث يرد إلى جهة الجنوب نحو التيمن. فالكلمة العبرية "نجب" تعني الجنوب، وتيمن أيضاً تعني الجنوب، لذلك فإن ترجمتها إلى جهة الجنوب نحو الجنوب لا معنى لها وغير مؤاتية.

وفي اللغة العبرية نجد أن كلمة تيمن لها المعنى نفسه، فهي من الجذر يمن. ويرد في لسان العرب: "أيمن الرجل ويمن ويامن إذا أتى اليمن، وكذلك إذا أخذ في سيره يميناً. يقال: يا من يا فلان باصحابك أي خذ بهم يميناً، ولا تقل تيامن بهم، والعامة تقول: وتيمن تنسب إلى اليمن. ويامن القوم وأيمنوا إذا أتوا اليمن. قال الانباري: العامة تغلط في معنى

^٣ متى ١٢: ٤٢ ولوقا ١١: ٣١. والإشارة إلى ملكة سبأ في التيمن التي جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان. وقد أشرنا إلى ورودها في العهد الجديد على سبيل الأملح مع أنه يخرج عن نطاق هذا البحث.

^٤ معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس، تأليف موريس جدعون حنا الحو وغسان خلف، ص ٣٥.

تيامن فتظن أنه أخذ عن يمينه، وليس كذلك معناه عند العرب، إنما يقولون تيامن إذا أخذ ناحية اليمن، وتشاءم إذا أخذنا ناحية الشام، ويامن إذا أخذ عن يمينه، وشاءم إذا أخذ عن شماله... والتيمي أبو اليمن، وإذا نسبوا إلى التيمن قالوا تيمني°.

وعليه فإن كلمة "تيمن" لها نفس الجذر والاشتقاق والمعنى، سواء في العبرية أم العربية. فهل تعني في التوراة العبرية -وحيثما وردت- بلاد اليمن قديماً؟ من المؤكد أنها في بعض المواضع تعني كذلك، وقد أشرنا إليها قبل قليل. ونرجح أنها تعني بلاد اليمن أيضاً في مواضع أخرى ستأتي الإشارة إليها لاحقاً. وهي تعني الجنوب كذلك في العديد من المواضع التي وردت فيها.

وترد كلمة التيمن في سفر يشوع (الاصحاح الثالث عشر) مقرونة بمعاراة التي للصيّدونيين وأرض الجبليين (المعترة جبيل -بيبلوس اللبنانية) وجميع لبنان. وهنا نتساءل: أين يقع لبنان التوراتي؟ في شمال أرض إسرائيل كما هو معتبر تقليدياً بالنسبة لفلسطين ولبنان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، أم في جنوب أرض إسرائيل؟ سوف نحاول الإجابة عن هذا التساؤل في سياق هذا الفصل.

يعدّد الاصحاح الثاني عشر من سفر يشوع الأراضي التي استولى عليها الاسرائيليون بقيادة يشوع بن نون بعدما عبروا الأردن ودخلوا أرض كنعان التي وعدهم بها إلههم يهوه. في القسم الأول منه يعدد الأراضي التي امتلكوها في عبر الأردن شرقاً، وفي القسم الثاني الأراضي التي امتلكوها في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الممتد إلى سدير. وفي الاصحاح الثالث عشر، يقول الرب (يهوه) ليشوع بعد أن شاخ وتقدّمت به الأيام، أنه قد بقيت أراضٍ كثيرة جداً للأمتلاك، وهذه هي الأراضي الباقية: "كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشبحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً، تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والاشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني، وأرض العوين" (يشوع ١٣: ٢-٣). ثم يتابع النص في يشوع ١٣: ٤ على النحو التالي: "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعاراة التي للصيّدونيين إلى افيق إلى تخم الاموريين. وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم، جميع الصيّدونيين سأطردهم من وجه بني اسرائيل" (١٣: ٤ - ٦) إن قراءة النص وفق المعطيات الجغرافية التي يقدمها، لا بدّ وأن يفضي إلى الاستنتاج التالي:

١ - إن النص يعدّ الأراضي الباقية للامتلاك وذلك بعد أن سيطر الاسرائيليون على قسم كبير من أراضي الكنعانيين في شرق الأردن وغربه.

٢ - إن الأراضي الباقية تقسم إلى قسمين: "الأول يقع إلى الشمال من الأراضي التي استولى عليها يشوع، أي يقع شمالي أرض الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين. والقسم الثاني يقع إلى الجنوب منها.

٣ - وبما أن المدن التي استولى عليها يشوع في عبر الأردن غرباً هي إحدى وثلاثون مدينة ومنها أريحا وأورشليم وحيرون وشمرون مراون على سبيل المثال لا الحصر، فإن الأراضي الباقية للامتلاك تقع إلى الشمال من هذه المدن وإلى الجنوب منها كذلك.

٤ - إن القسم الأول من الأراضي الواقع إلى الشمال هو: كلّ دائرة الفلسطينيين وكلّ الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون. والقسم الثاني الواقع إلى الجنوب، أي من التيمن، هو أرض الكنعانيين والصيدونيين وأفيق، إلى تخوم الأموريين، وأرض الجبليين وكلّ لبنان نحو شروق الشمس. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مياه مسرفوت (عين مسرفوت) وجميع الصيدونيين هم إلى الجنوب من أرض إسرائيل.

٥ - وانطلاقاً مما تقدم، فإننا نرى أن قراءة هذا النص وفق جغرافية الشرق الأدنى من وادي النيل إلى حماه في وادي العاصي، هي قراءة مقلوبة رأساً على عقب. أي أن القسم الأول من الأراضي الممتد من الشيحور الجاري في مصر، والمعتبر تقليدياً نهر النيل^٦، إلى مدينة عقرون الواقعة جنوب يافا باني عشر ميلاً^٧، هو في الواقع جنوب فلسطين وليس شمالها. والقسم الثاني من الأراضي التي يحددها النص من جهة التيمن (الجنوب)، يقع إلى الشمال من فلسطين، وهو يمتد من صيدون وحرمون إلى حماه في وادي العاصي.

وهنا نتساءل: أي القراءتين هي الصحيحة؟ قد يُقال بأن المقصود بتعبير شمالاً الوارد في يشوع ١٣: ٣، ليس كما نعتقد نحن شمال أرض إسرائيل، بل شمال مصر. وبالتالي، فالفقرة التي تقول: "من الشيحور الجاري قبالة مصر إلى تخم عقرون شمالاً" يقصد بها الأراضي الممتدة من مصر جنوباً إلى عقرون شمالاً. فإننا نقول بأن هذا التصور يثير إشكاليين أساسيين:

^٦ في الترجمة اليسوعية (دار المشرق) يرد الشيحور الجاري في مصر، أي نهر النيل

(أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٩٠).

^٧ أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٣٣.

الأول: بناءً على هذا التصور، أي فهم عبارة يشوع ١٣: ٣ بأنها تعني أرض الفلسطينيين والجنوبيين والعوين في الجنوب^٨، فأين يفترض أن تكون أرض الكنعانيين والصيّدونيين والجبليين ولبنان التي يقول نص يشوع ١٣: ٤ بأنها من التيمن، أي من الجنوب. فهل هي جنوبي المنطقة المشار إليها في ١٣: ٣؟ إذا كان الأمر كذلك فإن لبنان وأرض الصيّدونيين يجب أن يكونا إلى الجنوب من الشيحور الجاري في مصر أو قبالة مصر. ولا يعقل أن يكونا في الشمال كما تقول الترجمة اليسوعية (١٩٨٩) في شرحها لهذه الفقرة^٩ إلا إذا اعتبرنا أن فهم الجغرافية التوراتية في ضوء منطقة الشرق الأدنى أمر مسلّم به ولا يقبل الجدل. وعليه فإن لبنان وصيّدون يجب أن يكونا إما إلى الجنوب من مصر الفرعونية أو إلى الجنوب من خليج العقبة باتجاه غرب شبه الجزيرة العربية.

والإشكال الثاني يتحدّد على النحو التالي: إذا فهمت عبارة يشوع ١٣: ٤، "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعاره التي للصيّدونيين إلى أفيق إلى تخم الأمورين"، على أنها أرض الصيّدونيين (أي فينيقيا) الواقعة شمال أرض إسرائيل، والتي تمتدّ من معارة صيّدون (المعتبرة جزيرتين

^٨ أنظر الترجمة اليسوعية (دار المشرق، ١٩٨٩)، ص ٤٤٢، هامش رقم ١.

كذلك ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان (سبق الإشارة إليها).

^٩ المرجع نفسه.

شرقي صيدا) إلى أفيق (المعتبرة أفقا في جيبيل^{١٠}) إلى تخم الأمورين. نقول إذا فهمت هذه المنطقة على أنها في الشمال، وامتدادها شمالي كذلك من صيدا وجزيرتين جنوباً إلى بلاد جيبيل شمالاً، فلماذا يقول النص على أنها من "التيمن" التي تعني دون أدنى شك من الجنوب؟ ولماذا لم يقل كاتب هذا النص "من الشمال كل أرض الكنعانيين ومعاره التي للصيّدونيين إلى أفيق إلى تخم الأمورين" إذا كان يقصد حقاً أن هذه المنطقة تمتدّ شمالاً أرض إسرائيل في فلسطين؟ هل أشكل على كاتب هذا السفر الاتجاه شمالاً أم جنوباً، فأخطأ في التحديد؟

وإذا كانت التوراة (أو الشريعة) قد جمعت وكتبت في زمن عزرا في القرن الرابع قبل الميلاد وبعد العودة من السبي إلى فلسطين^{١١}، فإن كاتب هذا السفر لا بدّ أنه يعرف جيداً الحدود الشمالية والجنوبية للأرض التي عادوا إليها. وإذا كان النص المسوري قد أخذ صياغته النهائية في القرن العاشر الميلادي في طبرية، فإن جغرافية لبنان وفلسطين كانت معروفة جيداً لدى المسوريين. وبالرغم من كثرة الأخطاء والتشويهات التي لحقت بالنص الأصلي على أيدي هؤلاء من جراء

^{١٠} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، ص ١٦١، ١٦٢. كذلك

قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٦.

^{١١} راجع تخميا ٨. كذلك مدخل إلى العهد القديم، الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩).

تحريكه وتصويته^{١٢}، فإنهم قد حافظوا على حرفية النص نظراً لما يتمتع به من قدسية في نظرهم.

وإذا كان نص يشوع ١٣: ٢-٤ لا يثير أية مشكلة بالنسبة لجغرافية فلسطين ولبنان، فلماذا يجري تحوير النص وتحريفه في إحدى الترجمات الحديثة للعهد القديم^{١٣}، بحيث أخرجت هذه الترجمة بشكل أدّى إلى إخضاع النص لأحداثيات المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للمتوسط.

لقد أصبح النص وفق هذه الترجمة على الشكل التالي: "وهذه هي الأراضي الباقية: كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين جنوباً من شيوخ السحاري في مصر إلى أرض عقرون شمالاً وهي للكنعانيين وفيها أقطاب الفلسطينيين الخمسة في غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون وأرض العوين في الجنوب". إلى هنا تنتهي الفقرتان الثانية والثالثة من يشوع ١٣، أما الفقرة الرابعة فتبدأ على النحو التالي: "كل أرض الكنعانيين ومن عارة التي للصيّدونيين إلى أفيق إلى حدود

^{١٢} هذا ما أشار إليه القرآن في سورة النساء، آية ٤٦، بقوله: "من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه... ليّاً بألسنتهم، وطعناً في الدين".

^{١٣} نشرة جمعية الكتاب المقدس في لبنان وإصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٣.

الأمرين". وهنا لا بدّ من إيراد الملاحظات التالية على نص هذه الترجمة:

أولاً: لماذا أضيفت كلمة "جنوباً" بعد عبارة "أرض الجشوريين" مع العلم أن كل الترجمات القديمة والحديثة تخلو من هذه العبارة^{١٤}، وفي النص العبري لا ترد كلمة "نحِب" بعد عبارة أرض الجشوريين.

ثانياً: لماذا سلخت عبارة "م - تيمن" (من الجنوب) من أول الفقرة الرابعة وأضيفت إلى نهاية الفقرة الثالثة؟ بحيث تصبح أراضي القسم الأول (١٣: ٢-٤) في الجنوب.

ثالثاً: بعد سُلخ عبارة "من التيمن" من أول الفقرة الرابعة، أصبحت هذه الفقرة شمالاً وفق التأويل الذي ستخضع له ربطاً بالفقرة

^{١٤} أنظر الترجمة المسكونية للكتاب المقدس (TOB) بالفرنسية، باريس ١٩٧٥. ثم لماذا يُفترض أن الجشوريين في الجنوب، في حين أن النصوص التوراتية تشير إليهم ربطاً بجلعاد وكورة أرجوب وباشان وجبل حرمون وسلخه والمعكين. (تثنية ٣: ١٤، يشوع ١٢: ٥، ١٣: ١١، ١٣). ثم أن الترجمة ذاتها التي أضافت عبارة "جنوباً" بعد أرض الجشوريين في يشوع ١٣: ٢، تذكر في شرحها على الفقرة الواردة في صموئيل الثاني ١٣: ٣٧ أن جشور مملكة آرامية شرقي بحيرة جنّاشر (أو جنّسرت) المعترة تقليدياً بحيرة طبرية. فكيف تكون أرض الجشوريين مرة في الجنوب ومرة في الشمال؟ أم أن هناك مملكتين جشوريتين؟!

الخامسة: "وأرض الجليلين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه". وهكذا يتم إخضاع النص وتطويعه وفقاً لجغرافية فلسطين ومصر ولبنان وسوريا. فيما أن الأراضي الباقية للامتلاك هي في القسم الأول منها في الجنوب، فإن القسم الثاني سوف يكون حتماً في الشمال طالما أن الأراضي التي أخذتها أسباط شرقي الأردن قد حُدِّت في يشوع ١٢: ١-٦، والحد الغربي هو البحر الكبير. فالأراضي الباقية للامتلاك والكثيرة جداً، هي من جهة الجنوب تمتد من أرض الجشورين جنوباً وشيحور مصر وادي النيل إلى عقرون الواقعة بين غزة ويافا. وهي من جهة الشمال تمتد من صيدون وجزين إلى الشرق منها حتى تصل إلى أفيق في بلاد جيبيل وإلى تخوم الأموريين المفترض أن يكونوا إلى الشمال من أفيق (أفقا التي ينبع منها نهر ابراهيم)، أو انها تمتد من سفح جبل حرمون (جبل الشيخ) عند حاصبيا (بعل جاد) إلى مدخل حماه في وادي العاصي شمالي حمص^{١٥}.

رابعاً: إذا كانت الأراضي الممتدة من معارة صيدون إلى أفيق هي في شمال أرض إسرائيل، فإن عبارة "إلى تخم الأموريين" الواردة بعد عبارة "إلى أفيق"، يجب أن تعني حتماً إلى الشمال من أفيق، ويجب أن

^{١٥} أنظر بشأن اعتبار بعل جاد هي حاصبيا في سفح جبل الشيخ، لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، ص ١٦١، وقاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٣ حيث يرجح إما حاصبيا أو بعلبك.

تكون بالتالي وفق تأويل أفيق بأفقا وأرض الجليلين ببلاد جيبيل^{١٦}، إلى الشمال من بلاد جيبيل في شمال لبنان. فهل كانت هناك حقاً مملكة أمورية في شمال لبنان؟ ثم هل كانت هناك مملكة أمورية في شمال أرض إسرائيل؟ وأين كان أموريو التوراة وفق ما تقوله النصوص التوراتية بالذات، وليس وفق التأويلات المعتمدة عند العديد من الباحثين التوراتيين استناداً إلى النصوص الآشورية التي تتحدث عن "أمورو" في "الأرض الغربية" بين تدمر والبحر المتوسط^{١٧}. بعد قيامنا بإجراء مراجعة شاملة لكل النصوص التوراتية التي تتحدث عن الأموريين، تبين لنا بما لا يقبل الشك أن أموريي التوراة كانوا في عبر الأردن شرقاً وغرباً^{١٨}، وليس

^{١٦} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، ص ٢٢١، حيث يرى أن مملكة الأموريين "تبدأ من حدود بلاد جيبيل وتمتد شمالاً حتى عاصمتهم "ماري" عند نهر الفرات". وهكذا يتم إسقاط النصوص التوراتية على جغرافية الشرق الأدنى بكامله، فقط لأن القرينة الواردة في يشوع ١٣: ٤ و٥ تظهر أن أرض الأموريين كانت من تخم الجليلين شمالاً، وليس هناك أي تفسير آخر لكلمة الجليلين إلا ببلاد جيبيل. لكن ماذا لو كانت أرض الجليلين الواردة في هذه القرينة لا تعني الجليليين؟ سوف نعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

^{١٧} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، ص ٢٢١.

^{١٨} أنظر الفصل الثاني عشر من سفر يشوع.

هناك أية فقرة يمكن تأويلها بأنها إشارة إلى "أموريي" الشمال إلا الفقرة الواردة في يشوع ١٣: ٤ والتي نحن بصدددها^{١٩}.

وفي وعد الرب (يهوه) لأبرام الكنعاني (تكويين ١٥: ١٨-٢١) يحدد له امتداد الأرض التي سيعطيه إياها من نهر مصر إلى فرت، كما يحدد له أسماء القبائل التي تقطن هذه الأرض. فالأموريون التوراتيون هم قبيلة من القبائل الإحدى عشرة التي كانت تقيم في هذه الأرض منذ عصر إبراهيم وحتى زمن الخروج من مصر ودخول أرض كنعان. وفي سفر العدد ١٣: ٢٩ نرى أن العمالقة ساكنون في أرض الجنوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر. فأين هو هذا الجبل الذي يسكن فيه أموريو التوراة؟ في الدليل الوارد في عدد ٢١: ٢٠ وما بعدها نجد أن موسى أرسل الملك الأموريين سائلاً إياه السماح لبني إسرائيل بالمرور في أرضه، فرفض سيحون الأموري وحاربهم في "ياهص". كان موسى وقتئذٍ عند رأس الفسحة في صحراء موآب. ثم ضرب الاسرائيليون عوج الأموري الساكن في باشان، فأخذوا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون (تثنية ٣: ٨ و ٤٦، ٤٧).

وفي يشوع ٩: ١ وما بعدها نرى أن الملوك القاطنين في عسير الأردن غرباً في الجبل والسهل وساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان، هم

^{١٩} المرجع السابق، ص ٢٢١ كذلك.

الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. وهؤلاء كما يفهم من سياق النص التوراتي كانوا مجموعة قبائل، وكل قبيلة تتوزع في عدة قرى ومدن حيث نرى على رأس كل مدينة أو قرية شيخ العشيرة التي تطلق عليه التوراة لقب ملك. فملوك الأموريين الخمسة الذين اجتمعوا معاً لمحاربة الحويين المقيمين في أربع قرى أو مدن^{٢٠} بسبب مصالحتهم لبني إسرائيل، هم ملوك على خمس مدن هي أورشليم وحبرون وبرموت ولخيش وعجلون (يشوع ١٠: ٥). إذن خمس عشائر اجتمعت لمحاربة سكان جبعون المدينة التي تعتبرها التوراة "عظيمة كإحدى المدن الملكية" وهي أعظم من عاي وكل رجالها جبابرة (يشوع ١٠: ١). فصعد يشوع برجال بني إسرائيل من الجلجال وضرب الملوك الخمسة وأنقذ أهل جبعون. ثم حارب يشوع الملوك الباقين في غرب الأردن الذين تجمعوا عند عين أو مياه ميروم، فضربهم وطردهم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت مايم وبقعة المصفاة شرقاً (يشوع ١١: ١-٩). إن كل الملوك الذين ضربهم يشوع في غرب الأردن، هم كما نرى شيوخ أو رؤساء قبائل^{٢١}، كل واحد منهم في مدينة بعينها. وبمجموع

^{٢٠} مدنهم هي جبعون المقر الرئيسي لرأس العشيرة، والكفيره وبشبيروت وقرية يعاريم (يشوع ٩: ١٧).

^{٢١} من الأهمية هنا أن نشير إلى تمييز ابن خلدون بين مفهومي الرئاسة والملك أو الدولة. حيث يقول أن الرئاسة هي سلطة طوعية في المرحلة القبلية، أما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر. الرئاسة سلطة محدودة في نطاق القبيلة أو-

مدنهم إحدى وثلاثون مدينة. فأخذ يشوع كل تلك الأرض، الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الأقرع الصاعد إلى سعيم إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون (يشوع ١١: ١٦ - ١٧).

واستناداً إلى ما تقدّم، نجد أن أموريّ التوراة سواء في شرقي الأردن أم غربيه، كانوا مقيمين في بقعة جغرافية تمتدّ من جبل سعيم إلى بقعة لبنان تحت جبل حرمون. فلو سلّمنا جدلاً أن حرمون هذا هو جبل الشيخ في سلسلة جبال لبنان الشرقية، فإن أموريّ التوراة لم يتجاوزوا صيدون وحرمون نحو الشمال. فإن هي أفيق وأرض الجليلين وأين هم الأموريون الذين على تخمهم؟ وهل نجد في كل الممالك الأمورية التي ضربها يشوع - إذا سلّمنا أنها ممالك بكل معنى الكلمة - حيث كل واحدة مملكة صغيرة في مدينة بعينها. نقول هل نجد مملكة أمورية تمتدّ من حدود بلاد جليل في لبنان إلى نهر الفرات؟ إن مملكة كهذه هي في مستوى الإمبراطوريات القديمة في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين، وليست بحجم مملكة صغيرة يدعى ملكها أدوني صادق وخاف جداً لأن جبعون المدينة العظيمة صالحت بني إسرائيل، (يشوع ١٠: ١، ٢).

=عدة قبائل، والملك قد يكون دولة صغيرة أو مترامية الأطراف. (أنظر مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٤، ١٢١).

أما فيما يتعلّق بالفقرة الواردة عند يشوع ١٣: ٤ "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعاراة التي للصيدوني ن إلى أفيق إلى تخم الأموريين وأرض الجليلين وكل لبنان نحو شروق الشمس"، فإن أحد الباحثين التوراتيين يرى أن هذه القرينة هي الوحيدة في التوراة التي تدل - بنظره - على أموريّ الشمال^{٢٢}. ولكن هذا الرأي يشكل تأويلاً تعسفياً لنص يشير إلى أموريّ الجنوب. وإذا كانت القرينة الوحيدة في التوراة التي فسّرت أنها تدلّ على أموريّ الشمال، تبدأ بعبارة "من التيمن"، فلسّـت أدري كيف يتحول هذا التيمن إلى المنطقة الممتدة من بلاد جليل في لبنان حتى مصب نهر الخابور على الفرات؟!

ثم إن هناك عدة مقاطع توراتية تدلّ على أن "لبنان التوراتي" هو في جنوب أرض إسرائيل وليس في شمالها، ممّا يؤكّد صحة ما ورد في سفر يشوع، الاصحاح الثالث عشر.

بعد موت موسى في جبل نبو عند رأس الفسحة في بركة موآب، تسلّم قيادة بني إسرائيل يشوع بن نون، فكلّمه الرب قائلاً: "قم أعبر هذا الأردن (هـ-يردن هزه) أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض

^{٢٢} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان حلف، ص ٢٢١ حيث ينقل هذا الرأي عن رولان دي فو.

التي أنا معطيها لهم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم... من البرية ولبنان هذا (هـ - لبنون هزه) إلى النهر الكبير نهر فرت.^{٢٣}

يستنتج من هذا النص أن لبنان هذا (مع إسم الإشارة هـزه بالعبرية) يقع في جوار المكان الذي كان فيه موسى عند جبل نبو وخلفه بعد موته يشوع بن نون. لأن النص في سفر يشوع، الاصحاح الأول، يقول بأن الرب كلم يشوع بعد أن انتهت أيام مناحة موسى الثلاثون، (تثنية ٣٤: ٦-٨). فإذا كان يشوع ما يزال في أرض موآب قرب جبل نبو، فلماذا يقول النص "لبنان هذا" (هـ-لبنون هزه) إذا كان لبنان بعيداً مئات الأميال. إن اسم الإشارة يدلّ هنا على أن لبنان المقصود في هذه الفقرة هو في مكان قريب من الموضع الذي كان فيه يشوع.

وفي سفر التثنية ٣: ٢٥ يقول موسى لربه: "دعني أجوز فأرى الأرض الصالحة التي في عبر الأردن، هذا الجبل الحسن ولبنان". نستنتج من هذا الدليل أن موسى يمكن أن يرى لبنان إذا عبر الأردن؟ لكن أي لبنان يمكن أن يراه إذا عبر الأردن الفلسطيني مقابل أريحا؟ إن

^{٢٣} يقول النص هذا الشعب وهذا الأردن وهذا الـ لبنان، ولم يقل هذا النهر الكبير. إن تفسير عبارة "قم أعبر هذا الأردن" أمر مسلّم به لأن الأردن الذي سيعبه يشوع يقع أمامه مباشرة. أما عبارة "لبنان هذا" فلا نعتقد أن أحداً من الباحثين التوراتيين قد تناوّلها على أساس أنها قد تعني "لبنان آخر" غير لبنان المتوسطي.

جبل نبو الذي جرى عنده كلام الرب (يهوه) لموسى وبعده ليشوع، هو كما يقول قاموس الكتاب المقدس من جبال عبايريم في موآب، وربما كان جبل "النبا" شرقي الأردن بثمانية أميال، حيث يُرى مكان واسع من شرقي الأردن وغريبه عند صحو الجوّ^{٢٤}. وكما نرى فإن مرجعاً يعتمد عليه في الدراسات التوراتية يقول فقط بإمكانية رؤية مناطق في غربي الأردن، لكننا نجزم بعدم إمكانية رؤية لبنان من هذا المكان شرقي البحر الميت الفلسطيني. فإذا كان جبل الشيخ (حرمون) القريب من فلسطين، يعلو عن سطح البحر ٩١٦٦ قدماً، ومع هذا فإن الناظر من أعلى قمته يستطيع أن يرى لبنان والسهل حول دمشق وصور والكرمل، والجليل الأعلى والأدنى، وبحيرة حولة وطبرية^{٢٥}. ولا يستطيع رؤية البحر الميت الفلسطيني من أعلى حرمون.

ثم إن عبارة "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم... من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر فرت"، يليها مباشرة: "جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم". وهنا تتساءل كيف يمكن قراءة هذا النص جغرافياً؟ وأين هو لبنان وفق هذا الدليل؟

^{٢٤} قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٥٣.

^{٢٥} المرجع السابق، ص ٣٠٠.

أولاً، إن النص يقول بأن الرب (يهوه) يأمر يشوع بالعبور إلى أرض الوعد، وأن كل مكان تدوسه بطون أقدام الاسرائيليين، سيعطيه لهم كما كلم موسى من قبل (تثنية ١: ٧-٨).

ثانياً، إن النص يعين حدود الأرض التي وعد بها يهوه موسى و ابراهيم من قبل. فيذكر دون تفصيل - كما في سفر العدد ٣٤ - من أين يبدأ الحد الجنوبي وأين ينتهي الحد الشمالي، ويشير إلى البحر الكبير كحدّ غربي. ولم يذكر الحد الشرقي لأن سياق النص يركز على الأراضي التي سوف تفتح في غربي الأردن، وذلك بعد فتح أراضي شرقي الأردن وتوزيعها على بني جاد ورأوبين ونصف منسى.

ثالثاً، إن النص يقول بأن الأراضي تمتد من البرية ولبنان هذا إلى نهر فرت، وتصل إلى البحر الكبير غرباً. فهو يذكر الجنوب والشمال والغرب دوناً حاجة لذكر الأراضي لجهة الشرق كما أسلفنا. وبناءً على ما سبق تحليله بأن نهر الفرات هو في الشمال فإن البرية ولبنان هذا هما في الجنوب. إن البرية المقصودة هنا هي برية موآب دون أدنى شك، ولبنان هذا يقترن ببرية موآب، فتبدأ حدود الأرض منهما لتنتهي عند نهر فرت في الشمال. ولبنان التوراتي هذا هو في جنوب أرض إسرائيل (أي من التيمن).

أما أن يُقال بأن الحدود المعينة للأرض التي ستفتح هي الحدود المثالية لأرض الميعاد، وهي تفوق كثيراً حدود الأرض التي ستوزع في

الفصول (١٣-١٩) من سفر يشوع^{٢٦}. فإننا نرى مبالغة مبنية على قراءة النص وفق جغرافية الشرق الأدنى. فبناءً على هذا الرأي تمتد الأرض من برية موآب جنوبي البحر الميت إلى لبنان شمالاً إلى نهر الفرات العراقي شرقاً إلى البحر الكبير (البحر المتوسط) غرباً^{٢٧}. طبعاً هذه المنطقة الواسعة تفوق الأراضي التي سيفتتحها بنو إسرائيل بقيادة يشوع، ليس فقط كثيراً بل كثيراً جداً، إذ تفوقها بمئات الأضعاف. ثم إذا سلّمنا بصحة هذا التفسير للأراضي المقصودة في سفر يشوع، الإصحاح الأول، فإن هذا يثير إشكالاً أساسياً: فلماذا يقول الرب (يهوه) ليشوع قم واعبر هذا الأردن طالما أن الأراضي في شرقي الأردن لم يستكمل فتحها بعد وهي تفوق بكثير الأراضي الواقعة بين الأردن وساحل البحر. أو لم يقل بنو جاد ورأوبين ونصف منسى: "إننا لا نملك معهم في عبر الأردن

^{٢٦} أنظر الترجمة اليسوعية (دار المشرق، ط ١٩٨٩)، ص ٤٢١، هامش رقم ٣. ويضيف الهامش بأن عبارة "وكل أرض الحثيين" هي ولا شك تعليق من أصل كهنوتي. هذا لأن أرض الحثيين قد اعتبرت بدون أي مسوغ "كل أرض بلاد الرافدين". لكن أراضي الحثيين التوراتيين المقصودين في هذا النص - وفي نصوص أخرى مشابهة - هي في عبر الأردن غرباً من ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان وفق ما يحدده سفر يشوع الإصحاح التاسع.

^{٢٧} إن قراءة نص يشوع ١: ٤ وفق هذا الإطار الجغرافي الواسع، مبنية أيضاً على قراءة نص التكوين ١٥: ١٨ "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات". فأرض الميعاد تمتد من وادي النيل إلى وادي الرافدين.

وما وراءه (غرباً) لأن نصيبنا قد جعل لنا في عبر الأردن إلى الشرق" (عدد ٣٢: ١٩). ثم أليس الحدّ الشرقي لأسباط شرقي الأردن هو نفسه الحدّ الشرقي لأرض الوعد^{٢٨}؟ وعندما لم تعد أرض جلعاد تتسع لبني راويين توسعوا شرقاً من نهر فرت إلى مدخل البيرة، وفي زمن لاحق طردوا الهاجرين من شرقي جلعاد وسكنوا مكانهم^{٢٩}. فلماذا يفترض إذن أن هناك أراضياً بين الأردن غرباً ونهر الفرات العراقي شرقاً لم يتم فتحها، وهي تدخل ضمن الحدود المثالية لأرض الوعد؟ أما إذا قرأنا النص انطلاقاً من كون لبنان في جنوب أرض إسرائيل، فإن الأراضي التي ستفتح، تمتدّ من لبنان هذا جنوباً إلى نهر فرت في "أرض الشمال"، وتصل إلى ساحل البحر الكبير غرباً، ويكون الأردن شرقاً حداً فاصلاً بين أسباط شرقي الأردن وغربيّه^{٣٠}. ووفق هذا التحديد للأراضي التي ستفتح، فإننا نرى أن الأراضي التي تمّ فتحها وتوزيعها حسبما ورد في يشوع (فصول ١٣ - ١٩) تتوافق والتحديد الجغرافي الوارد في الاصحاح الأول.

^{٢٨} قارن عدد ٣٤: ٣، ١١ وتثنية ٣: ١٧ ويشوع ١٢: ٣. فالحدّ الجنوبيّ لأرض الوعد يبدأ من طرف بحر الملح (يم هـ - ملح) شرقاً إلى وادي مصر (نخل مصري) والبحر الكبير غرباً. والحدّ الشرقي يبدأ من حصر عينان شمالاً إلى طرف بحر الملح جنوباً. والحدّ الشرقي لأسباط شرقي ال - يردن ينتهي إلى بحر عربة بحر الملح نحو الشرق.

^{٢٩} أنظر ما سبق تحليله ص ١٤٠.

^{٣٠} قارن عدد ٣٢: ١٩ ويشوع ٢٢: ٢٥.

ومن القبائل التي هزمها بنو إسرائيل وامتلكوا أرضها في عبر الأردن غرباً، الحويّون الساكنون تحت جبل حرمون في أرض المصفاة (يشوع ١١: ٣) أو المقيمون في جبل لبنان (قضاة ٣: ٣) المقترن بجبل بعل حرمون. "فلما سمع يا بين ملك حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وإلى ملك أكشاف وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي العربة جنوبي كنزوت وفي السهل وفي مرتفعات دور غرباً، الكنعانيين في الشرق والغرب، والأموريين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل، والحويّين تحت حرمون في أرض المصفاة... فاجتمعوا وجاءوا ونزلوا معاً على مياه ميروم لكي يماربوا إسرائيل. فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنني غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل... فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة... فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقاً" (يشوع ١١: ١ - ٩). فأين هي بقعة المصفاة أو أرض المصفاة تحت جبل حرمون؟ وأين هو جبل لبنان موطن الحويّين؟ وأين هي مياه ميروم التي جرت عندها المعركة؟ سوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في الصفحات التالية.

ينبغي التذكير أولاً أن الحويّين الذين ذكروا من جملة الشعوب والقبائل التي في عبر الأردن غرباً، وهي ست مجموعات قبلية على ما جاء في يشوع ٩: ١ و ١٢: ٨. نقول أن هؤلاء الحويّين انقسموا إلى فئتين:

فئة صالحت بني إسرائيل - وإن كان عن طريق الحيلة - وهم سكان جبعون والكفيرة وبثروت وقرية يعاريم، وهذه المواضع كانت قرية جداً من موقع الاسرائيليين في الجبلجال، بل في وسطهم على ما يقوله سفر يشوع ٩: ٧ و ١٦. أما الفئة الثانية، فهي التي على ما يبدو رفضت مصالحة بني إسرائيل واستعدت للحرب مع جيرانها الخمسة المشار إليهم قبل قليل. وهذه الفئة من الحويين هي التي تسكن تحت جبل حرمون في أرض المصفاة أو في جبل لبنان كما أشرنا. ولأن حرمون اعتبر تقليدياً جبل الشيخ اللبناني، وجبل لبنان المذكور في قضاة ٣: ٣ ويشوع ١٣: ٦ إما هو حرمون أو أجزاء من السلسلة الشرقية، وأرض المصفاة أو بقعة مصفاة الواردة في يشوع ١١: ٣ و ٨ و ١٧، هي وادي نهر الحاصباني عند سفح حرمون، وهي ذاتها بقعة لبنان الواردة في يشوع ١١: ١٧ و ١٢: ٣١٧، نقول بناءً على هذه المسلّمات، يرى الباحثون التوراتيون أن الفئة الثانية من الحويين كانت تقيم حتماً في المناطق الشمالية تحت حرمون بعيداً عن أنسابهم سكان جبعون والقرى الثلاث التي بجوارها. "وربما كان لهم مقر واسع يمتد من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة"^{٣٢}.

٣١ أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، م. س. ص ١٩٠، ١٩٢.

٣٢ أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٢٩.

أما مياه ميروم التي جرت عندها المعركة بين الاسرائيليين والقبائل الست، فقد اعتبرت حتى وقت قريب مياه بحيرة الحولة في شمال فلسطين. لكن الدراسات الحديثة في الجغرافية التوراتية ترى أن الأصح هو اعتبار موقع ميروم، ليس الحولة بالذات بل الينابيع التي تغذي البحيرة، ويقترح أحد الباحثين بلدة مارون الرأس في جنوب لبنان موقعاً محتملاً لميروم^{٣٣}. فهل صحيح أن تحالف القبائل الست ضد بني اسرائيل هو تحالف الشعوب الشمالية؟ وهل صحيح كذلك أن ميروم حيث جرت المعركة هي شمالية أيضاً؟ نحن نرى خلاف ذلك.

فإذا سلّمنا جدلاً بأن ميروم هي ينابيع بحيرة الحولة، فإن موقعها المقترح يصبح في جنوب لبنان أو في شمال فلسطين. فأين كان يشوع والاسرائيليون قبل المعركة؟ ومن أين جاء عليهم بغتة؟ إن سياق النص في يشوع ١٠: ٤٠ - ٤٣، يفيد بأن يشوع بعد ضربه الملوك الخمسة في مغارة مقيدة، عاد ومعه جميع اسرائيل إلى الجبلجال. وبعد أن تجمع أعداؤه عند مياه ميروم كلمه الرب (يهوه) قائلاً: "لا تخفهم لأنني غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام اسرائيل... فجاء يشوع وجميع رجال الحرب عليهم... بغتة". وهنا لا بدّ من تسجيل الملاحظات التالية:

٣٣ أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س. ص ١٨٥.

أولاً: إن النص في يشوع ١١: ٦ يحدّد بكل دقة أنه "غداً في مثل هذا الوقت" سوف يتم سحق أعداء إسرائيل.

ثانياً: إن النص في يشوع ١١: ٧ يحدّد بأن يشوع ضربهم ضربة مباغتة، فسحقهم وطردهم إلى صيدون العظيمة وميسرفوت مايم وبقعة مصفاة شرقاً.

ثالثاً: هل يستطيع يشوع وجيش إسرائيل تنفيذ ضربة مباغتة إذا كان عليهم التحرك من الجليل، المعتبرة عند نهر الأردن على الطرف الشمالي للبحر الميت، إلى مياه ميروم شمال بحيرة الحولة على مسافة لا تقل عن مئة ميل؟

رابعاً: هل يستطيع يشوع وكل رجال الحرب الذين معه قطع هذه المسافة بيوم واحد؟ هذا إذا فرضنا أن الاسرائيليين لم يتأخروا في التحرك، بل انطلقوا منذ اللحظة التي كلم فيها الرب يشوع، وساروا دون إبطاء كل النهار والليل. مع أن النص لم يقل ذلك، ولم يشر إلى تحركهم ليلاً كما أشار في يشوع ١٠: ٩ حيث صعد يشوع الليل كله من الجليل إلى جبعون لضرب المتحالفين ضدها.

خامساً: وبالمقارنة بين نصي يشوع ١١: ٦، ٧ و١٠: ٩، نرى أن عنصر المفاجأة والمباغتة يمكن أن يتوفر في نص ١٠: ٩ حيث

سار كل الليل ليقطع المسافة بين الجليل وجبعون الواقعة غربي اليردن والقرية من محلة اسرائيل وفق الدليل الوارد في يشوع ٩: ١٦.

سادساً: إن عنصر المباغتة لا يمكن أن يتوفر في نص يشوع ١١: ٦ طالما أن التحرك سوف يكون، وفق جغرافية فلسطين، من مكان ما شمالي البحر الميت باتجاه شمال فلسطين، مع ضرورة قطع مسافة لا يمكن قطعها بأقل من أربعة أو خمسة أيام بمعدل ٣٠ كلم في اليوم الواحد^{٣٤}.

سابعاً: إن إمكانية قطع هذه المسافة في يوم واحد تبدو مستحيلة، طالما أن النص يقول "غداً في مثل هذا الوقت"، وعليه فإن

^{٣٤} يتحدث الجغرافي اليوناني سترابون عن حملة القائد الروماني إيلوس غالوس في شبه الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق. م. فيصف بدقة فائقة المراحل التي قطعها غالوس في طريق عودته من "نيغرانا" (وهي نجران في شمال شرقي اليمن) إلى نيغرا (وهي النجيرة قرب ميناء أم لج) على ساحل البحر الأحمر. فبعد أحد عشر يوماً من مغادرته نجران وصل إلى مكان يسمى "الآبار السبعة". ويقول الرحالة البريطاني فيليبي أن الآبار السبعة لا بد أن تكون حميس مشيط التي تبعد عن نجران مسافة ٢٦٠ كلم، وهي مسافة يمكن قطعها خلال ١١ يوماً بمعدل ٢٤ كلم في اليوم الواحد. واستغرقت الرحلة من الآبار السبعة إلى النجيرة، حيث ركب غالوس وجنوده السفن التي أقلتهم إلى مصر، أربعين يوماً. والمسافة بين حميس مشيط وأم لج على البحر تقدر بحوالي ١١٠٠ كلم، وهي مسافة يمكن قطعها بأربعين يوماً بمعدل ٢٧ كلم في اليوم.

المعركة قد جرت في اليوم التالي لكلام الرب ليشوع وهو في محلة الجللحال.

ثامناً: إن الملاحظات التي أوردناها في ما سبق، تجعل من موقع ميروم عند بحيرة الحولة أو شمالها أمراً مشكوكاً في صحته، فكيف إذا فرضت ميروم بقرية مارون الرأس في جنوب لبنان؟!

تاسعاً: إن الافتراضات التي تضع ميروم إما عند بحيرة الحولة أو في جنوب لبنان، ترتكز إلى قناعة مسبقة، لا تقبل الجدل، بأن الاحداثيات الواردة في معركة ميروم تشير كلها إلى حرمون وجبل لبنان وصيـدون العظيمة ومسرفوت ما يم (قرب صيدا) وغيرها من مواقع توراتية مفترضة في جنوبي لبنان^{٣٥}.

عاشراً: لكن ماذا لو وجدنا في النصوص التوراتية دلائل وقرائن تشير إلى أن أرض المصفاة تحت حرمون ليست بعيدة عن قرى جبعون ويعاريم وكفيرة وبثروت. فالحيويون الذين لم يصلحوا بني إسرائيل لم يكونوا بعيدين جداً عن أهل عشيرتهم الساكنين في جبعون. وبالتالي ليس لهم هذا المقرّ الواسع الممتد من حرمون حتى حمّاه في وادي العاصي بسوريا.

^{٣٥} أنظر بشأن مسرفوت مايم (عين مشرفة)، لبنان في الكتاب، م. س.، ص ١٨٣. أو عين المشرفة، قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨٩.

وفي بحثنا عن مصفاة التوراتية هذه، يجب أن نشدد بداية على أن التحالف الذي حارب بني إسرائيل عند ميروم، ليس بالضرورة كما يعتقد، تحالف بين ممالك شمالية واقعة كلها في شمال أرض إسرائيل^{٣٦}. وفق الاصحاح الحادي عشر من سفر يشوع، التحالف قام بين ملك حاصور، الذي تزعم هذا التحالف، وملوك مادون وشمرون وأكشاف، والذين في الجبل وفي العربة جنوبي كنّوت وفي السهل ومرتفعات دور غرباً، والكنعانيين في الشرق والغرب، والاموريين والحيثيين والفرزيين واليوسيين في الجبل، والحيويين تحت حرمون في أرض المصفاة.

فالْيوسيون الذين شاركوا في هذا التحالف لم يكونوا في الشمال، بل كانوا في مكان قريب من موضع الاسرائيليين عند الجللحال. إن كل النصوص التوراتية التي تتحدث عن ييوس، التي هي أورشليم (يشوع ١٥: ٨، ٦٣) واليوسيين المقيمين فيها، لا تشير إلى أي مكان آخر لهؤلاء اليوسيين. وقد نقيوا في موطنهم ضمن عشيرة يهوذا (أيضاً قضاة ١: ٨). أما في قضاة ١: ٢١ نجد اليوسيين ضمن عشيرة بنيامين. وعليه فالقرائن الواردة في يشوع ١٥ وقضاة ١ ليست متناقضة لأن عشيرة بنيامين كانت بجوار عشيرة يهوذا تقيم بينها وبين عشيرة يوسف (يشوع ١٨: ١١).

^{٣٦} قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٣٩.

وإذا كانت عشيرة يهوذا تقيم على التحم الجنوبي لأرض إسرائيل (يشوع ١٨: ٥ و ١٥: ٣ - ٤)، فلست أرى كيف يكون اليبوسيون المقيمون بينهم في مواطنهم الأساسية، من الممالك الشمالية؟ ومن القبائل المشاركة في هذا التحالف، الكنعانيون المقيمون في الجبل والجنوب والسهل^{٣٧}، ومن مدنهم حبرون ودبير (قضاة ١: ١٠ - ١١) التي ترد في يشوع ١١: ٢١ على أنها في جبل يهوذا. فهل هؤلاء من الممالك والمدن الشمالية؟

وفي مواضع أخرى يرد الكنعانيون والفرزيون معاً، وهم مقيمون في مدينة تُدعى "بازق" وملكها يُدعى أدوني بازق. وهؤلاء حاربهم بنو يهوذا واستولوا على أرضهم. أما أدوني زعيمهم فقطعوا أباهم يديه ورجليه وجاءوا به إلى أورشليم فمات فيها (قضاة ١: ٤ - ٧). ولا أتصور أن بازق هذه، هي في أقصى الشمال، وإلا لما كان بنو يهوذا قد حملوا ملكها مقطوعاً إلى أورشليم. ويرى قاموس الكتاب المقدس أنها كانت قرية من جازر ولخيش^{٣٨}، أو ربما هي نفس الموضع المذكور في صموئيل الأول ١١: ٨ - ٩ والقريب من يابيش جلعاد وبني عمّون، وجبة التي اتخذها شاول مقراً له. إن جبة هذه من قرى عشيرة بنيامين التي ينتسب إليها شاول، وهي ترد في يشوع ١٨:

^{٣٧} قارن ما ورد في يشوع ١١: ٢ بما ورد في قضاة ١: ٩.

^{٣٨} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ١٥٩، كذلك يشوع ١٠: ٢٣.

٢٥ - ٢٨، مترافقة مع جبعون والرامة وبثروت والمصفاة والكفيرة ويوس (وهي أورشليم).

لقد انطلقنا إذن، في بحثنا عن مصفاة التوراتية، من مسألة ما إذا كان التحالف الذي قام عند ميروم، وكسره يشوع وتبعه حتى أرض المصفاة شرقاً، هو تحالف الممالك الشمالية أم لا. فوجدنا أن ثلاث قبائل أو أربعاً من هذا التحالف - على الأقل - تقيم في المحيط الجغرافي الذي تتواجد فيه قرى الحويين الذين صالحوا الاسرائيليين. ورأينا كذلك موضعاً يُدعى مصفاة لسيط بنيامين، لا بد وأن يكون قريباً من قرية يعاريم وجبعون وكفيرة وبثروت (وهذه ترد في قرى بنيامين)^{٣٩}. (فهل مصفاة هذه الواردة في قرى عشيرة بنيامين هي نفسها المصفاة الواردة في قرى يهوذا والمترافقة مع لخيش؟

من الممكن جداً أن تكون مصفاة يهوذا ومصفاة بنيامين هي نفسها، وذلك لاعتبارين أساسيين: الأول، هو أن قرى وأراضي السبطين متداخلة ومتجاورة، والثاني، أن هناك حالة مشابهة لهذه، وهي ورود ييوس (أو أورشليم) في قضاة ١: ٨ في نصيب يهوذا، وفي ١: ٢١ في نصيب بنيامين. ولكن السؤال الأساسي الذي يتبادر إلى الذهن، هو عما إذا كانت المصفاة هذه القرية من حويي جبعون، هي نفسها المصفاة التي

^{٣٩} أنظر يشوع ١٨: ١٥، ٢٥، قارن كذلك مع يشوع ١٥: ٣٨ حيث ترد

المصفاة مترافقة مع لخيش.

يسكنها الحويون تحت حرمون والقرية من مياه مسرفوت وصيدون العظيمة. ننظر في هذه المسألة الشائكة استناداً إلى النصوص التوراتية.

أولاً: إن المصفاة الواردة في يشوع ١٥: ٣٨، تترافق مع لخيش^{٤١}. ولخيش هذه تترافق مع جازر في يشوع ١٠: ٢٣، وهي من قرى سبط يهوذا، كما هي بازق أيضاً. وفي هذه الأخيرة هزم بنو يهوذا وبنو شمعون الكنعانيين والفرزيي.

ثانياً: ومن مقارنة النصوص في يشوع ١٠: ٣٦ - ٣٨ و ١١: ٢ وقضاة ١: ٨، نستنتج أن الكنعانيين المقيمين في الجبل والجنوب والسهل، والمقيمين في حبرون ودبير، والذين حاربهم يشوع، لم ينقضوا عن بكرة أبيهم، بدليل ما ورد في الاصحاح الأول من سفر القضاة، من أن بني يهوذا وشمعون حاربوا الكنعانيين والفرزيين سكان بازق وحبرون ودبير بعد موت يشوع وفق ما ورد في قضاة ١: ١. فبناءً على ما تقدم نتساءل: أليس هؤلاء هم أنفسهم الذين طاردتهم يشوع من ميروم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت ما يم وأرض المصفاة؟، ثم عادوا إلى

مواطنهم بعد حين^{٤٢}. أما إذا كانوا قد انقضوا كما يذكر سفر يشوع ١١: ٨، فلماذا يعود بنو يهوذا لمحاربتهم بعد موت يشوع؟.

ثالثاً: إن مصفاة بنيامين ويهوذا تترافق في يشوع ١٨ مع جبعون والرامة وبثروت والكفيرة وأورشليم (يبوس). وفي صموئيل الأول هي في مكان قريب من قرية يعاريم وبيت إيل والجلجال (٧: ٥، ٧، ١٦)، حيث كان صموئيل يقضي لاسرائيل ويتنقل بين هذه الأماكن. وفي سفر نحemia ٣: ٧، تترافق مع جبعون، واشترك أهلها في ترميم سور أورشليم بعد العودة من السبي (٣: ١٥، ١٩).

رابعاً: بناءً على ما تقدم، نرجح أن تكون المصفاة الواردة في يشوع ١١: ٣ و ٨ هي نفسها مصفاة بنيامين الكائنة في محيط قرى الحويين الأربع الذين صالحوا بني اسرائيل. وعليه فإن الفئة الثانية من الحويين لم تكن بعيدة، عن أهل عشيرتها الجبعونيين، في موضع يبعد مئات الأميال.

خامساً: من البديهي القول بأن القبائل تنزل في مواضع متقاربة، حيث تتقاسم العشائر والبطون والأفخاذ منطقة بعينها. فإذا

^{٤١} لقد بقي الحويون والكنعانيون إلى عصر الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد، وبقيت مدنهم. وقد شملهم الاحصاء الذي قام به داود (٢ ص ٢٤: ٧). ثم أن كل القبائل التي وردت في يشوع ١١: ٣ وتحالفت ضد بني اسرائيل، قد بقيت أيضاً إلى عصر سليمان (ملوك أول ٩: ٢٠-٢١، ٢ أخبار ٨: ٧-٨).

^{٤٢} يُرجح أن تكون لخيش إلى الشمال الشرقي من غزه (غزه بالعبرية) على مسافة ١٦ ميلاً. وغزه ترد في قرى سبط يهوذا (يشوع ١٥: ٤٧).

كان فريق من الحوئين قد صالح بني اسرائيل رغم أن مدينتهم جبعون مدينة عظيمة كالمدين الملكية، فلماذا يفترض أن الفريق الثاني من هؤلاء الحوئين، ينزل في مكان بعيد إلى أقصى الشمال، ولا يفترض أنه في الجوار العام للقبيلة.

سادساً: إن ترجيحنا بأن تكون مصفاة الحوئين المقيمين بجبل لبنان تحت حرمون، هي عينها المصفاة القريبة من جبعون، يبدو أكثر معقولة وانسجاماً مع منطق النص التوراتي. ولا بد أن تكون مياه ميروم في نفس الإطار الجغرافي، بحيث يستقيم النص التوراتي الوارد في يشوع ١١: ٦ - ٧. فكما صعد يشوع من الجللحال في ليلة واحدة ليضرب الملوك الذين تحالفوا ضدّ جبعون، كذلك يستطيع بيوم واحد الانتقال من الجللحال وضرب المتحالفين عند ميروم تماماً كما يحدد النص التوراتي "غداً في مثل هذا الوقت". أما أن تكون ميروم في شمال فلسطين قريباً من بحيرة الحولة أو في جنوبي لبنان قريباً من صيدون ومرجعيون، فهذا جائز فقط في حالتين: الأولى أن يكون لبنان في شمال أرض اسرائيل، وهذا ما لا تقوله النصوص التوراتية، بل ما تقوله هو العكس تماماً. والثانية أن تكون محلة الجللحال في مكان آخر قريب من شمال فلسطين، وليس في جنوبي نهر الأردن عند الطرف الشمالي للبحر الميت مقابل أريحا وأورشليم.

لكن ما نعتقده، وما نسعى إلى إثباته في هذه الدراسة، من خلال تحليل النصوص التوراتية، يفضي بنا إلى تصور آخر مختلف تماماً. فلبنان التوراتي الذي في جنوب أرض اسرائيل، ليس هو لبنان الموجود على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ومحلة الجللحال التي انطلق منها يشوع مطارداً أعداءه إلى صيدون العظيمة ومياه مسرفوت وبقعة المصفاة تحت حرمون، ليست في غور الأردن الفلسطيني^{٤٢}. فأين هو لبنان التوراتي إذن؟

خلاصة مقارنة:

وفق الأهداف المرسومة لهذه الدراسة، ووفق المنهجية المتبعة، فإن اعتماد المنهج الفيلولوجي أو المنهج اللغوي المقارن، لا يشكل الأساس الذي يركز عليه هذا البحث. فالأساس المنهجي كما أوضحنا في مقدمتنا لهذه الدراسة، هو منهج تحليل النصوص التوراتية، أو منطق النص التوراتي. أما المنهج الفيلولوجي فيأتي رديفاً ومساعداً للمنهج الأساسي، وهنا بالذات يوضع هذا المنهج (الفيلولوجي) على محك التجربة والاختبار. فإذا قدم المنهج التحليلي معطيات وأدلة جغرافية

^{٤٢} يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب موضعاً في شمال اليمن يُدعى "جلال" قرب لبنان، وهو إلى الغرب من جبل قاضي دينه (سيأتي ذكره لاحقاً) في بلد وادعة. وهذا الموقع لجلال يتلاءم مع الأحداثيات الواردة في نص يشوع ٣: ١ الذي سبق تحليله. (أنظر الصفة، ص ٢٥٠).

تناقض الشائع والتقليدي في الدراسات المتعلقة بأرض التوراة، وتخالف المسلمات المتعلقة بالجغرافيا التوراتية، فإن على المنهج الفيلولوجي أن يقدم البدائل التي تتلاءم والأحداثيات الواردة في النصوص. هذا التزاوج بين المنهج التحليلي والمنهج الفيلولوجي يطبقه العديد من الباحثين والمشتغلين بالدراسات التوراتية. يبقى أن تكون المواقع المقترحة كبداًئاً للأمكنة والأسماء الواردة في النصوص، متلائمة من حيث ميزاتها وخصائصها الجغرافية والمناخية والنباتية والمائية والحيوانية وطبيعة الأرض والتربة، مع تلك الواردة في التوراة ربطاً بكل موقع جغرافي، إما منفرداً، أو مترافقاً ومتداخلاً مع مواقع أخرى.

إن لبنان التوراتي هو منطقة تُدعى "لبنان" في شمال اليمن من بلد همدان بمخلاف خولان العالية^{٤٣}. ولسنا أول من قال ذلك، فالباحث كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"^{٤٤} يعيد قراءة النص الوارد في سفر زكريا ١١: ١-٣، وفي نشيد الأنشاد ٤: ٨ و٧: ٤ في ضوء جغرافية شمال اليمن. وهو يرى أن لبنان الوارد في هذين الموضعين هو لبنان اليمن وليس لبنان الشام. وإن كان الصليبي قد اعتبر في كتابه هذا وفي كتابيه الآخرين^{٤٥} أن أرض إسرائيل الاساسية حيث

^{٤٣} أنظر صفة جزيرة العرب للهمداني، م. س. ص ٣١٨.

^{٤٤} مرجع سابق، أنظر ص ١٥٢، ٢٨٦.

^{٤٥} خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، م. س. وحروب داود م. س.

مسرح الأحداث والقصص الواردة في التوراة، هي في عسير وتهماة حتى مشارف اليمن بين نجران شرقاً وجيزان غرباً. فإن ما يهمنا بالدرجة الأولى من هذه الأطروحة هو أن لبنان اليمن يقع في جنوب أرض إسرائيل. وهذا ما يتوافق، في اعتقادنا، مع منطق النص التوراتي والاحداثيات الواردة في النصوص التي تتكلم عن لبنان.

لكن يبقى السؤال الأهم: هل أن لبنان اليمن تنطبق عليه الموصفات والميزات الجغرافية والنباتية والمناخية المعطاة للبنان التوراتي؟ هذا ما سيأتي الكلام عليه في الفصول اللاحقة، وبخاصة تلك التي تتناول وجود المرّ واللبن والصندل والأرز والثلج والأنهر وحرمون في لبنان التوراة، بالإضافة إلى المدن والقرى والمواقع المرتبطة به.

أما هنا في خاتمة هذا الفصل، فسوف نتوقف عند بعض الأسماء والمواقع التي وردت فيه، والموجودة في بلد همدان باليمن ومخلاف خولان ومحيطهما العام، بصيغتها التوراتية دون أي تعديل أو اجتهاد أو إبدال لغوي من قبلنا، مهملين بالتالي الأسماء التي طرأ عليها تبديل جزئي أو كلي.

١ - أرض جوشن (جشن بدون تصويت) الواردة في يشوع

١٠: ٤١ و ١١: ١٦. وهذا المكان يأتي مترافقاً مع "قادش برنيع إلى

غزة"، كما يترافق مع أرض الجنوب. وقادش برنيع في التخم الجنوبي

لأرض الوعد وفق سفر العدد ٣٤: ٤. إن أرض جوشن هذه هي مخلاف

جيشان (جيشن) باليمن. ومدينته تُدعى جيشان، وقد اختفى المخلاف لاختفاء مدينته التي كانت زاخرة بالمعارف والتجارة، كما اختفت قبائله^{٤٦}. ومن جيشان ابن جبران وهو من شعراء الرافضة وصاحب الكلمة المحرّضة على المسلمين. ونسب إلى جيشان الحُمُرُ السود الجيشانية. وكان في هذا المخلاف الصراريون "بنو صرار"، ومن حواضره صور وحجر وبدر.

وربطاً ببني "صرار" وهم قبيلة كبيرة باليمن^{٤٧}، فإن التوراة تذكر أن شاول أول ملك على إسرائيل (من سبط بنيامين أو ابن يامن) هو ابن قيس بن ضرور (١ ص ٩: ١). وفي الراجح أن عشيرة بنيامين تنتسب إلى اليمن ومخلاف جيشان قديماً حيث ببني "صرر" (بدون تصويت). كما أن بني قيس هم قبيلة باليمن^{٤٨}. وفي سفر أستير ٢: ٥ يرد ذكر رجل يهودي في بابل من سبي أورشليم، وهو رجل يمني من بني قيس.

وعندما كان داود هارباً من وجه شاول الملك، صعد الزيفيون (وهم بنو زيف) إلى شاول في جبعة ليخبروه بأن داود مختبئٌ عندهم. ويستنتج من سياق القصة أن "الزيفيين" على علاقة طيبة بشاول

^{٤٦} الصفة، للهمداني، م. س، ص ٢١٩.

^{٤٧} المرجع السابق، ص ٧٩.

^{٤٨} المرجع السابق، ص ٧٩.

الصراري. وزوف (نفس الكلمة العبرية) أرض باليمن، وهي موطن "الزوفيين"، وفيها كذلك بني سلّمة (سلمه بالعبرية). وزوف هو الاسم القديم لما يسمّى اليوم بالسوادية^{٤٩}.

٢ - أفيق: وهي التي ترد في يشوع ١٣: ٤، وقد سبق تحليل هذا النص. فمن وجهة نظرنا أفيق والجيليين (وليس الجليليين) والصيدونيين هم في التيمن، أي في بلاد اليمن. وفي حين تؤخذ أفيق على أنها أفقا عند منبع نهر ابراهيم، فإن هناك أفيق أخرى من قرى سبط أشير تترافق مع رحوب والرامة وصيدون العظيمة والمدينة المحصنة صور ترد في يشوع ١٩: ٣٠. ويرى الباحثون التوراتيون أن هناك أفيق ثالثة، وهي من بين المدن والممالك التي سيطر عليها يشوع وقتل ملكها (١٢: ١٨)، لكنها كانت مسرحاً لحرب بين الفلسطينيين والاسرائيليين فيما بعد، في زمن عالي الكاهن (١ ص ٤: ١)، وفي زمن شاول (١ ص: ٢٩: ١). وهناك أفيق رابعة^{٥٠} جرت عندها الحرب بين الآراميين والاسرائيليين (ملوك أول ٢٠: ٢٦ - ٣٠).

^{٤٩} الصفة، م. س. ص ١٩١ - ١٩٥. والصليبي يرجح أن تكون زيف قرية

الصفيا في منطقة القنفذة أو صيافة في منطقة النماص، وكلاهما في عسير.

(التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

^{٥٠} قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٦ - ٩٧.

ولست أدري لماذا يفترض أن هذا الاسم أفيق هو لأربعة أمكنة مختلفة. فأفريق الواردة على تخم الأمورين في يشوع ١٣: ٤، هي نفسها في نظرنا أفريق الواردة في يشوع ١٩: ٣٠، بالتوافق مع صيدون وصور ورحوب. لكن لماذا يُعتبر أنهما مكانان مختلفان؟ لأنها في يشوع ١٣ معتبرة أفقا في بلاد جبيل والاسرائيليون لم يصلوا في فتوحاتهم إلى أبعد من صيدون شمالاً؟ إذن أفريق الواردة في يشوع ١٣، هي في لبنان، بينما تلك الواردة في يشوع ١٩، أو ملوك أول ٢٠، أو صموئيل أول ٤، هي في فلسطين وشرقي الاردن، ولا ترتبط البتة بلبنان، هكذا يرى معظم الباحثين التوراتيين^{٥١}. لكن التحليل الذي أوردناه في هذا الفصل أعلاه، يُظهر أن أفريق ليست في بلاد جبيل، بل هي في التيمن، وبالتالي فحدود إسرائيل وصلت إليها. وهي نفسها الواردة في قرى سبط أشير والمترافقة مع صيدون ورحوب كما في يشوع ١٣: ٤. وفي قضاة ١: ٣١ لم يستطع الأشيريون طرد سكان صيدون وأفريق ورحوب، فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض.

أما أفريق الواردة في صموئيل أول ٤، فهي قريبة من محلة "شيلو" أو "شيلوه" حيث أقام عالي الكاهن وصموئيل النبي، بدليل أن رجلاً ركض من ساحة المعركة في أفريق إلى شيلو ليخبر "عالي" بمقتل

^{٥١} المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧، كذلك لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، م. س، ص ٢٢١، ١٦٣.

ولديه ووقوع تابوت العهد في أيدي الفلسطينيين. وفي شيلو أيضاً أقام يشوع بعد احتلال أرض كنعان وقسم الأرض على الأسباط السبعة الباقين. وحيث لم يرد إلا أفريق واحدة احتلها يشوع (١٢: ١٨) قبل توزيعه الأرض على الأسباط في "شيلو" ونقل خيمة الاجتماع من الجلجال إليها، فلماذا يفترض إذن أن أفريق القرية من شيلو هي غيرها التي أعطيت لسبط أشير والمترافقة مع صيدون ورحوب والرامة وصور؟

وما يهمنا من هذه القراءة التحليلية المقارنة للنصوص، ليس إثبات أن "أفريق" هي اسم لمكان واحد، بقدر ما نريد إثبات كونها في جنوب أرض اسرائيل وليس في الشمال عند بلاد جبيل. وحتى لو كان هناك أكثر من "أفريق"، فإن هذه الواردة في يشوع ١٣: ٤ و ١٩: ٣٠ و ١٢: ١٨ هي في الجنوب استناداً إلى الأدلة والقرائن التي سبق عرضها في هذا الفصل.

المهم أن "أفريق" ما زالت في اليمن باسمها التوراتي منذ الألف الثاني قبل الميلاد وحتى اليوم، وهي لاتزال قرية عامرة في الشمال الغربي من ذمار جنوبي صنعاء. وإلى الشرق من ذمار أيضاً أفريق أخرى وهي بلدة من عنس^{٥٢}. ورحوب التي تتوافق مع أفريق وصيدون وصور، ما زالت تحتفظ باسمها التوراتي دون أي تعديل. فمن أودية وائلة: "أملح ورحوب مسيلها إلى رباق ومرن واديان ينتهيان في الغائط، وكتاف يسيل إلى

^{٥٢} الصفة، للهمداني، م. س، ص ٢٢٦.

الغائط. وحلف يفيض إلى التكييم ثم الغائط بنجران، وهراب وعراد^{٥٣}. وقد ورد في هذا النص عدة أسماء توراتية هي:

أ - رحوب الواردة هنا قرية جغرافياً من أفيق التي شرقي ذمار.

ب - أملح الوارد هنا، نقارنه على سبيل الاجتهاد - وبدون أي إبدال لغوي - بوادي الملح الوارد في الأخبار الثاني ٢٥ : ١١ والأخبار الأول ١٨ : ١٢ وسموئيل الثاني ٨ : ١٣^{٥٤}. وإذا كان نص سموئيل الثاني يقول بأن داود ضرب آرام في وادي الملح، وآرام ترافق مع رحوب في أكثر من موضع توراتي. فإن وادي أملح اليمني ترافق مع وادي رحوب^{٥٥}.

^{٥٣} المرجع السابق، ص ٣١٦، ١٦٥. مع الإشارة إلى أن أملح ورحوب من أودية وائلة شرقي صعدة وهي تقابل عراد التي في منطقة الجوف باليمن.

^{٥٤} تجدر الإشارة إلى أن نص الأخبار الأول ١٨ : ١٢ يذكر أن داود ضرب أدوم في وادي الملح، ونص سموئيل الثاني ٨ : ١٣ يذكر أنه (أي داود) ضرب آرام وفق بعض الترجمات. سوف نعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

^{٥٥} قارن ما ورد في سموئيل الثاني ١٠ : ٦ حيث آرام بيت رحوب قرية من بني عمون، بما ورد في قضاة ١٨ : ٢٧ - ٢٨. ثم قارن هذين النصين بما ذكر هنا وما سبق ذكره (ص ٨٣، هامش رقم ٩٠).

ج - ويعدّ سفر الأخبار الأول ١ : ٤٣ وما بعدها، ملوك أدوم، وذلك قبل قيام مملكة إسرائيل. ومنهم جوشام من أرض التيماني، وشاول من رحوبوت النهر. إن التيماني هنا منسوب إلى اليمن وهذا أمر مسلم به حتى من الباحثين التوراتيين. أما شاول الذي من "رحوبوت النهر" فلست أدري لماذا يعتبر أنه من بلاد ما بين النهرين ومدينته تقع على نهر الفرات^{٥٦}، فكيف يكون هذا ملكاً على أدوم التي تمتدّ بين البحر الميت ونخلج العقبة. فهل عجزت قبيلة الأدوميين التوراتيين عن إيجاد أحد من شيوخها ليكون رئيساً عليها، حتى يستعينوا بشاول من مدينة على نهر الفرات. لكن "رحوبوت النهر" هذه الواردة أيضاً في تكوين ٣٦ : ٣٧ ليست على نهر الفرات العراقي، ولا حتى على نهر فرت التوراتي، لأن الموضعين اللذين وردت فيهما يذكّران النهر فقط وليس "نهر فرت". ونرجح أن تكون "رحوبوت النهر" هذه قرية "رحابة" الواقعة في أسفل وادي ضهر في الشمال الغربي من صنعاء.

د - عراد، موضع سبق ذكره في القسم الأول من هذه الدراسة^{٥٧}. وهو في أسفل منطقة الجوف شرقي اليمن مقابل "معين". وعراد هذا ذكر في سفر العدد ٢١ : ١ حيث يرد "ملك عراد الكنعاني الساكن في الجنوب" الذي حارب الاسرائيليين وسبى منهم

^{٥٦} قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٠١.

^{٥٧} راجع ص ٥١، هامش رقم ٣٦.

سبياً. لكن الاسرائيليين عادوا وهزموه وسموا موطنه "حرمة"، ثم تحولوا في طريق "يم سوف" ليدوروا بأرض أدوم^{٥٨}. أما "معين" التي بالجوف فقد كانت عاصمة الدولة المعينية، ونرجح أنها الموضع عينه الوارد ذكره في يشوع ١٥: ٥٥ ربطاً بكرمل وزيف. وقد مر معنا في خلاصة هذا الفصل أن الزيفيين صعدوا إلى شاول ليخبروه أن داود محتبئٌ عندهم. وعندما سعى شاول في أثره هرب إلى بركة معون (صموئيل أول ٢٣: ١٩ - ٢٥)^{٥٩}.

و - مرن: مرن هو الاسم التوراتي عينه الوارد في باروك ٣: ٢٢ - ٢٣، مترافقاً مع تيمان. وقد استبدلت الترجمة التي

^{٥٨} بشأن "يم سوف"، قدم الباحث كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (ص ٧٠، هامش) اجتهداً، حيث رجح أن تكون قرية الصفا بوادي غرابة الذي يفصل بين بلاد غامد وبلاد زهران في عسير. ثم عاد عن هذا الاجتهاد في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" (ص ٢٣٠)، ليقول أن "يم سوف" هو بحر صافي أو المنطقة الشمالية الغربية من رمال الربع الخالي الحاذية لداخل بلاد عسير من جهة الجنوب الشرقي بناحية بنجران ووادي حبونا. إن موقع يم سوف هذا أو بحر صافي هو تماماً إلى الشرق من منطقة الجوف اليمنية حيث موقع عراد. وحرمة الواردة هنا ليست بعيدة عن عراد في الجوف (أنظر الصفة، ص ٢٤٠، حيث ترد الكلمة عينها).

^{٥٩} إن معين اليمنية، ربما كانت موضع معون التوراتية، وموطن المعونيين الذين أشارت إليهم التوراة في قضاة ١٠: ١٢ ربطاً بصيدون والعمالة. ولنا عودة إلى هذه المسألة في الفصل المتعلق بصيدون التوراتية.

أشرفت عليها جمعية الكتاب المقدس في لبنان^{٦٠} كلمة مران الواردة في النص اليوناني (السبعينية) بكلمة مديان معلقة في الهامش أن مديان ترجمة معقولة ومرآن مكان غير معروف. وإذا كانت مرآن غير معروفة ولا أين يمكن أن تكون، فلماذا يجري إبدالها بمديان؟ على كل حال إن الترجمة اليسوعية أبقّت الكلمة كما هي "مرآن" (مرن بدون تصويت). إن ورودها مترافقة مع تيمان التي تعني هنا أيضاً اليمن، جعلني أبحث عنها في اليمن بالذات وليس في مكان آخر. ومرآن سفر باروك، على ما نرجح، ليست وادي مرن الذي ينتهي في الغائط، بل هي "مران" تماماً دون أي تبديل من سراة خولان. ويقول محقق الصفة: "مران بفتح الميم آخره نون قبيلة وأرض، ويمتدّ جبل مران حتى يصالي تهامة. وكان ينسب إلى مران هذا القسيّ المرانية"^{٦١}.

٣ - "من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأملس الصاعد إلى سكير". هذه هي المنطقة التي احتلّها يشوع في غربي الأردن (يشوع

^{٦٠} هذه الترجمة أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي بإشراف جمعية الكتاب المقدس في لبنان. ونحن نشير إليها تحت هذا الاسم الأخير. أنظر ص ١٤٤ من كتب الأبوكريفا.

^{٦١} هذا ما ذكره محقق "صفة جزيرة العرب" للهمداني، محمد علي الاكوع الحوالي، وقد أشرنا إليه سابقاً. ويذكر المحقق أيضاً أن المؤلف ذكر مران هذا في كتابه "الأكيل"، (الجزء الأول، ص ٣٢٥). راجع الصفة، ص ١١٦، ١١٧ هامش.

١٢: ٧). وفي ١١: ١٧ ترد على النحو التالي: "من الجبل الأقرع (أو الأملس في ترجمات أخرى) الصاعد إلى سعيير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون".

نستنتج من هذه القرائن أن بعل جاد هي في بقعة لبنان، وأن هذه الأخيرة هي تحت جبل حرمون. أما سعيير فهي موطن عيسو أخو يعقوب، أو بلاد أدوم (تكوين ٣٢: ٣). وتشير التوراة إليها أحياناً بجبل سعيير الواقع في مكان غير بعيد عن بركة يمس سوف (بحرصافي) (تثنية ٢: ١). حيث يقول النص أن الاسرائيليين ارتحلوا إلى البرية على طريق يمس سوف وداروا بجبل سعيير أياماً كثيرة، فقال لهم الرب (يهوه): كفاكم دوراناً بهذا الجبل، تحولوا نحو الشمال ... أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعيير".

إن جبل سعيير كما تدلّ النصوص هو مقابل يمس سوف أو على الطريق المؤدّي إليه. وانطلاقاً من كوننا نؤيد الصليبي في اجتهاده الثاني بشأن يمس سوف، الذي ورد في كتابه "خفايا التوراة"، وأشرنا إليه قبل قليل، فإن جبل سعيير يفترض أن يكون إلى الشرق من بلدة صعدة في نخولان، عند نجران شرق اليمن مقابل بلاد يام وبحر صافي^{٦٢}.

^{٦٢} أنظر ص ١٩٠، هامش رقم ٥٨.

وحيث أن حرمون التوراتي هو - كما يفترض - في منطقة لا تبعد كثيراً عن لبنان، فإننا نرجح أن يكون حرمون جبال الأهنوم (أو هنوم) في بلاد همدان كذلك^{٦٣}.

وبناءً على ما تقدم، فإن بقعة لبنان تحت حرمون هي في موقع قريب من بلدة صعدة اليمنية^{٦٤}. أما الجبل الأملس الصاعد (أو الممتد حسب الترجمة اليسوعية) إلى سعيير فهو "الضيقتين" أو ما يسمّى اليوم المضيق، وهو الممر الرئيسي من صعدة إلى نجران. والضيقتين جبال ملس كما يقول محقق صفة جزيرة العرب^{٦٥}، وهي تؤدّي إلى جبل شاهق في رأس وادي نجران^{٦٦} نرجح أن يكون جبل سعيير الذي دار حوله بنو إسرائيل.

وفي كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، قام الصليبي بقراءة نص سفر التثنية ١: ١، في ضوء جغرافية بلاد غامد وبلاد

^{٦٣} صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ١١٥، ٢٦٦. مع الإشارة إلى أن "هنوم" في اليمن هي الكلمة عينها الواردة في أكثر من موضع في التوراة.

^{٦٤} نرجح أن تكون بلدة صعدة (صيده بابدال العين) هي صيدون التوراتية، أو في جوارها حيث يرد عند الهمداني موضع صعدة، وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

^{٦٥} الصفة، ص ١٦٦.

^{٦٦} هذا الجبل الشاهق برأس وادي نجران، يسمّى قاضي دينه، وقد سمي هكذا لأن رجلاً كثرت ديونه ألقي بنفسه من رأسه. ولم يكن هذا اسمه في القديم.

زهران^{٦٧} الواقعة في شمال المنطقة التي يرجح أن تكون أرض إسرائيل الأساسية. وفي "خفايا التوراة" يقول أن يم سوف هو بحر صافي. من هنا نرى أن فاران وحضيروت وذي ذهب، على مسافة أحد عشر يوماً من حوريب على طريق جبل سكير، ليست في الشمال عند بلاد زهران بل في الجنوب الشرقي عند منطقة نجران مقابل بلاد يام وبحر صافي. فالنص في سفر التثنية يقول: "في البرية في العربة قبالة سوف"، أي في برية بلاد يام شرقي نجران ووادي حيونا، حيث هناك حضيرة نجران (حضيروت) ووادي مذهب (ذي ذهب) إلى الغرب. وهذا الموضع هو على مسافة أحد عشر يوماً من حوريب، وهي ليست هنا حوريب جبل هادي في وسط عسير، بل حوريب اليمنية إلى الجنوب عند مأرب (حرب عند الهمداني في الصفة تماماً مثل الكلمة العبرية). وجبل سكير هو جبل قاضي دينه، جبل شاهق برأس نجران. ثم لماذا يبحث الصليبي عن آبار بني يعقان (يعقن بدون تصويت) وموسير، حيث مات هارون (تثنية ١٠: ٦) في منطقة القصيم إلى الشمال الشرقي من الطائف حيث قرية الميسرية قرب مياه وجيعان (إستبدال من يعقن)؟. إن بني يعقن التوراتيين هم - في ما نرجح - بني يعقن (بتقديم النون) ومقامهم في الأديم من حولان على

^{٦٧} يقول سفر التثنية ١: ١ "هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية في العربة قبالة سوف بين فاران وتوفل ولابان وحضيروت وذي ذهب، أحد عشر يوماً من حوريب على طريق جبل سكير إلى قادش برنيع."

مسافة من "مسورة" (موسر التوراتية بتقديم السين) في بلاد نهم مما يصالي بلد حولان^{٦٨}.

^{٦٨} أنظر خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٢٢٢، وصفة جزيرة العرب، ص ١٦٢ حيث يرد أن "مسورة" بلدتان عامرتان في بلاد نهم، وما يسمى مسورة في اليمن كثير. أنظر كذلك ص ٢٥٠، ٢٥١.

٢- لبنان التوراتي بلد المرفأ اللبان والصندل

ورد إسم لبنان سبعين مرة كلاًها في العهد القديم^{٦٩}، بصيغته العبرية (لبنون) وهي مشتقة من هـ - لبونه التي تعني اللبان. وفي الترجمة السبعينية^{٧٠} للتوراة العبرية التي قام بها يهود الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، ترجمت كلمة "لبنون" إلى اليونانية تحت إسم ليبانوس (LIBANOS) التي تعني دون أدنى شك اللبان أو البخور المشتق منه. ويرجع البعض كلمة "لبنون" إلى الجذر "لبن" في العبرية، ومعناه البياض، وهذا يتلاءم برأيهم وجبال لبنان المتوسطي التي تكللها الثلوج^{٧١}. لكن اللبان كذلك صمغه أبيض اللون أو مصفره. ووردت كلمة ليبانوس (لبنان في السبعينية) مرتين في العهد الجديد، لا لتشير إلى لبنان البلد الحالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، بل لتشير إلى اللبان تحديداً،

^{٦٩} لم يرد إسم لبنان في العهد الجديد، بل ورد بلاد فينيقيا.

^{٧٠} سبق وأشرنا إليها، ص ١٤٧، هامش.

^{٧١} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨١٠، ولبنان في الكتاب المقدس، لغسان

خلف، م. س.، ص ١٧. وهذا الرأي يستند إلى الإشارة اليتيمة لثلج لبنان عند

إرميا ١٨: ١٤. ولنا عودة إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

وهذا مما يؤكد صحة الرأي القائل بأن كلمة لبنون العبرية أو ليبانوس في اليونانية تعني اللبان^{٧٢}.

فهل استعمل كاتبو أسفار التوراة كلمة "لبنون" العبرية، لأن لبنان التوراتي هو بلد اللبان؟ هذا ما ستجيب عنه النصوص بالذات، وليس أي مرجع آخر.

ورد في نشيد الأنشاد ٤: ٦ - ١١: "أذهب إلى جبل المر إلى تلّ اللبان... هلمّي معي يا عروس، معي من لبنان. أنظري من رأس أمانة من رأس شنير وحرمون من خدور الأسود من جبال النمر... شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان".

ومما هو جدير بالملاحظة أن الترجمة اليسوعية القديمة التي ظهرت للمرّة الأولى عام ١٨٧٦^{٧٣}، ترجمت النشيد ٤: ١١ على النحو التالي: "شفتاك تقطران شهداً أيتها العروس وتحت لسانك عسل ولبن

٧٢ وردت في متى ٢: ١١ عن الجوس عندما جاءوا إلى بيت لحم ورأوا الصبي مع أمه مريم فخرّوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً (LIBANOS) ومرّاً. وفي سفر الرؤيا ١٨: ١٣.

٧٣ نشير هنا إلى طبعة ١٩٨٦، دار المشرق. وقد اشترك في صياغة هذه الترجمة ونقحها الأديب ابراهيم اليازجي.

وعرف ثيابك كعرف اللبان". مع العلم أن الفقرة ٤: ٨ هي الصياغة عينها التي أوردناها أعلاه^{٧٤}.

إن صاحب هذا النشيد يخاطب عروسه داعياً إياها لترافقه إلى جبل المر وتلّ اللبان، فهو يقول: إلى أن ينسم النهار وتنهزم الظلال أنطلق إلى جبل المر إلى تلّ اللبان. هلمّي معي أيتها العروس من لبنان. إن جبل المر وتلّ اللبان وأمانه وشنير وحرمون، هي حتماً ودون أدنى شك مواضع تخص لبنان التوراتي وليس أي مكان آخر.

ثم إن الفقرة ١١ من النشيد رقم ٤ تؤكد أن رائحة لبنان التوراتي هي رائحة اللبان، إذ يقول لعروسه: رائحة ثيابك كرائحة لبنان (أو اللبان حسب الترجمة اليسوعية القديمة). ورائحة لبنان هذه تتكرر في سفر هوشع ١٤: ٦: "ويكون بهاؤه كالزيتون ورائحته كلبنان".

أما أن يقال أن الترجمة السبعينية قد ترجمت كلمة لبنون العبرية إلى ليبانوس (LIBANOS) لأن هذا "يتفق ورائحة أشجار الأرز والسرّ والشرين والصنوبر التي كانت مصدراً مهماً للصموغ العطرية وأنواع البخور التي كانت تفوح من غابات لبنان^{٧٥}"، فهذا الرأي، وإن

٧٤ إن الأبدال في نشيد ٤: ١١ بين لبنان واللبان يؤكد أن لبنان التوراتي بلد اللبان والمرّ.

٧٥ أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س.، ص ١٧.

كان صحيحاً في ما خص لبنان المتوسطي، لكنه لا ينسجم مع منطق النص التوراتي، حيث رائحة لبنان هي رائحة اللبان، وهذا ما لا يوجد في لبنان المتوسطي على الإطلاق، لا الآن، ولا في العصور القديمة.

إن لبنان اليمني، ليس فقط بلد المرّ واللّبان، بل البلد الوحيد الذي ينتج "المرّ واللّبان والأقاصيا والقرفة واللاذن..." كما قال هيرودوتس^{٧٦}. أما الجغرافي اليوناني سترابون، فكان يدعو جنوبي الجزيرة العربية بلاد الطيوب. وفي هذا يقول: "وبلاد السبأي بلاد مزدحمة السكان، وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق، ثمارها المرّ واللّبان والقرفة... وفيها حيّات ذات لون فاقع تبلغ الشبر طولاً وبوسعها القفز إلى علو خصر آدمي ولا ينجح في لسعتها علاج^{٧٧}."

ويكرّر ديدورس الصقليّ هذا الوصف قائلاً: إن الجزيرة أرض تثمر الطيوب بحيث كانت تربتها نفسها تعبق بالأريج^{٧٨}. أما بليّنيوس

^{٧٦} راجع تاريخ العرب لفيليب حتي، ص ٧٧.

^{٧٧} المرجع السابق، ص ٧٧ - ٧٨. ويخبرنا سفر العدد ٢١: ٦، عن الحيات المحرقة التي لدغت الاسرائيليين، وهم في طريق يم سوف عندما ارتحلوا من جبل هور بعدما قاتلوا ملك عراد الكنعاني. قارن ما ورد في سفر العدد بما ذكرناه سابقاً ص ١٨٩، ٥١. قارن كذلك بما ورد عند أشعيا ٣٠: ٦ عن بهائم الجنوب ومنها الأفعى والثعالب السام الطيّر.

^{٧٨} المرجع السابق، ص ٧٨. قارن ذلك بما ورد في الملوك الأول ١٠: ١٠ والأخبار الثاني ٩: ٩.

الذي لخص في الجزء السادس من تاريخه معرفة الرومان بأحوال البلدان الشرقية، فيؤكد هذه الميزة ويقول أن "السبأي" هم أشهر قبائل الجزيرة لغناهم باللبان^{٧٩}.

أما المؤرخ اليمني الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الذي عاش ما بين القرن الثالث والرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، فيذكر في باب "عجائب اليمن التي ليس في بلد مثلها" الروس واللّبان اللذان لا يكونان في غير اليمن ويصيران في جميع الأرض^{٨٠}. "ومن ذلك أيضاً سكرّ العشر لا يكون إلاّ بنجران، ولا يكون منها إلاّ شق بلحارث فيما بين الحجر وسرّ بني مازن، وهو سكر ينزل من الهواء على ورق العشر، فيكون بقدرة الله عزّ وجلّ، وهو ضرب من المنّ وهيئته مثل قطع اللّبان والمصطكي، وقد يحمل ويعمل منه سكر كبار مطبّع في القوالب، وقد أهديت منه إلى أخ لي بالعراق فأعجب منه من رآه^{٨١}."

^{٧٩} المرجع السابق، ص ٧٨. قارن ذلك بما ورد في الملوك الأول ١٠: ١٠ والأخبار الثاني ٩: ٩.

^{٨٠} الصفة ص ٣٦٠، راجع كذلك ما سبق ذكره في ما يتعلّق بالمر، ص ٤٨ من هذه الدراسة.

^{٨١} المرجع السابق، ص ٣٦٠. ويتكلم مؤلف الصفة هنا عن المن الذي لا يكون إلاّ في بلحارث بنجران. قارن ما ذكرناه ص ١٩٤ عن تحركات بني إسرائيل قبل دخولهم أرض كنعان، وهم في البرية قبالة بحرصاني (يم سوف) وبلاد يام=

ويشير كل من أشعيا ٦٠: ٦، وإرميا ٢٠: ٢٠، إلى أن مصدر اللبان الذي كان يؤتى به إلى أورشليم هو شبا. وقد ذكرنا في ما سبق من القسم الأول عن شبا هذه أو شبام أو شبوة قاعدة حضرموت الواقعة شرقي مأرب على مسافة ثلاثة أيام، والتي كانت المركز الرئيسي لتجارة اللبان في العصور القديمة والعصر الحضاري لليمن^{٨٢}.

أما عن الصندل في لبنان التوراتي، فيذكر سفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان أرسل إلى حورام ملك صور طالباً منه "خشب أرز وسرو وصندل من لبنان ... لأنني أعلم أن عبيدك ماهرون في قطع خشب لبنان" (٢ أخبار ٢: ٨). ويرد هذا النص في سفر الملوك الأول ٥: ٦، حيث يطلب سليمان من حيرام خشب أرز فقط، فأرسل له حيرام خشب أرز وسرو (٥: ٨، ١٠). فلا يذكر الصندل إلا في الأخبار الثاني.

وقد استعمل خشب الأرز لبناء بيت الرب وبيت الملك، واستعمل السرو لفرش الأرض (١ م ٦: ٩ - ١٦). أما الصندل فقد استعمل "درازيناً لبيت الرب وبيت الملك وكنارات وأعواداً للمغنين" (١ م ١٠: ١٢). ويستنتج من هذه النصوص أن خشب الأرز والسرو كان متوفرًا بكثرة في لبنان، أما الصندل فلم يكن يمثل هذه الكثرة،

^{٨٢} في منطقة نجران حيث المن، بما ورد في سفر العدد ١١: ٦ ويشوع ٥:

١١-١٢ عن انقطاع المن بعد دخولهم أرض كنعان.

^{٨٢} راجع، ص ٥٧ مما سبق، هامش رقم ٤٩.

فكانت استعمالاته أقل ومحصورة في جانب واحد. وبسبب ذلك على الأرجح، استورد سليمان خشب الصندل من أوفير (أي ظفار)^{٨٣} فأتت سفن حيرام من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً (١ م ١٠: ١١)، فلم يأت ولم ير مثله إلى هذا اليوم (١٠: ١٢).

ويرى البعض من الباحثين التوراتيين أن نص الأخبار الثاني ٢: ٨ الذي يتحدث عن الصندل في لبنان، لا يعني بالضرورة وجوده فيه بل إنه مستورد إليه^{٨٤}. وما مرد ذلك إلا لعدم وجود الصندل في لبنان المتوسطي، فهذا النوع من الأشجار لا يوجد إلا في المناطق المدارية في جنوب الجزيرة العربية والهند. وإذا كان الصندل غير موجود في لبنان المتوسطي فهذا لا يعني عدم وجوده في لبنان التوراتي لأن النص واضح لا لبس فيه إذ يقول: "أرسل لي خشب... صندل من لبنان". ولو كان سليمان يقصد بطلبه من حيرام أن يستورد له خشب الصندل من أوفير، لما تابع النص قائلاً: "لأنني أعلم أن عبيدك ماهرون في قطع خشب لبنان"، فلم يقل النص أن عبيدك ماهرون في الأبحار إلى أوفير. ثم لماذا يفترض أن سليمان يطلب من حيرام أن يستورد له الصندل من أوفير؟ إذا كان سليمان يقصد ذلك، لكان أرسل له قائلاً: "ليأت عبيدك مع عبيدي في

^{٨٣} أنظر بشأن أوفير ما سبق من هذا البحث، ص ٥٦.

^{٨٤} قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٥، ولبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص

٢٦٢، هامش رقم ٣.

السفن إلى أوفير، لأنني أحتاج إلى خشب الصندل"، فقد كان لسليمان أسطول يذهب إلى أوفير وترشيش باستمرار^{٨٥}.

وإذا كنا نؤكد أن نص الأخبار الثاني يتحدث عن صندل لبنان، فما ذلك إلا لأن لبنان التوراتي الموجود في اليمن، موجود فيه الصندل. فالهمداني يذكر في الصفة أن جبال هنوم التي سبق الإشارة إليها^{٨٦} فيها نبات شبيه بالصندل الأبيض يقاربه في الرائحة، وقد يداخل الصندل الهندي. ويعلق محقق الصفة على ذلك قائلاً: هكذا أخبرنا أهل الأهنوم أنه يوجد فيه هذا النبات^{٨٧}. ويقول يوسفوس أن خشب الصندل يشبه خشب التين، ولكنه أكثر منه بياضاً وأبهى^{٨٨}.

وإذا كان لبنان التوراتي بلد اللبان والطيب، وتغنى واضعو نشيد الأنشاد برائحته، فهذا يمكن أن يكون تفسيراً منطقياً للتوافق الوارد أكثر من مرة في التوراة بينه وبين جلعاد التي هي أيضاً تنتج الكثيراء والبلسان واللاذن^{٨٩}، حتى أن بعض النصوص توحي بأن جلعاد تخصّص

^{٨٥} أنظر ملوك أول ٩: ٢٦، ١٠: ٢٢، وأخبار الثاني ٨: ١٧، ٩: ٢١.

^{٨٦} أنظر ص ١٩٣.

^{٨٧} الصفة، م. س.، ص ٣٥٠.

^{٨٨} قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٥.

^{٨٩} راجع ما سبق تحليله بشأن جلعاد، ص ٤٧، ٧٣.

لبنان، أو هي على الأقل، في جواره. وهذا ما لا ينسجم مع اعتبار جلعاد التوراتية في شرقي الأردن.

ففي الإصحاح الثاني والعشرين، يخاطب إرميا ملك يهوذا قائلاً: جلعاد أنت لي، رأس من لبنان (٢٢: ٦). وفي زكريا ١٠: ١٠، يتكرر هذا التوافق بين جلعاد ولبنان عندما يقول: وارجعهم من أرض مصر وأجمعهم من أشور وآتي بهم إلى أرض جلعاد ولبنان. وفي صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧ يرد عن البعثة التي أرسلها داود الملك لاحصاء شعب إسرائيل: "وأوتوا إلى جلعاد وإلى أرض تحتّم، إلى حدشي، ثم أتوا إلى دان يعن واستداروا إلى صيدون، ثم أتوا إلى حصن صور".

في هذا النص تتوافق جلعاد مع أرض تحتّم التي ترتبط بجنة عدن ولبنان في حزقيال ٣١: ١٦: "فتتغزى في أرض تحتّم (الترجمة الأرض السفلى)^{٩٠} (كل أشجار عدن مختار (أو نخبة) لبنان وخياره". وفي حين أن بعض الباحثين التوراتيين لا يرى في هذا النص أية علاقة بين لبنان وعدن، أو بين جنة الله وأرز لبنان (حزقيال ٣١: ٢-٩)^{٩١}، فإننا نرى أن

^{٩٠} أرض تحتّم ترد في النص العبري، وفي معظم الترجمات ترد الأرض السفلى.

وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

^{٩١} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، م. س.، ص ٥٣.

الترابط بين أرض تحتم ولبنان وجنة عدن يصبح منطقياً جداً إذا قرئ النص في ضوء جغرافية اليمن^{٩٢}.

٣- أمز لبنان وثلجهم وأنهاره

وردت كلمة الأرز خمساً وسبعين مرة في الكتاب المقدس كلها في العهد القديم^{٩٣}، ويرى الباحثون التوراتيون أنها تشير إلى أرز لبنان المتوسطي دون أدنى شك. وعندما طرح الباحث كمال الصليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب رأياً مخالفاً في موضوع أرز التوراة، فقال أن الأرز المقصود في سفر زكريا ١١: ١ - ٣ يمكن أن يكون العرعر وليس أرز لبنان المتوسطي^{٩٤}، قامت القيامة ضده ولم تهدأ إلا بمرور الزمن. ويقول أحد الباحثين في رده على الصليبي: "الأرز هو الدليل الذي لا نحتاج سواه لربط جغرافية التوراة بأرضنا. غير أن الأرز صار عند المؤلف العرعر النابت في جرود عسير"^{٩٥}.

^{٩٣} لم ترد كلمة الأرز في العهد الجديد، مثلما لم ترد كلمة لبنان، وهذا الأمر ملفت للنظر طالما أن بلاد فينيقيا التي وردت في العهد الجديد هي لبنان الحالي المتوسطي بلد الأرز.

^{٩٤} التوراة جاءت، ص ١٥٢.

^{٩٥} من محاضرة القس غسان خلف في رده على الصليبي، وقد أشرنا إليها في المقدمة، ويبدو من رد القس خلف أن مسألة ربط التوراة بأرضنا (أي لبنان=

^{٩٢} سوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق، أنظر ص ٢١١.

ولكننا نستغرب كيف ينكر الباحث على غيره ما يجيزه لنفسه؟. فإذا كان الباحث غسان خلف قد أشار في كتابه: "لبنان في الكتاب المقدس"^{٩٦} إلى احتمال أن يكون الأرز المذكور في سفر اللاويين ١٤ وسفر العدد ١٩ و٢٤، هو نوع من العرعر (Juniperus sabina) وليس أرز لبنان (Cedrus Libani)، ويُسمى بالعبرية أيضاً أرزاً. فلماذا ينكر على الباحث كمال الصليبي قوله بأن أرز التوراة هو عرعر لبنان في اليمن؟

يبدو أن المشكلة ليست في أن يكون الأرز في بعض النصوص التوراتية هو نوع من العرعر، بل في أن يتحوّل أرز التوراة إلى مكان آخر غير لبنان المتوسطي، وأن تتحوّل أرض التوراة إلى مكان آخر في غرب شبه الجزيرة العربية من الطائف شمالاً وحتى مشارف اليمن جنوباً. على كل حال هناك سابقة أو أكثر، مماثلة للمسألة التي نحن بصدددها. فعندما أشار الباحث "ذورمه" إلى احتمال أن تكون قبيلة "مسا" المذكورة في سفر التكوين ٢٥: ١٤ من قبائل العربية الجنوبية (أي اليمن) وليس من القبائل العربية في شرقي فلسطين، رفض الباحثون التوراتيون هذا الأمر

=الحالي هي من المسلمات البديهية. وهذا يظهر كذلك في رد الأب بولس المغالي على الصليبي، مجلة المنارة، عدد ١ و٢ ١٩٨٦، ص ٢١٧.

^{٩٦} أنظر ص ٧٣ - ٧٦ من المرجع المشار إليه. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩.

بشدة^{٩٧}. أما عن الأرز الوارد في سفر اللاويين ١٤: ٤، فكان يستعمل لتطهير الأبرص بمزجه مع القرمز والزوفا ودم الطيور. كذلك في عدد ١٩: ٦ حيث يحرق الأرز مع القرمز والزوفا فيطرح في وسط بقرة تحرق لهذه الغاية. فهل هذا أرز لبنان المتوسطي؟

إن شريعة تطهير الأبرص وتطهير البيت وتطهير النجس، وضعها موسى في برية سيناء (بالعبرية سيني) بعد الخروج من أرض مصر. فهل كان موسى يعرف أرز لبنان وهو في سيناء، والشعب الخارج من أرض مصر كان قد مضى عليه فيها أكثر من أربعة قرون (٤٣٠ سنة)؟. يرى البعض أنه من المحتمل أن يكون موسى قد تعرّف على أرز لبنان وهو في مصر حيث كان يستورد إليها من لبنان عن طريق جبيل^{٩٨}. قد يكون ذلك ممكناً إذا كانت مصر المقصودة هي مصر وادي النيل، وحتى لو سلّمنا بذلك، فمن أين يأتي موسى بخشب الأرز وهو في سيناء؟ هل

^{٩٧} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٤٥ من هذه الدراسة، بشأن موطن القبائل الاسماعيلية. هذا مع العلم أن شخصيتين ذكرتا في التوراة، في سفر الأمثال ٣٠ و٣١، وهما أجور بن باقة ولموئيل، وكلاهما من قبيلة مسا الاسماعيلية، قد ذكرا في النقوش المعينية وسواها من النقوش القديمة في اليمن. فهل هذه مجرد مصادفة؟ أن يذكر في نقوش اليمن وليس في أي مكان آخر من العربية الشمالية والشرق الأدنى. (راجع تاريخ العرب، لفيليب حتي، ص ٧٤، ٨٤). كذلك مقدمة الدراسة، ص ٢٠.

^{٩٨} راجع لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٧٣.

يرسل إلى لبنان ليؤتي له بالأرز منه؟ هذا أمر بعيد الاحتمال ولا يحتاج إلى مناقشة.

إن الأرز المذكور في هذه النصوص ليس أرز لبنان، بل هو نوع من العرعر. وتذكر القواميس العربية نوعاً منه يسمى "العرعر الكادي" وهو الأكثر انتشاراً في الشرق، ويستخرج منه بتقطير خشبه دهن أسود (زيت الكاد) يستعمل دواءً للأمراض الجلدية. هذا هو أرز موسى في سيناء المستعمل للتطهير والمداواة، فهل يوجد في صحراء سيناء مثل هذا النوع من العرعر؟

ويذكر لنا سفر العدد ٢٤: ٦ عن الأرز الذي على المياه، وهذا أيضاً ليس أرز لبنان بل هو العرعر. وفي سفر حزقيال ٣١: ٣ - ٧ يتكرر ذكر الأرز على المياه ثلاث مرات حيث يقول: "هوذا أعلى الأرز في لبنان... قد عظمت المياه ورفع الغمر، أنهاره جرت من حول مغرسه... فلذلك ارتفعت قامته على جميع أشجار الحقل وكثرت أغصانه وطالت فروعها لكثرة المياه إذ نبت... فكان جميلاً في عظمته وفي طول قضبانها لأن أصله كان على مياه كثيرة". وفي حين يرى الباحثون التوراتيون أن ما ذكر في أشعيا ٢: ١٣ وحزقيال ١٧: ٢٢ - ٢٣ و٣١: ٣ عن عظمة الأرز وطول أغصانه، إنما يشير إلى أرز لبنان^{٩٩}. فإننا نرى أن

^{٩٩} راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩. كذلك حول العرعر "وهو شجر عظيم جبلي"، لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦٠.

حزقيال قد حدد لنا بكل دقة سبب ذلك -وبشكل لا مجال معه للتأويل- فهو راجع لكثرة المياه حيث ينبت.

ثم إن الترابط بين أرز لبنان وعدن التي في جنة الله، كما ورد عند حزقيال ٣١: ٨، ٩، ١٦، يجعل الاعتقاد السائد بأن أرز التوراة هو أرز لبنان اعتقاداً ضعيفاً لا يعدو مستوى الظن. يقول حزقيال في هذا الصدد عن أرز لبنان: "الأرز في جنة الله لم يفقه... كل الأشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه، جعلته جميلاً بكثرة قضبانها حتى حسدته كل أشجار عدن التي في جنة الله". ويتابع حزقيال كلامه على أرز لبنان قائلاً: "من صوت سقوطه أرجفت الأمم... فتعزى في الأرض السفلى (أرض تحتم) كل أشجار عدن مختار لبنان وخياره"^{١٠٠}.

ولا يرى بعض الباحثين أية علاقة بين لبنان وعدن وجنة الله الواردة في سفر حزقيال^{١٠١}. فجنة الله أو جنة عدن لم يُجمع بعد على موقعها الجغرافيون واللاهوتيون. بعضهم يرى احتمال أن تكون في أرمينيا لأن الفرات والدجلة ينبعان منها، وهناك من يرى أنها في الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين حيث الفرات والدجلة يصبان في شط

^{١٠٠} وردت في النص العبري أرض تحتم كما في صموئيل الثاني ٢٤: ٦. أنظر ما

سبق الإشارة إليه ص ٢٠٥.

^{١٠١} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٥٣.

العرب^{١٠٢}. وفي الحالتين يصعب تفسير عبارة حزقيال: "كل أشجار عدن مختار لبنان وخياره"، فلماذا هذا الترابط بين لبنان وعدن طالما لا وجود لصلة جغرافية بينهما؟

وانطلاقاً مما تقدم، نرى أن العلاقة بين لبنان وعدن وأرض تحتم، تصبح علاقة منطقية وبديهية إذا قرأنا نص حزقيال في ضوء جغرافية اليمن. إن عدن هي في أرض تحتم كما يقول النص، وأشجارها ستتزي إذا سقط الأرز العظيم الشامخ. وهذا أمر طبيعي لأن أرز لبنان فاق بعظمته أرز جنة الله (٣١: ٨)، فسقوطه سيكون أكبر عزاء لكل أشجار عدن (القريبة منه)، وكل شاربة ماء (٣١: ١٦).

يذكر الهمداني في الصفة "الختين" اليمنى واليسرى في مأرب، وروضة مأرب وهي ما تزال معروفة ولكنها خرائب، وسميت بذلك لكثرة الأشجار والمياه والأزهار والفواكه^{١٠٣}. وفي مخلاف مأرب كذلك موضع يُقال له "تحتم" تماماً كالاسم التوراتي دون أي تعديل، حتى في التصويت، ويعلق محقق الصفة على هذا الاسم قائلاً: "تحتم بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الحاء ثم تاء أيضاً مكسورة آخره ميم، موضع بوادي قضيب من مراد. قال السليكم بن السكيلة:

بحمد الأله وامرئ هو دلي حويت النهاب من قضيب وتحتما

^{١٠٢} قاموس الكتاب المقدس، ص ٦١٣ - ٦١٤.

^{١٠٣} الصفة، م. س، ص ١٥٠.

وقال لبید:

وهل يشتاق مثلك من ديار دوارس بين تحتم والخلال.

هكذا ضبطناه وصحناه من معجم ما إستعجم للبكري، وكان في الأصول كلها تحما باسقاط التاء الثانية وهو وهم، وهو في وادي عبيدة ويطلق عليه اليوم إسم قحازة وجنون^{١٠٤}.

وفي القسم الأول من هذه الدراسة، كنا قد ألحنا إلى احتمال أن تكون جنة الله عدن في مكان ما من اليمن، وفي مأرب تحديداً^{١٠٥}، إن ورودها مترافقة - بل تخصّ - أرض تحتم التي ما زالت موجودة حتى اليوم باسمها التوراتي في مخلاف مأرب، هو دليل إضافي يرسخ الاقتناع بأن لبنان التوراتي وجنة عدن هما في اليمن وليس في أي مكان آخر من الشرق الأدنى.

أما ثلج (وبالعبرية شلج) لبنان، فلم يذكر في التوراة إلا مرة واحدة بتيمة عند إرميا ١٨: ١٤. وهذه الإشارة مشكوك في صحتها أو في صحة ترجمة شلج العبرية إلى ثلج بالعربية في هذه الفقرة بالذات عند إرميا.

^{١٠٤} الصفة، م. س، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

^{١٠٥} أنظر ص ٦٣.

لقد تُرجمت هذه الفقرة عند إرميا في الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٦) على النحو التالي: "هل يخلو صخر الصحراء من ثلج لبنان". وفي طبعة ١٩٨٩ أبدلت كلمة الصحراء بكلمة القدير فأصبحت هكذا: هل يخلو صخر القدير من ثلج لبنان، أم تنضب المياه الغريبة الباردة الجارية"، وعلقت على هذه الفقرة قائلة: يصعب فهم هذه الآية فهماً دقيقاً.

أما ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان فتقول: هل تخلو جرود لبنان من الثلج أم تنضب ينابيعه الباردة الجارية. والترجمة الانجيلية تقول: هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان. أو هل تنشف المياه المنفجرة الباردة الجارية^{١٠٦}.

لدينا إذن عدة ترجمات لفقرة إرميا ١٨: ١٤ التي تتحدث عن ثلج لبنان. وإذا كنا نلاحظ تبايناً بين هذه الترجمات، فإنه يتركز بشكل أساسي حول ترجمة كلمة "شدي" العبرية (بدون تصويت) التي تعني الصحراء والحقل، وتعني القدير كذلك إذا ما قرئت شداي (بالتصويت).

^{١٠٦} نعي بهذه الأحريرة الترجمة التي تصدرها دار الكتاب المقدس في العالم العربي. وهي مطابقة تماماً للترجمة الفرنسية التي أشرف عليها Louis Segond ، سويسرا ١٩٦٤. حيث جاء النص الفرنسي على النحو التالي :

La neige du Liban abandonne-t-elle le rocher des champs? Ou voit-on tarir les eaux qui viennent de loin, fraîches et courantes.

فالجدل الحاصل بشأن هذه الفقرة عند إرميا يدور حول عبارة "صحر شدي". أما عبارة "شلج لبنون" فقد اعتبرت أنها تعني ثلج لبنان، خاصة كونها العبارة الوحيدة في كل النص التوراتي التي تشير إلى ذلك. ولهذا فقد تمسك بها الباحثون بشدة واعتبروها مسلمة بديهية، فليس ثمة ما يدعو بنظرهم إلى إعادة النظر في المعنى الحقيقي لهذه العبارة، وفي ما إذا كان كاتب سفر إرميا يقصد حقاً ثلج لبنان؟

إن صعوبة فهم هذه الآية عند إرميا، وفهم المعنى الحقيقي لها يعود إلى الغموض الحاصل في عبارة صخر حقلي، أو صخر الصحراء، أو صخر القدير. فإذا كان المقصد الحقيقي من هذه الآية الإشارة إلى ثلج لبنان، فلماذا يُقال: هل يخلو صخر حقلي، ولا يُقال: هل يخلو حرمون من ثلج لبنان، أو هل تخلو قمم لبنون من الثلج؟

أما أن يُقال أن هذه الفقرة عند إرميا تشير إلى ثلج حرمون، فهو تأويل تعسفي للنص لا مسوغ له. فقد فهم أحد الباحثين النص على الشكل التالي: "ويجد إرميا في لبنان وطبيعته ضالته. فهل يخلو حرمون مثلاً، من الثلج عاماً بعد عام؟ أو هل تنضب مياه الينابيع المنفجرة التي تغذي نهر الأردن؟... ومهما يكن المقصود بعبارة "صخر حقلي"، وهناك جدل واجتهادات بشأنها، فإن مقصد النبي واضح فهو يريد أن يقول أن الثلج على جبال لبنان يدوم من عام إلى عام، وهذا واقع لأن ثمة رقماً واسعة من الثلج في ثنايا قمم حرمون والقرنة السوداء، لا تذوب صيف

شتاء، غير أن النبي لا بدّ يقصد جبل الشيخ (حرمون) لأنه الأقرب إلى موطنه ويشاهد منه^{١٠٧}.

وإذا كان حرمون قريباً لموطن النبي إرميا، ويشاهد من فلسطين بالعين المجردة، فلماذا لم يشر إرميا أو غيره من كتبة أسفار التوراة إلى ثلجه ولو مرة واحدة طالما أنه قد ذكر عشرات المرات في العهد القديم^{١٠٨}. ثم إذا كانت عبارة "صخر حقلي" تثير جدلاً واجتهادات، فلماذا تتحول في إحدى الترجمات إلى جرود لبنان؟ هل تصبح هذه العبارة أكثر انسجاماً مع ثلج لبنان من عبارة صخر حقلي أو صخر الصحراء أو صخر القدير؟! وفي الواقع إن عبارة صخر الصحراء لا يمكن أن تقتنر بثلج لبنان، ولا حتى عبارة صخر حقلي. فالذي لا يخلو من ثلج لبنان، ليس صخر الحقول، بل بعض القمم العالية كجبل الشيخ وجبل

^{١٠٧} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لعسان خلف، م. س، ص ٤٩. كذلك ترجمة

جمعية الكتاب المقدس في لبنان (١٩٩٣)، ص ٩٦٦، هامش رقم ١٤.

^{١٠٨} ثم لماذا يُقال بأن حرمون هو الأقرب لموطن النبي ويمكن أن يشاهد منه، ولا يقال بأن حرمون ضمن موطن النبي (أي أرض إسرائيل)، فهو داخل في حدود الأرض التي افتتحها موسى (تثنية ٣: ٨) ويشوع (١١: ١٧ و ١٢: ١ و ١٣: ١١). وإذا كان لبنان قد ذكر ٧٠ مرة والأرز ٧٥ مرة وصور ٤٧ مرة وصيدون ٣٨ مرة، ولم يذكر ثلج لبنان إلا مرة واحدة، فهذا أمر في غاية الغرابة، يزيد الشك في صحة تفسير فقرة إرميا ١٨: ١٤ ولا يلغيه.

المكمل، في هذه القمم فقط يدوم الثلج من عام إلى عام. ولو كانت عبارة إرميا تشير إلى قمم الجبال لقلنا إن الإشارة هي حقاً إلى ثلج لبنان.

ولو أعاد الباحثون التوراتيون النظر في عبارة "شلج لبنون" الواردة عند إرميا، لما وجدوا صعوبة في فهم النص فهماً دقيقاً ولتبيينوا عندها أن المقصود بعبارة "صخر حقلي" شيء آخر لا يمت إلى الثلج بصلة.

إن الكلمة العبرية "شلج"، تعني الثلج في أكثر من موضع من النص التوراتي، وهذا أمر لا جدال فيه. وهي تعني كذلك الأشنان أو الحرض وهي نبتة كانت تستعمل قديماً للتنظيف، وهي من نبات شبه الجزيرة العربية^{١٠٩}. وشلج الواردة في أيوب ٩: ٣٠ لا تعني الثلج بل تعني الأشنان، لأن ترجمة الفقرة على النحو التالي: "لو اغتسلت بالثلج ونظفت يدي بالأشنان" لا تبدو مطابقة تماماً للمعنى المقصود، فما معنى الاغتسال بالثلج؟^{١١٠}. وفي المزمور ٥١: ٧، قد تكون الفقرة "طهرني بالزوفـا

^{١٠٩} أنظر الصفة للهمداني، م. س، ص ٣٠٢.

^{١١٠} ربما لهذا السبب رأت ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان أن تضع الجملة على النحو التالي: لو اغتسلت بمياه الثلج ونظفت يدي بماء الرماد، وعلقت في الهامش بعبارة: "مياه الثلج أو بالصابون". مما يوحي بأن عبارة "مياه الثلج" غير موثقة تماماً. هذا والترجمة اليسوعية ترجمت الفقرة هكذا: "لو اغتسلت بالثلج ونقيت كفي بالخرض". ولهذا فمن الأفضل ترجمة العبارة: لو اغتسلت =

فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" أكثر صوابية بالصيغة التالية:
"تطهرني بالزؤفا فأصبح نظيفاً، تغسلني بالأشنان فأصبح أبيض"^{١١١}.

وبناءً على ما تقدم، فإننا نعتقد أن الجملة الواردة عند إرميا لا تشير إلى ثلج لبنان، بل إلى نبتة الأشنان التي تنبت على حفافي الصخور وفي الأماكن حيث تتوفر الرطوبة. وإذا ما ترجمت الجملة كما يلي: "هل يخلو صخر حقلي من أشنان لبنان" لا تعود هناك أية صعوبة في فهم المغزى الحقيقي لها. وتصبح عبارة "صخر حقلي" أكثر وضوحاً في سياق الجملة التي تشير إلى الأشنان. فالمقصد الحقيقي من هذه الجملة التي أثارَت، وما زالت تثير، جدلاً واجتهاداً بشأنها، ليس الثلج، بل الأشنان التي يقول النبي إرميا أن صخور الحقول والبراري في لبنان لا تخلو منها.

وإذا كنّا قد أعدنا النظر في كلمة "ثلج" العبرية الواردة عند إرميا ١٨: ١٤، ورأينا أنها لا تعني الثلج، فإننا لا ننكر ورود الثلج في عدة مواضع توراتية أخرى كما في أمثال ٢٥: ١٣ ومزمور ١٤٧: ١٦. وهنا لا بدّ من التساؤل: هل يوجد الثلج في اليمن؟ إننا نترك الكلام لمفكر

«بالأشنان ونقيت كفي بالحرص، لرطمتني في الوحل حتى تعافني (أو تكرهني) ثيابي».

^{١١١} لقد أشار الباحث كمال الصليبي إلى هذا الأمر، والصيغة الأخيرة نستعيرها منه في "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، ص ٥٨. وهو يرى أن ما تشير إليه الجملة في المزمور ٥١ وفي أيوب ٣٠: ٩، ليس الثلج بل مادة للتنظيف، وهي الأشنان أو الحصّة العربية (*Gypsophila arabica*).

يونانيّ عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، هو ثيوفراستس (Théophrastos) (٣٧٢ - ٢٨٧ ق.م.) يقول عن بلاد اليمن: "هناك تنبت أشجار اللّبان والمرّ والدارصيني في بلاد سبأ وحضرموت وقتبان. والجبال هناك مرتفعة ومغطاة بالثلوج والنباتات وتتفجر منها أنهار تجري إلى الأودية والسهول"^{١١٢}.

أما مياه لبنان وأنهاره، فإنها مسألة تثير الاستغراب والشك، أكثر مما تثيره مسألة ثلج لبنان. فليس هناك في كل النص التوراتي سوى إشارة واحدة مباشرة إلى مياه لبنان، هي التي وردت في يشوع ١١: ٨ و١٣: ٦. إن الفقرتين عند يشوع تتحدثان عن مياه أو عين مسرفوت (مسرفوت مايم) بالاقتران مع صيدون العظيمة، مما دفع الباحثين إلى اعتبارها إما عين مشرفة شمالي صيدا حيث يوجد ينابيع حارة، وإما عين المشيرفة قرب رأس الناقورة^{١١٣}.

فإذا كان لبنان وحرمون وصيدون وصور قد ذكرت عشرات المرات في النص التوراتي كما ألمحنا قبل قليل^{١١٤}، فلماذا لم يذكر نهر الليطاني على الإطلاق، ولم يذكر نهر الحاصباني الذي ينحدر إلى

^{١١٢} أنظر "تاريخ اللغات السامية"، إسرائيل ولفنسون، طبعة مصر ١٣٤٨هـ /

١٩٢٩م، ص ٢٣٥.

^{١١٣} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨٩. ولبنان في الكتاب المقدس، ص ١٨٣.

^{١١٤} أنظر ص ٢١٦، هامش رقم ١٠٨.

فلسطين، ولم يذكر نهر الأولي الذي هو شمالي صيدا على رمية حجر كما هي عين مشرفة المعتبرة مسرفوت مايم^{١١٥}. لست أرى كيف تكون صيدون ضمن حدود أرض اسرائيل (أو هي على تخمها)، كما حرمون وصور وبعل جاد وبقعة المصفاة^{١١٦}، ولا يذكر نهر بأهمية الليطاني - ولن نقول بأهمية الأولي أو الحاصباني أو الزهراني -. أليس هذا مستغرباً حقاً، أن تكون بعثة إحصاء شعب إسرائيل التي أرسلها داود الملك قد وصلت وفق صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧ إلى صيدون، ثم إلى حصن صور، ولم تعبر نهر الليطاني؟ كيف استداروا إذن إلى صيدون ثم أتوا إلى حصن صور دون المرور بنهر الليطاني، حتى ولو لم يكونوا قد تعرفوا عليه سابقاً. إن هذا وغيره من المسائل العديدة يدفعنا إلى القول إن لبنان التوراتي ليس لبنان المتوسطي على الإطلاق.

^{١١٥} هل كانت عين مسرفوت التي قرب صيدون، أكثر أهمية في نظر كاتي الأسفار من أكبر نهريين داخلين في لبنان هما الليطاني والأولي؟ ثم إن عبارة يشوع ١٣: ٦: "جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم" توحي بأن مسرفوت مايم لا تخص لبنان التوراتي، بل هي خارجة عنه.

^{١١٦} راجع يشوع ١١: ٨، ١٧، و١٢: ٥ و١٣: ٤، ٥، ١١ و١٩: ٢٨ - ٢٩ وقضاة ٣: ٣١ و صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧.

٤- جبال لبنان وكرمها

تذكر التوراة من جبال لبنان، والأصح أن يُقال من الجبال المرتبطة بلبنان، جبل حرمون في أكثر من خمسة عشر موضعاً. ولم يذكر حرمون التوراتي في العهد الجديد بالاسم، بل يرى بعض اللاهوتيين أن ثمة أكثر من إشارة إلى الجبل العالي أو الجبل المقدس الذي يعتقد أنه جبل الشيخ^{١١٧}. ولأن حرمون التوراتي يقترن بلبنان في أكثر من موضع، فقد اعتبر من جبال لبنان، وبالتالي جبل الشيخ الواقع في أقصى جنوبي سلسلة جبال لبنان الشرقية.

لكن ليس هناك أي نص توراتي من النصوص التي ذكر فيها، يقول صراحة أن حرمون هو في لبنان. بل على العكس، إن ما ورد في سفر يشوع ١١: ٣، ١٧ و١٢: ٧ يجعلنا نعتقد أن لبنان التوراتي ينسب

^{١١٧} متى ١٧: ١-٢٠ و مرقس ٩: ١-١٣ و لوقا ٩: ٢٨-٣٦، ورسالة بطرس الثانية ١: ١٦-١٨، و لوقا أيضاً ٤: ٥. ونذكر القارئ هنا بما سبق وفصلناه في المقدمة، أننا لا نناقش مسألة حرمون في العهد الجديد، وما إذا كان هو جبل التجلي أم لا. فمن المؤكد أن قيصرية فيلبس التي كان فيها المسيح مع تلاميذه (مرقس ٨: ٢٧ و ٩: ٢ وما بعدها) تقع عند سفح جبل الشيخ اللبناني.

إلى حرمون. فقد ورد أن يشوع "أخذ كل تلك الأرض الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الأقرع الصاعد إلى سعين إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون".

إن بعل جاد هذا الذي في بقعة لبنان تحت جبل حرمون هو نفسه جبل بعل حرمون الوارد في سفر القضاة. ذلك لأن الحويين الساكنين تحت حرمون في أرض المصفاة (يشوع ١١: ٣)، هم "سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون..." (قضاة ٣: ٣).

ويعتقد شارحو العهد القديم أن بعل جاد هذا أو بعل حرمون الذي تحت جبل حرمون، إما هو بلدة حاصبيا الحالية أو على مقربة منها، وربما كان عند بعلبك^{١١٨}.

لكن، وقف الدليل الوارد في قضاة ٣: ٣ وأخبار الأيام الأول ٥: ٢٣، نرى أن بعل حرمون هو جبل يفترض أن يكون قريباً من حرمون. فقد ورد في الأخبار الأول أن بني منسى امتدوا من باشان إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون. إذن يفيدنا هذا الدليل أن بعل حرمون وسنير وحرمون هي ثلاثة مواضع متقاربة، وليست ثلاث تسميات لموضع واحد.

^{١١٨} قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٣. ولبنان في الكتاب المقدس، م. س ص ١٦٥.

ومع أن سنير الوارد في الأخبار الأول ليس حرمون، فإنه يرد في مواضع أخرى كاسم لحرمون نفسه. يقول سفر التثنية ٣: ٩ أن "الصيديون يدعون حرمون سريون والأموريين يدعونه سنير". وفي تثنية ٤: ٤٨ يسمى حرمون جبل سيئون.

يستنتج من هذه النصوص أن حرمون التوراتي له ثلاثة أسماء أخرى هي سريون وسيئون وسنير، وأن الأخير منها يرد في نص الأخبار الأول مستقلاً عن حرمون ومتافقاً معه في آن. ونستنتج كذلك أن هذه المواضع تترافق مع لبنان وإن لم يعرف عنها أنها واقعة فيه... ففي المزمور ٢٩: ٦ يرد لبنان مترافقاً مع سريون: "يحطم الرب أرز لبنان ويوثبها كعجل لبنان وسريون كولد الثور الوحشي".

وإذا ما قرأنا النصوص السابقة التي تتحدث عن حرمون وسريون وسيئون وسنير في ضوء النص الوارد في مزمور ٤٢: ٦. "لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصر". نستنتج أن حرمون التوراتي ليس جبلاً واحداً كما هو جبل الشيخ من سلسلة جبال لبنان الشرقية^{١١٩}، بل هو عدة جبال متشابكة. ولهذا وردت في المزمور ٤٢ صيغة الجمع "جبال حرمون".

^{١١٩} إن القول بأن كاتب المزمور ٤٢ استعمل تعبير جبال حرمون إما للإشارة إلى قممه المتعددة (له ٣ قمم)، أو كصفة لكل الجبال العالية المشابهة لحرمون. هو قول غير مقنع. فجبل المكمل في الشمال له ثلاث قمم بأسمائها، ولا تستعمل =

وهذا الاستنتاج يتأكد في ضوء دليل أخبار الأيام الأول الذي ذكرناه أعلاه، إذ إن عبارة "إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون" يفهم منها أن سنير قرب جبل حرمون دون أن يكون إياه^{١٢٠}.

وبناءً على ما تقدم، نرى أن ورود حرمون بصيغة الجمع "جبال حرمون"، مع ذكر أسماء أخرى له، إنما كان القصد منه الإشارة إلى عدة جبال، وليس إلى جبل واحد. فهل يوجد في شمال اليمن قسرب لبنان التوراتي عدة جبال تحمل الاسماء التوراتية لجبل حرمون^{١٢١}.

يذكر الهمداني في الصفة جبال هنوم من بلد همدان حيث نفترض وجود لبنان التوراتي، وهي ثلاثة أجبل متشابهة وافة العمران والسكان، وهي سيران الشرقي وسيران الغربي (سيرن) وجبل مدان وشهارة^{١٢٢}. ويذكر الهمداني أيضاً وادي سيان جنوبي صعدة من بلد

= صيغة الجمع للإشارة إليه. أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٠٠.

كذلك لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٢٧٣.

^{١٢٠} ورد إسم سنير عند حرقيا ٢٧: ٥ دون أن يكون مرتبطاً بحرمون أو إسماء له.

^{١٢١} أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ١٩٣.

^{١٢٢} إن الاسم سيران هو نفسه الاسم التوراتي سريون (سيرن وسرين بتقديم

الياء أو الراء). أنظر الصفة، ص ١١٥، ٢٦٦.

همدان، فربما كان أحد الجبال المشرفة على هذا الوادي يحمل إسم سيئون أو سيون التوراتي^{١٢٣}.

وقد يتساءل القارئ لماذا نفترض أن جبال هنوم هي جبال حرمون التوراتية، فنقول أن هذا الافتراض مبني أولاً على قراءتنا السابقة للبنان التوراتي في فصل "لبنان التوراتي في التيمن"، حيث أثبتنا من خلال النص التوراتي بالذات أن لبنان وحرمون وصيدون هي في جنوب أرض اسرائيل، وليس في شمالها. ومبني ثانياً على النص القائل أن لبنان التوراتي بلد المر واللبان والصندل. من هنا نقول إن وجود الصندل في جبال هنوم كما أشار الهمداني في الصفة^{١٢٤} يشكل دليلاً إضافياً للقول بأنه جبل حرمون التوراتي. فلم يذكر المؤرخ اليمني الهمداني، لا في الصفة ولا في الاكليل، موضعاً آخر في اليمن ينبت فيه الصندل. ألا يشكل هذا دليلاً كافياً للقول بأن جبل الشيخ في لبنان الحالي لا يمكن أن يكون حرمون التوراة.

أما في ما يتعلق بجبل مصعر الوارد في مزمو ٤٢ مترافقاً مع حرمون، فقد ذكر الهمداني في الصفة موضعاً يدعى المصعر في بلد حاشد، وهو غير المصعر الذي ذكره في الجزءين الثامن والعاشر من

^{١٢٣} إن سيان هذا هو نفس الاسم التوراتي سيئون. أنظر الصفة ص ٢٣٨.

^{١٢٤} أنظر ما سبق تفصيله ص ٢٠٢ وما بعدها.

الاكليل. وهذا الأخير موجود قرب صنعاء وهو ما نرجح أن يكون مصعر المزمور ١٢٥: ٤٢.

وفي مسألة جبل الكرمل المنسوب إلى لبنان في أكثر من موضع من التوراة، وبشكل لا لبس فيه أو إبهام. فقد ذكر أشعيا في الاصحاح ٣٧: ٢٤ قائلاً: "وقلت بكثرة مركباتي قد صعدت إلى علو الجبال عقاب لبنان، فاقطع أرزه الطويل وأفضل سروه وأدخل أقصى علوه وعمر كرمه". ويرد هذا النص بحرفيته في سفر الملوك الثاني ١٩: ١٦٢٣.

لقد حيرت مسألة "كرمل لبنان" كل الباحثين التوراتيين، مما دفع بالبعض منهم إلى الاجتهاد اللغوي بشأن عبارة "كرملو" العبرية التي تعني كرمه. فقرئت الكلمة العبرية "كرم لو"، وهذا يعني تجزئتها بحيث صارت تفيد معنى "وعر مرجه" أو "وعر بستانه". وهذه الترجمة - الاجتهاد نجدها في معظم الترجمات الحديثة، الفرنسية منها^{١٢٧}

^{١٢٥} أنظر الصفة، ص ١٥٩.

^{١٢٦} يرد الكرمل في نصوص أخرى مترافقاً مع لبنان وباشان وشارون (أشعيا ٣٣: ٩ وناحوم ١: ٤). أما في أشعيا ٣٥: ٢ فيرد: "يدفع إليه مجد لبنان، بهاء كرمل وشارون". مما يؤكد أن بهاء الكرمل من مجد لبنان، فالكرمل منسوب إلى لبنان وليس إلى أي موضع آخر غيره.

^{١٢٧} الترجمة المسكونية للكتاب المقدس (TOB)، والترجمة الفرنسية التي أشرنا إليها أعلاه ص ٢١٤.

والعبرية^{١٢٨}. كذلك فإن الجملة الواردة عند أشعيا ٢٩: ١٧ والقائلة: "أليس عما قليل يتحول لبنان كرملاً (سب لبنون - ل - كرمل) والكرمل يحسب غاباً" قد ترجمت "يتحول لبنان بستاناً والبستان يحسب وعراً"، أو "يتحول لبنان جنائن، والجنائن تعدّ غاباً"، أو "يتحول لبنان جنة والجنة تحسب غاباً".^{١٢٩} وفي الواقع إن عبارة "سب لبنون ل - كرمل" تعني يتحول لبنان إلى كرمل" أو "يعود لبنان إلى كرمل"^{١٣٠} ولا تعني البساتين أو الجنائن أو الجنات. أما لماذا هذه الصعوبة في فهم عبارة أشعيا "كرمل لبنان"، ولماذا هذا الاجتهاد اللغوي بشأنها؟ إن السبب يعود بشكل رئيسي إلى المسألة القائلة بأن أرض التوراة هي فلسطين. وعليه فإن قراءة نص أشعيا والملوك الثاني في ضوء جغرافية الشرق الأدنى قد أدت إلى الاشكالية التالية: بما أن جبل الكرمل التوراتي قد اعتبر واقعاً إلى الجنوب من عكا على الساحل الفلسطيني، وبالتالي لا علاقة له بلبنان، ولا

^{١٢٨} الترجمة العربية للكتاب المقدس، نشرة جمعية الكتاب المقدس في لبنان (ط ١٩٩٣)، أشرنا إليها سابقاً أكثر من مرة. وفيها ترد العبارة الأخيرة من نص أشعيا ٣٧: ٢٤ على النحو التالي: "ووصلت إلى أقصى أعاليه وإلى مجاهل غابه".

^{١٢٩} هذه الصيغة الثلاث حيث الكرمل ترجم بستاناً، نجدها على التوالي في الترجمة الانجيلية وترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان والترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩). أما الترجمة التي ترد فيها كلمة الكرمل فهي الترجمة اليسوعية القديمة التي ظهرت للمرة الأولى في القرن الماضي (ط ١٩٨٦).

^{١٣٠} أنظر الصليسي "التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٣٥، هامش رقم ٩.

يمكن أن يكون من جباله. فكيف ينسب النص إلى لبنان طالما هو بعيد عنه. هذه هي المشكلة في كرمل لبنان المتوافق كذلك مع باشان وشارون.

لكن النص التوراتي يقول بكل وضوح "كرمل لبنان" ومجدد لبنان بهاء كرمل وشارون. وإذا ما قرئت النصوص في ضوء جغرافية اليمن حيث لبنان التوراتي فإن الكرمل سوف يعود إلى لبنان، أو يعود لبنان إلى الكرمل دون الاضطرار إلى جعل الكرمل وعراً أو غابة. ويذكر الهمداني في الصفة جبل "كدمل" (بالدال) بالقرب من حمضة، وهو جبل وسط البحر الأحمر إزاء قرية الوسم ويُسمى الآن "كتنبيل"^{١٣١}. ويذكره ياقوت في معجم البلدان "كرمل" (بالراء) على أنه جبل بالقرب من حمضة ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة^{١٣٢}. وبما أن حمضة هي آخر موقع باليمن شمالاً^{١٣٣}، فاد الكرمل يقع غربي منطقة لبنيان مباشرة على ساحل البحر الأحمر.

وهناك مسألة أخرى مشابهة لكرمل لبنان أثرت حولها أيضاً الشكوك، وهي مسألة "بيت غابة لبنان" الذي بناه سليمان الملك. يرد في

^{١٣١} أنظر الصفة، ص ٦٥.

^{١٣٢} معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٨. وهو في الصفة أيضاً "ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة."

^{١٣٣} الصفة، ص ٦٨.

سفر الملوك الأول ٧ أن سليمان بعد أن أكمل بناء الهيكل بنى بيتاً له في ثلاث عشرة سنة "وبنى بيت غابة لبنان مئة ذراع طولاً وخمسين ذراعاً عرضاً وثلاثين ذراعاً سمكاً بناه على أربعة صفوف من أعمدة الأرز، وكان على الأعمدة جوائز من الأرز، وسقفه بالأرز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة كل صف خمس عشرة غرفة". ويتابع سفر الملوك سرد كل التفاصيل المتعلقة باكمال بناء "بيت لبنان" هذا.

إن بيت سليمان الذي يسميه النص بكل وضوح "بيت غابة لبنان"، هو في نظر البعض "قصر خشب لبنان ... وقد سمي بهذا الاسم لأنه مبني كله بخشب أرز لبنان"^{١٣٤}.

لكن نودّ أن نسأل: إذا كان قصر سليمان هذا قد سمي بيت غابة لبنان أو بيت وعر لبنان^{١٣٥} لأنه فقط مبني من خشب أرز لبنان وليس لأنه مبني في لبنان، فلماذا لم يسمّ هيكل الرب "هيكل لبنان" طالما أنه مبني هو أيضاً من خشب أرز لبنان؟. إن هذا الاجتهاد غير مقنع، خاصة إذا قرأنا هذا النص ربطاً بالنصوص الأخرى التي تتحدث عما رغب أن يبنيه سليمان في لبنان وكل أرض سلطانه.

^{١٣٤} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٣١.

^{١٣٥} حسب الترجمة الانجيلية "بيت وعر لبنان".

أما لماذا يُفترض أن بيت سليمان قد سُمي بيت غابة لبنان دون أن يكون قد بني فعلاً في لبنان، فذلك لأن قراءة النص في سفر الملوك وغيره من النصوص في ضوء جغرافية الشرق الأدنى يفضي إلى القول بأن مملكة إسرائيل لم تكن تسيطر على لبنان الحالي الذي كان خارج حدودها. ولهذا فليس منطقياً أن يبنى سليمان في لبنان وهو خارج سلطانه^{١٣٦}. هذه المسلمات المسبقة هي نتيجة بدئية لاسقاط الجغرافية التوراتية على كامل منطقة الشرق الأدنى.

لكن النصوص التوراتية تتكلم صراحة، ودون أي إبهام أو غموض، أن جبل حرمون ولبنان وصيدون إلى تخم صور كانت ضمن حدود أرض إسرائيل^{١٣٧}. كل لبنان وكل حرمون وجميع الصيدونيين كانوا ضمن الأراضي التي دخلها يشوع، لكن سكان صيدون لم يطردوا، فسكن الأشوريون في وسطهم، وسكن بنو إسرائيل في وسط الحويين سكان جبل لبنان. فهل نستغرب بعد أن يكون سليمان قد بنى قصراً له في لبنان التوراتي، وليس لبنان المتوسطي.

^{١٣٦} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، ص ١٤٣. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٧ و ٧٠٦. ومن جهة أخرى لماذا يُفترض أن سليمان قد بنى مخازن في بلدة عنجر اللبنانية المعتبرة "حماة صوبة" الواردة في الأخبار الثاني ٨: ٣ - ٤، ولا يفترض أن بيت غابة لبنان سُمي كذلك لأنه بني في لبنان؟

^{١٣٧} لقد سبق وفصلنا هذه النصوص، فلا حاجة للتكرار هنا. نذكر القارئ فقط بما ورد في تثنية ١: ٤ ويشوع ١١ و ١٢ و ١٣ وقضاة ١: ٣١ و ٣: ٣.

وثمة نصوص أخرى تتحدث عن أن سليمان قد بنى في لبنان، فيذكر الملوك الأول ٩: ١٩ والأخبار الثاني ٨: ٦ "كل ما أحب سليمان أن يبنيه في أورشليم ولبنان وفي كل أرض سلطانه".

ومما يلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب أن كل ما بناه سليمان في لبنان وأورشليم وتدمر وحماة وصوبة وغيرها لم يبقَ منه أثر، حتى الحجارة الكريمة "كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج... حجارة عظيمة، حجارة عشرة أذرع وحجارة ثمانية أذرع" (الملوك الأول ٧: ٩-١٠). قد يُقال أن هذه الأبنية والقصور دُمّرت بفعل الغزوات المتلاحقة ضد ممالك ساحل البحر الأبيض المتوسط، غزوات الأشوريين والكلدانيين والفراعنة والفرس وغيرهم. ومن البديهي أن تندثر الأبنية الخشبية المبنية والمسقوفة بخشب الأرز وغيره، لكن هل تندثر الحجارة العظيمة ولا يبقى لها أثر؟ إذا كانت أبنية سليمان وداود مبنية في غير فلسطين ولبنان، فلن يبقَ لها أثر فيهما. ومن التقاليد الباقية في شبه الجزيرة العربية أن قصر سليمان بن داود عليه السلام مازالت آثاره موجودة في قرية بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة. ويخبرنا الهمداني في الصفة أن هذا القصر "مبنى بصخر منحوت عجيب خراب"^{١٣٨}.

^{١٣٨} أنظر الصفة، ص ٢٨٥. وتجدد الإشارة هنا إلى أننا لا نجزم بأنه قصر سليمان، لكنها فرضية قابلة للبحث. وحيث لم يذكر عن أي أثر في بلاد الشام عموماً أنه من بقايا ما بناه سليمان الملك، فإن ما ذكره الهمداني، وبخاصة وصفه للصخر المنحوت العجيب، جدير بالاهتمام.

٥ - صور النوراثية وجبل^{١٣٩}

يشكّل البحث عن صور التوراتية أحد أهمّ المفاصل في دراسة جغرافيا التوراة وفي البحث عن أرض إسرائيل الأساسية وجيرانها الصوريين والصيدونيين. وفي هذا الفصل، كما في الفصول السابقة، لسن نلجأ إلى المنهج الفيلولوجي ومقارنة الأسماء التوراتية مع ما يماثلها في اليمن وساحل الجزيرة العربية على البحر الأحمر، إلّا بعد قراءة وتحليل النصوص التوراتية التي تتحدّث عن صور. فالنص هو المرجع الأساسي للإجابة عن السؤال التالي: هل صور التوراتية موجودة على ساحل البحر الأبيض المتوسط أم لا؟ وبالتالي هل هي صور اللبنانية أم لا؟.

يرد في أكثر من موضع من النص التوراتي، ذكر مكان أو منطقة تُدعى ترشيش، كانت صور تتاجر معها، فكانت السفن المبحرة إلى ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنوات، مما يعني أنها في مكان بعيد عن

^{١٣٩} تجدر الإشارة في بداية هذا الفصل عن صور وجبل التوراتيتين، إلى أن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، دعا الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل إلى زيارة اليمن والتعرّف على أرض فينيقيا الأساسية وصور وجبل اللتين كانتا في اليمن.

صور وأرض إسرائيل. ولهذا فقد اعتبرت أنها مستعمرة "ترسيوس" على الساحل الاسباني الجنوبي قرب مضيق جبل طارق^{١٤٠}.

ويعود سبب اعتبار ترشيش في أقصى البحر المتوسط غرباً، إلى أن صور التي تتاجر معها هي صور اللبنانية، وهذه مسلمة لا تقبل الجدل أو إعادة النظر. فالإبحار إليها كان في البحر المتوسط، والنبي يونان عندما ركب السفينة مبحراً إليها هرباً من وجه الرب (يهوه)، انطلق من "يفو" التوراتية المعتبرة "يافا" على الساحل الفلسطيني^{١٤١}.

وإلى جانب ترشيش، فقد كانت سفن حيرام وسليمان تذهب إلى أوفير في طلب الذهب والحجارة الكريمة وخشب الصندل. فهل كان الإبحار إلى أوفير يسير في الاتجاه ذاته حيث ترشيش؟ إن قراءة النصوص المتعلقة بترشيش وأوفير سوف تجيب عن هذا التساؤل.

يخبرنا سفر الملوك الأول ٩: ٢٦ - ٢٨ أن الملك سليمان "عمل سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم، فأرسل حيرام في السفن عبده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان، فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهباً أربع مئة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان".

^{١٤٠} أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٦، وكل الترجمات التي تعتمد إدراج

شروحات على النص.

^{١٤١} سفر يونان الاصحاح الأول: ٣ وما بعدها.

وبما أن عصيون جابر معتبرة تقليدياً عند خليج العقبة في الطرف الشمالي للبحر الأحمر، فإن الإبحار إلى أوفير كان يتم عبر هذا البحر وليس البحر الأبيض المتوسط، وإلا لما كان سليمان عمل السفن في عصيون جابر. وهذا أمر مسلم به عند كل الباحثين والمشتغلين بالدراسات التوراتية، ولهذا يرى قاموس الكتاب المقدس أن أوفير هي في العربية الجنوبية أو بلاد اليمن حالياً^{١٤٢}.

وفي حين أن نص الملوك الأول يكتفي بالاشارة إلى أن حيرام أرسل في سفن سليمان "عبيده النواتي العارفين بالبحر"، فإن نص الأخبار الثاني ٨: ١٧ - ١٨ يذكر أن حيرام أرسل مع سفن سليمان سفناً وملاحين يعرفون البحر، فيقول: "حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى أيلة على شاطئ البحر في أرض أدوم، وأرسل له حورام بيد عبيده سفناً وعبيداً يعرفون البحر فاتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وخمسين وزنة ذهب وأتوا بها إلى الملك سليمان".

وتعقيباً على هذين النصين نورد الملاحظات التالية:

١ - في نص الملوك الأول، أرسل حيرام ملاحين صوريين على خبرة في مجال الملاحة البحرية. وهذا أمر معقول إذا ما تساءلنا كيف أرسلهم حيرام من صور اللبنانية على البحر المتوسط إلى خليج العقبة؟

^{١٤٢} سبق وتناولنا مسألة أوفير هذه في إطار البحث عن مساكن اليقطانيين، أنظر

فمن الممكن أن يرسلهم عن طريق البر عبر فلسطين ثم يحبرون في سفن سليمان من هناك إلى جنوب الجزيرة العربية حيث أوفير.

٢ - لكن الصعوبة تبدو في قراءة النص الثاني في الأخبار الثاني ٨، حيث نرى أن حورام أرسل لسليمان إلى خليج العقبة (أيلة التي على شاطئ البحر في أرض أدوم) سفناً وملاحين عارفين بالبحر. فكيف أرسل له السفن من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأحمر، وإمكانية البحار بين هذين البحرين مباشرة دون الدوران حول أفريقيا، كان أمراً مستحيلاً في عصر سليمان وحيرام، ولم يصّر ممكناً إلا بعد ذلك بثلاثة آلاف سنة^{١٤٣}.

٣ - ولحلّ هذه الاشكالية فقد اعتبر أن صور اللبنانية التي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط كانت تمتلك أسطولاً تجارياً في البحر الأحمر، ومن هناك كانت تبحر "سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير، أتت من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً وحجارة كريمة" (ملوك أول

^{١٤٣} أي بعد شق قناة السويس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد الميلاد. أما الدوران حول أفريقيا فلم يكن ممكناً في عصر سليمان، ولم يصبح واقعاً إلا في عصر الاكتشافات الحديثة مع كريستوف كولومبوس وأميركو فيسبوتشي وماجلان الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح.

١٠: ١١، وأخبار ثاني ٩: ١٠^{١٤٤}. (لكن كيف بنى حيرام الصوري اللبناني أسطولاً تجارياً في البحر الأحمر، وكيف نقل أخشاب لبنان إلى هذا البحر لبناء الأسطول؟ فهذا ما لم يجب عنه أحد من الباحثين، أو ربما لم يكلف أحد منهم عناء التساؤل والإجابة، أو ربما استعمل حيرام أخشاب سيناء من الأرز والسرو والشرين؟. نحن نعتقد أن حيرام الصوري التوراتي لم يكن مضطراً لإرسال سفن من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر، ولا إلى نقل أخشاب لبنان المتوسطي إلى سواحل البحر الأحمر الشمالية لكي يبني بها أسطوله التجاري العامل في شواطئ الجزيرة العربية. والسبب في ذلك يعود إلى أن صور التوراتية لم تكن على ساحل البحر المتوسط بل كانت على ساحل البحر الأحمر عند الشاطئ اليمني، وهذا ما سيتم إثباته في سياق هذا الفصل، ومن خلال النص التوراتي بالذات، قبل أن يكون من خلال تشابه الأسماء.

لنعد الآن إلى التساؤل السابق: هل أن البحار إلى ترشيش كان يتم في الاتجاه ذاته حيث أوفير؟ وذلك بعد أن تبين لنا بما لا يقبل الشك بأن البحار إلى أوفير كان يتم من البحر الأحمر باتجاه سواحل حضرموت وعمان.

^{١٤٤} راجع تاريخ العرب، فيليب حتي، ص ٧١. قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٨. كذلك لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، ص ١٠٩ - ١١٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

يخبرنا نص الملوك الأول ١٠: ٢٢ أن الملك سليمان كان يمتلك سفناً تسير إلى ترشيش مع سفن حيرام "فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس". ويتكرر هذا النص في الأخبار الثاني ٩: ٢١، مع التأكيد بأن هذه السفن "كانت تسير إلى ترشيش مع عبيد حورام، وكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس". فهل كانت ترشيش في موقع ما من سواحل البحر المتوسط غرباً أم في سواحل الجزيرة العربية؟

إن الدليل الوارد في سفر الملوك الأول ٢٢: ٤٨ - ٤٩، يخبرنا بأن يهو شافاط ملك يهوذا "عمل سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير لأجل الذهب، فلم تذهب لأن السفن تكسرت في عصيون جابر".

يستنتج من هذا النص بأن ترشيش وأوفير كانتا في الاتجاه ذاته، دون القطع بهذه المسألة، لأن النص لا يحدد صراحة بأن سفن ترشيش هذه قد عملها يهو شافاط لكي تذهب إلى ترشيش وأوفير معاً. وقد يقول البعض بأن تسمية السفن هنا بسفن ترشيش، ربما كان للدلالة على ضخامتها وقدرتها على الإبحار إلى أماكن بعيدة^{١٤٥}. لكن النص ذاته قد تكرر في الأخبار الثاني ٢٠: ٣٥ - ٣٦، وبشكل يسمح بإمكانية القطع

^{١٤٥} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٢١٦. ولبنان في الكتاب المقدس، م. س،

في هذه المسألة. يقول النص: "ثم بعد ذلك اتحد يهو شافاط ملك يهوذا مع أخزيا ملك إسرائيل الذي أساء في عمله. فاتحد معه في عمل سفن تسير إلى ترشيش فعملوا السفن في عصيون جابر... فتكسرت السفن ولم تستطع السير إلى ترشيش".

يستنتج من هذا النص أن سفن ترشيش التي بناها يهو شافاط لتذهب إلى أوفير حسب نص الملوك الأول ٢٢، هي نفسها السفن التي بناها لتذهب إلى ترشيش حسب نص الأخبار الثاني ٢٠. وفي الحالتين فإن السفن قد بنيت في عصيون جابر عند خليج العقبة وفق المسلمات الجغرافية التي وضعها الباحثون التوراتيون وتحديداً المشتغلون بالجغرافية التوراتية. إذن ترشيش ليست في إسبانيا، ولا الأبحار إليها كان يتم عبر البحر الأبيض المتوسط، بل عبر البحر الأحمر. وإلا لماذا بنى يهو شافاط السفن في عصيون جابر لتذهب إلى ترشيش؟ ولم بينها على الساحل الفلسطيني المتوسطي عند حيفا أو عكا أو يافا^{١٤٦}. هل أخطأ يهو شافاط في

^{١٤٦} تعلق الترجمة المسكونية للكتاب المقدس (TOB) على نص الأخبار الثاني ٢٠

قائلة بالنص الفرنسي:

"Comme on identifie généralement Tarsis avec une région d'Espagne ou d'Afrique du nord et qu'Ezion-Guèvèr se trouve dans le golfe d'Aqaba sur la mer rouge, ce texte fait difficulté. Ces identifications seraient-elles inexactes? Ou le texte ne serait-il pas certain? Ou l'auteur aurait-il employé une expression toute faite, utilisée pour la navigation au long cours"? Edition paris 1975, p. 1856.

تحديد المكان الذي تبحر منه السفن إلى ترشيش؟ أم أن كاتب سفر الأخبار الثاني هو الذي أخطأ، وأشكل عليه مكان وجود ترشيش، فخلط بينها وبين أوفير؟ لا نعتقد أن أيّاً من الاحتمالين وارد. وبما أن السفن المبحرة إلى ترشيش، كما إلى أوفير^{١٤٧}، لم تكن تغلق من أي ميناء على البحر الأبيض المتوسط، ولا حتى من ميناء صور اللبناني فإن صور التوراتية لا يفترض أن تكون على الساحل المتوسطي بل في نقطة ما من ساحل البحر الأحمر. قد يُقال أن هذا الكلام لا يعدو كونه تصوراً افتراضياً (أو احتمالياً)، فلا يصل إلى درجة اليقين. ذلك لأن ترشيش حتى ولو لم تكن على ساحل البحر المتوسط، بل على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي، فإن هذا لا ينفي احتمال أن تكون صور التوراتية عند الساحل الشرقي للبحر المتوسط. فبإمكان حيرام الصوري اللبناني الانبحار إلى ترشيش بواسطة أسطوله المتواجد في البحر الأحمر، وبالطريقة عينها التي كانت تبحر فيها سفنه إلى أوفير^{١٤٨}.

وهنا نقول بأن هذا الرأي صحيح شرط أن لا تكون صور التوراتية ميناء تغلق منه السفن المبحرة إلى ترشيش، أو تعود إليه. وفي

^{١٤٧} لهذا السبب يقول نص الملوك الأول ٢٢ بأن يهوشافاط بنى سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير. إن سفن ترشيش هنا يقصد بها السفن التي تبحر إلى ترشيش كذلك.

^{١٤٨} راجع ما ذكر أعلاه في هذا الفصل.

الحالين فإن صور التوراتية يجب أن تكون، دون أدنى شك، على ساحل البحر الأحمر. يقول أشعيا في الإصحاح ٢٣: ١ "وحي من جهة صور، ولولي يا سفن ترشيش لأنها خربت، حتى ليس بيت ولا مدخل". يستنتج من هذا النص إذاً أن سفن ترشيش سوف تخزن لخراب صور، وإلاّ لماذا تولول سفن ترشيش إذا لم تكن صور التوراتية ميناءً تلجأ إليه عند الضرورة، أو عند العودة من رحلاتها الطويلة. وفي أشعيا ٢٣: ١٤ يقول النص: "ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد دُمّر". وفي سفر حزقيال ٢٧: ١٢ يرد في معرض الكلام على الأمم والشعوب والمناطق التي تتاجر مع صور ما يلي: "ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقامت أسواقك". وفي ٢٧: ٢٥ يرد: "سفن ترشيش سيارة لك لموسمك وقد امتلأت وصرت ذات مجد عظيم في قلب البحار". فهل هناك من شك بعد بأن ترشيش كانت تتاجر مع صور التوراتية، وأن سفن ترشيش سيارة إليها حاملة الفضة والحديد والقصدير والرصاص^{١٤٩}. ويشير إرميا إلى فضة ترشيش المطرقة في ١٠: ٩، إذ يقول: "فضة مطرقة تجلب من ترشيش".

^{١٤٩} حتى أن أشعيا يطلق على صور لقب "بنت ترشيش" (٢٣: ١٠).

وفي الإصحاح ٦٠ من سفر أشعيا، يقول الكاتب^{١٥٠} في معرض الكلام على أورشليم وعودة أهلها إليها من السبي: "إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش مستعدة منذ الأول أن تأتي بينيك من بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم لاسم الرب إلهك" (٦٠: ٩)^{١٥١}.

أما في مسألة تكسر السفن التي بناها يهوشافاط في عصبون جابر على خليج العقبة، فقد أشير كذلك في غير سفر الملوك الأول ٢٢ والأخبار الثاني ٢٠، إلى تكسر سفن ترشيش برياح شرقية قوية. فالزمزمور

^{١٥٠} يُنظر إلى سفر أشعيا عموماً على أنه ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبه النبي في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو يمتد من الفصل الأول حتى الفصل التاسع والثلاثين. والقسم الثاني لم يكتبه أشعيا بنفسه، بل ربما أحد تلاميذه أو كاتب آخر لا نعرفه، وفي مرحلة ما بعد السبي. وهذا القسم الثاني هو ما يسميه اللاهوتيون "سفر أشعيا الثاني" ويمتد من الإصحاح ٤٠ إلى الإصحاح ٥٥. والقسم الثالث وهو ما يُسمى "أشعيا الثالث" يمتد من الإصحاح ٥٦ حتى الإصحاح ٦٦ الأخير.

^{١٥١} إذا كانت سفن ترشيش مستعدة لأن تحمل بني أورشليم من سبيهم وتعيدهم إلى أرضهم التي أعطاهم إياها الرب إلههم (يهوه) فكيف تستطيع سفن ترشيش هذه القادمة من بعيد وفق ما يقوله النص حرفياً (أي من أرض بابل) أن تعيدهم إلى أرضهم إذا كانت تبحر في البحر الأبيض المتوسط. إن هذا النص عند أشعيا -وبخاصة لأنه كتب في مرحلة ما بعد السبي- يشكل دليلاً إضافياً على أن ترشيش ليست عند الساحل الأسباني، ولا سفن ترشيش السيادة إلى صور كانت تبحر في البحر الأبيض المتوسط.

٤٨: ٧ يذكر الريح الشرقية التي "تكسر سفن ترشيش". وحزقيال يتنبأ على صور قائلاً: "كسرتك الريح الشرقية في قلب البحار" (٢٧: ٢٦). مما يعني أن الريح الشرقية هذه التي كسرت صور في قلب البحار، ما هي إلا الريح التي كسرت سفنها المبحرة إلى ترشيش^{١٥٢}. فهل خليج العقبة هو موقع عصيون جابر حيث كسرت الرياح الشرقية سفن يهوشافاط، فلم تستطع الانبحار إلى ترشيش؟ إن خليج العقبة المحمي من الجهة الشرقية بمجموعة من التلال، وهي المسماة وفق الدراسات التوراتية تلال أدوم، لا يتعرض حسب المعلومات الجغرافية إلى مثل هذه الرياح الشديدة القادرة على تحطيم سفن بحرية كبيرة أعدت خصيصاً للأنبحار في مياه البحر الأحمر وبحر عمان^{١٥٣}.

لكن هذه الرياح التي كانت قادرة على تحطيم سفن ترشيش ما هي إلا رياح السموم، أو الرياح الموسمية الغدّارة التي تهبّ على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية^{١٥٤} خلال فصل الشتاء.

^{١٥٢} إن قاموس الكتاب المقدس يرى كذلك أن إشارة حزقيال هذه تعني تكسر سفن ترشيش (أنظر ص ٢١٦).

^{١٥٣} إننا لا ننفي تعرض خليج العقبة إلى الرياح الشرقية، لكنها ليست بمثل قوة الرياح الموسمية الجنوبية التي تهب على ساحل عمان وحضرموت واليمن، والمسماة رياح السموم لشدتها وقوتها.

^{١٥٤} راجع تاريخ العرب، لفليب حتي، م. س، ص ٨٢.

إن موقع عصيون جابر التوراتي حيث بنى سليمان ويهوشافاط السفن، وحيث أرسل حيرام إلى سليمان سفناً وملاحين عارفين بالبحر، ليس في الطرف الشمالي للبحر الأحمر، بل في الجنوب عند ساحل اليمن. ويخبرنا الهمداني في صفة جزيرة العرب عن موقع بحري على شاطئ اليمن كان موجوداً في أيامه واختفى فيما بعد، يُدعى "منهق جابر". وهو إلى الشمال من جزيرة كمران، وربما كان قائماً على مقربة من مصب وادي مور عند بلدة اللحية. ويذكر الهمداني حرفياً أن منهق جابر هذا "هو رأس غزير كثير الرياح حديدتها"^{١٥٥}.

وإذا كانت سفن ترشيش وأوفير تبحر في البحر الأحمر وبحر عمان، فإن الملاحة فيهما كانت تتطلب خبرة ومهارة ومعرفة تامة بشواطئهما، إلى جانب الخبرة في أوقات الرياح الموسمية الغدّارة وذروتها.

^{١٥٥} أنظر الصفة، ص ٦٨. أما كلمة "منهق" لغوياً فهي مشتقة من الجذر "فهق" الذي يعني الشدة والكثرة والاتساع. فإذا قيل فهق الرجل، يعني أصاب فهقته (الفقرة الأولى من العمود الفقري عند الرقبة). وإذا قيل فهق الأنساء يعني طفح. وإذا قيل فهق أو انفهق البرق يعني اشتدّ واتسع. والفاهقة تعني الطعنة التي تنصبب بالدم. والمنهق هو الواسع. وعليه فإن معنى فهق لغوياً ينسجم تماماً مع تسمية هذا الموقع والوصف الذي أعطاه إياه الهمداني، وهذا الوصف ينسجم مع التسمية التوراتية "عصيون" التي تعني "العصي". ويذكر ياقوت في معجم البلدان "منهق جابر" في المكان عينه والوصف ذاته اللذين ذكرا في الصفة. (ج ٥، ص ٤٤٨).

وفي الراجح أن الرحلة إلى ترشيش كانت تستغرق ثلاث سنوات، ليس فقط بسبب بعد المسافة التي ربما لم تكن تتطلب كل هذه المدة^{١٥٦}، بل كذلك بفعل الرياح الموسمية التي كانت تجعل الأبحار عسيراً إن لم يكن مستحيلاً. مما يجبر البحارة على اللجوء إلى الشواطئ الآمنة بانتظار هدوء الرياح. ولهذا الأسباب أعلاه فإن سليمان كان يستعين بملاحين صوريين على خبرة واسعة في شؤون الملاحة وفنونها في الشواطئ الجنوبية للجزيرة العربية. فكان يرسل حيرام في سفن سليمان التي بناها في عصيون جابر ملاحين عارفين بالبحر، أو يرسل سفناً وملاحين ليقودوا أسطول سليمان في إبحاره إلى ترشيش وأوفير.

^{١٥٦} لقد حدّد الباحث كمال الصليبي موقعاً محتملاً لترشيش التوراتية هذه عند ساحل ظفار التابعة اليوم لسلطنة عمان. فإذا صحّ هذا الافتراض يكون الإبحار إلى ترشيش وأوفير يستلزم الوقت عينه، حيث أننا نفترض أن أوفير التوراتية هي ظفار. وهذا ربما يفسر نص الملوك الأول ٢٢ والأخبار الثاني ٢٠، حيث سفن ترشيش المسافرة إلى أوفير في النص الأول هي نفسها السفن المسافرة إلى ترشيش في النص الثاني. ويرجح الصليبي أن تكون ترشيش قرية شرشيتي غير البعيدة عن ميناء صلالة قاعدة سلطنة عمان الذي كان يُسمّى ظفار في العصور الوسطى (أنظر كتابه خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٢٧٩). وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان "ترشيش" في بلاد فارس (ج ٢، ص ٢٢، وج ٤، ص ٣٣). فإذا كانت هذه ترشيش التوراة، فإن الرحلة من منهق جابر على الساحل اليمني إلى الخليج الفارسي، كانت تتطلب ثلاث سنوات.

وعلى كل حال فقد كان البحارة الصوريون فينيقيي البحر الجنوبي، كما كان بحارة صور وصيدون اللبنايتين فينيقيي البحر المتوسط. ويذكر المؤرخ فيليب حتي أن أهل سبأ كانوا "فينيقيي البحر الجنوبي، فقد عرفوا طرقه وتعرجات سواحله وموانئه وسيطروا على رياحه الموسمية الغدارة - السموم - فاحتكروا بذلك تجارته خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل الميلاد"^{١٥٧}.

إن صور اليمنية جارة سليمان لم تكن إلا سلف السبئيين هؤلاء في الحقبة الممتدة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى العصر الذهبي للدولة السبئية (٦١٠ - ١١٥ ق.م) الذي تلا خراب صور اليمنية وتدميرها على يد نبوخذنصر.

ننتقل الآن إلى السؤال الأساسي في هذا الفصل: أين كانت صور التوراتية التي أسميناها أعلاه "صور اليمنية" تمييزاً لها عن صور اللبنانية. وبصياغة أخرى هل كانت صور التوراتية في اليمن، وأين؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نستعرض النصوص التي تصفها بأنها موقع وحصن بحريان، أو تصفها بالصخرة^{١٥٨}.

^{١٥٧} تاريخ العرب المطول، ص ٨٢.

^{١٥٨} إن اسم صور بالعربية "صر" ويعني الصخرة.

أول ما تذكر النصوص التوراتية صور في يشوع ١٩: ٢٩، تصفها بالمدينة المحضة، ويتكرر هذا الوصف في سفر صموئيل الثاني ٢٤: ٧ بعبارة "حصن صور". وفي أشعيا ٢٣: ٤ يقول النص في معرض رثاء صور: "إحجلي يا صيدون لأن البحر حصن البحر نطق قائلاً...". وفي ٢٣: ١٤ يخاطب النص سفن ترشيش قائلاً: "ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد أخرب". أما سفر زكريا فيذكر في الاصحاح ٩: ٣ أن صور "قد بنت حصناً لنفسها وكومت الفضة كالتراب والذهب...".

وفي معرض تنبؤاته على صور، يقول حزقيال في ٢٦: ٣ - ٤: "لذلك هكذا قال السيد الرب، هاأنذا عليك يا صور فاصعد عليك أمماً كثيرة كما يعلي البحر أمواجه، فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها، وأسحّي ترابها عنها وأصيرها ضح الصخر"^{١٥٩}.

يستخلص من هذه النصوص أن صور التوراتية كانت حصناً بحرياً منيعاً، أو كانت عند شاطئ صخري تحميها أبراج وأسوار عالية منيعة. وعليه فإننا نعتقد أن صور هذه التي كانت في اليمن مدنية عريقة وعظيمة في عصر داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد والقرون الثلاثة اللاحقة، كانت موجودة عند جزيرة كمران والرأس المقابل لها، حيث إلى الجهة الشمالية يظهر خليج بحري نرجح أنه كان ميناء صور التوراتية.

^{١٥٩} في الترجمة اليسوعية القديمة: "أسحّي غبارها عنها وأجعلها صخراً عارياً".

قد يتساءل القارئ لماذا نفترض أن كمران هي التي كانت الموقع المحتمل لصور اليمنية التوراتية. إن هذا الافتراض يركز إلى النقاط التالية:

أ - ما يقوله سفر حزقيال ٢٧: ٣ مخاطباً صور: "أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة... تخومك في قلب البحار". فإلى جانب مجموعة جزر كمران (أو قمران)، هناك إلى الشمال مجموعة جزر فرسان ومجموعة الجزر عند شاطئ القنفذة. وإلى الغرب مقابل ساحل الحبشة والجنوب مجموعة جزر دهلك وزيلع ومجموعة جزر حنيش الكبرى وحنيش الصغرى وإلى الجنوب عند مضيق باب المندب وخليج عدن جزيرة بربرة وجزيرة سقطرى والجزر المحيطة بها. إن هذه الجزر مقابل الساحل اليمني تعدّ بالعشرات - إن لم نقل بالمئات - وهذا ما يفسر تعبير حزقيال "تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة"^{١٦٠}.

^{١٦٠} إننا نعتقد أن هذا الموقع لصور التوراتية يبدو أكثر صوابية، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما ذكره حزقيال عن جزائر كتيمة (٢٧: ٦) وجزائر أليشه (٢٧: ٧) التي كانت تتاجر معها صور. وقد اعتبرت جزيرة قبرص في الوقت عينه جزائر كتيمة وأليشه بدون أي مسوغ، في حين أن النص التوراتي يشير إلى مجموعتين من الجزر. وفي الراجع أن الإشارة هنا ما هي إلا إلى جزر كمران وجزر فرسان. (أنظر بشأن قبرص المعتبرة كتيمة وأليشه في الوقت نفسه، -

ب - ما ذكره كل من أشعيا وإرميا وحزقيال عن خراب صور ودمارها على يد نبوخذنصر ملك بابل الآتي من الشمال على رأس عشائر الشمال^{١٦١}. يقول أشعيا في الاصحاح ٢٣: "وحي من جهة صور. ولولي يا سفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت، حتى ليس مدخل. من أرض كتيمة أعلن لهم. اندهشوا يا سكان الساحل... إبحلي يا صيدون لأن البحر حصن البحر نطق قائلاً: لم أتمخض ولا ولدت ولا ربيت شباباً ولا نشأت عذارى. عند وصول الخير إلى مصر يتوجعون عند وصول خير صور. إعيروا إلى ترشيش، ولولوا يا سكان الساحل... لا تعودين تفتخرين أيضاً أيتها المنتهكة العذراء بنت صيدون... ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد أخرب".

أما إرميا فيقول: "هأنذا أرسل فأخذ كل عشائر الشمال، يقول الرب، وإلى نبوخذنصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل الشعوب حواليتها فأحرّمهم وأجعلهم دهشاً وشفيراً وخرباً أبدياً" (٢٥: ٩). إن كأس السخط التي

^{١٦٠} قاموس الكتاب المقدس، ص ١١١، ٧٧٤. كذلك لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٢٢، هامش رقم ٥.

^{١٦١} إن تعبير عشائر الشمال وملك بابل الآتي من الشمال يشير كما نعتقد إلى صور اليمنية أكثر مما يشير إلى صور المتوسطية، حيث أرض بابل هي إلى الشرق تماماً ودون أدنى شك. وقد تناولنا هذه المسألة في فصل سابق في سياق الكلام على نهر فرت التوراتي. (أنظر ص ١٤١ وما بعدها).

سيسقيها نبوخذنصر (٢٥: ١٥) سوف تظال كل الشعوب، أورشليم ومدن يهوذا، وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤساءه وكل شسعبه. كل ملوك أرض عوص وأرض الفلسطينيين. كل ملوك صور وكل ملوك صيدون وملوك الجزائر التي في عبر البحر. وددان وتيماء وبوز وكل ملوك العرب. ثم يعود إرميا في الاصحاح ٤٧: ١-٧ ليشدد على خراب صور وصيدون وهلاكهما.

أما حزقيال فيخبرنا بكثير من التفصيل عن خراب صور ومصيرها الأليم، ومصير رئيس صور وموته. يقول في الاصحاح ٢٦: ٢-٢١: "هأنذا عليك يا صور، فاصعد عليك أمماً كثيرة كما يعلّي البحر أمواجه، فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها، وأسحي ترابها عنها وأصيرها ضح الصخر... وتكون غنيمة للأمم. وبناتها اللواتي في الحقل تقتل بالسيف... هأنذا أجليب على صور نبوخذ راصر ملك بابل من الشمال، ملك الملوك بخيل ومركبات وفرسان وجماعة وشعب كثير. فيقتل بناتك... ويبني عليك معاقل، ويبني عليك برجاً، ويقيم عليك مترسة، ويرفع عليك ترساً. ويجعل مجانق على أسوارك ويهدم أبراجك بأدوات حربه. ولكثرة خيله يقطبك غبارها، من صوت الفرسان والعجلات والمركبات، تنزلزل أسوارك عند دخوله أبوابك كما تدخل مدينة مثغورة. بحوافر خيله يدوس كل شوارعك، يقتل شعبك بالسيف فتسقط إلى الأرض أنصاب عزك. وينهبون ثروتك ويغنمون تجارتك

ويهدون أسوارك ويهدمون بيوتك، ويضعون حجارتك وخشبك وترايك في وسط المياه. وأبطل قول أغانيك وصوت أعوادك (كناراتك) لن يسمع بعد. وأصيرك صخراً عارياً فتكونين مبسطاً للشباك ولا تبين من بعد".

ويتابع حزقيال قائلاً: "أما تنزلزل الجزائر عند صوت سقوطك، عند صراخ الجرحى، عند وقوع القتلى في وسطك فينزل جميع رؤساء البحر عن كراسيهم... ويرتعدون ويتحIRON. ويرفعون عليك مرثاة ويقولون لك: كيف بدت يا معمورة من البحار، المدينة الشهيرة التي كانت قوية في البحر هي وسكانها الذين أوقعوا رعبهم على جميع جيرانها. الآن ترتعد الجزائر يوم سقوطك وتضطرب الجزائر التي في البحر لزوالك لأنه هكذا قال السيد الرب. حين أصيرك مدينة خربة كالمدين غير المسكونة... فلا توجدين بعد إلى الأبد".

إن ما استعرضناه من بلاغات أشعيا وإرميا وحزقيال التي تتحدث عن سقوط صور وخرابها ودمارها التام والنهائي بحيث لا تعود أبداً، وما أحدثه هذا من رعب على كل جزائر البحر ورؤسائها، نعتقد أنه يتعلّق بصور اليمنية التي زالت كمدينة بحرية عظيمة، أكثر مما يتعلّق بصور اللبنانية التي حاصرتها جيوش نبوخذ نصر مدة ثلاث عشرة سنة

(٥٨٥-٥٧٢ ق.م) دون أن تهاجمها لأنها عرضت عليهم استسلاماً جزئياً فرفع عنها الحصار مقابل جزية وعدد من وجهائها كرهائن^{١٦٢}.

إن كلاً من أشعيا وإرميا وحزقيال، يتحدث عن زوال صور على يد نبوخذنصر ملك بابل الآتي من الشمال على رأس عشائر الشمال. ويجب ألا يعتقد القارئ أننا ننقل الأحداث من ساحل البحر المتوسط إلى ساحل البحر الأحمر. بل على العكس إننا نشدد على التمييز بين ما حدث لصور اللبنانية على يد الجيوش الكلدانية والذي انتهى بالصلح، وما حدث لصور التوراتية -وفق ما تقوله التوراة- والذي أدى إلى دمارها التام والنهائي. لقد نظر المؤرخون والباحثون التوراتيون إلى الأحداث التي تصفها التوراة، من زاوية جغرافية محدّدة، فتمّ أسقاط الوقائع التاريخية التوراتية على الأحداث والوقائع التي جرت عند الساحل الفينيقي خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

وعلى العموم فقد نظر إلى ما تقوله التوراة عن دمار صور وسيطرة جيوش نبوخذنصر على أرض مصر بعد ذلك، على أنه قد تمّ عند

^{١٦٢} المقصود هنا صور البحرية. أنظر تاريخ لبنان، لفيليب حتي، ص ١٨٢. وهو ينقل هذه المعلومات عن هيرودوت ويوسيفوس وسواهما. ويقول قاموس الكتاب المقدس: لا نعرف إذا أخذ قسماً من المدينتين (البرية والبحرية) أم لم يأخذها وإذا كان قد احتل شيئاً فيكون ذلك القسم الساحلي. (راجع ص ٥٦٠، ويعتمد في معلوماته هذه على سفر حزقيال).

ساحل فينيقيا ومصر الفرعونية في خلال الفترة الممتدة بين ٥٨٧ - ٥٦٧ ق.م^{١٦٣}.

ج - ويقول حزقيال في الاصحاح التاسع والعشرين بأن أرض مصر ستكون دهباً وخزباً وقفاراً مستوحشة خربة، "ومدنها بين المدن الخربة تكون مستوحشة أربعين سنة، وأشتت مصر بين الأمم وأذريها في الأراضي" (٢٩: ١٢). ثم يتابع قائلاً: "إن نبوخذ راصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور. كل رأس قرع وكل كتف تجرّدت، ولم تكن له ولا لجيشه أجرة من صور... هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ راصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ويغنم غنيمتها وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه. قد أعطيته أرض مصر..." (٢٩: ١٨ - ٢٠)^{١٦٤}.

^{١٦٣} يرى قاموس الكتاب المقدس أن نبوخذنصر قام بعد حصاره لصور اللبنانية بغزوة لأرض مصر الفرعونية عام ٥٦٧ ق.م، ويستند في هذه الرواية إلى ما ورد عند حزقيال ٢٩: ١٧-٢٠. أنظر كذلك لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٣٢.

^{١٦٤} من الأهمية بمكان أن تشير إلى أن النبي حزقيال كان معاصراً لنبوخذنصر الكلداني، وقد سبي إلى بابل عام ٥٩٨ ق.م. ومن الراجح أنه كتب السفر هناك، فكان إذاً معاصراً للأحداث اللاحقة خلال الثلاثين سنة التي تلت جلاءه عن أورشليم. فقد عاصر سقوط مملكة يهوذا وسي أهلها عام ٥٨٧ ق.م. إن ما يسجله هنا عن اجتياح نبوخذنصر لأرض مصر لم يحصل في مصر الفرعونية. فليس هناك في المدونات التاريخية أية إشارة إلى مثل هذا الاجتياح. وقد ذكر-

وإذا ما أخذنا بالحسبان أن صور اللبنانية دفعت لجيوش نبوخذنصر الكلداني جزية لقاء رفع الحصار وعقد الصلح، فمن البديهي أن ينظر إلى ما يقوله النص التوراتي (حزقيال ٢٩) من أن ملك بابل لم يأخذ أجرة من صور التوراتية^{١٦٥}، بل أخذ أجرته أرض مصر وثروة مصر غنيمة ونهباً، نقول من البديهي أن ينظر إلى هذا الأمر على أنه لم يتم عند ساحل فينيقيا ومصر الفرعونية. فبعد معركة العام ٦٠٥ ق.م بين الجيوش الكلدانية والجيش المصري التي هزم فيها الفرعون نحو فتراجع إلى مصر، تقدمت جيوش نبوخذنصر إلى الساحل الفلسطيني لكنها لم تتقدم نحو مصر بالذات، فلم يجبرنا أحد من المؤرخين القدماء عن حصول مثل هذا التقدم. وحتى خلال الأحداث التي حصلت بين عامي ٥٨٧-٥٦٧ ق.م،

=إرميا (٤٣: ٨ - ١٢) عن غزو نبوخذ نصر كذلك لأرض مصر التي هرب إليها النبي مع الذين بقيوا في أرض يهوذا بعد السبي خوفاً من انتقام نبوزردان رئيس جيش الكلدانيين بسبب مقتل جدليا الذي وكله على الباقين في يهوذا باسم ملك بابل. لقد كان النبي إرميا معاصراً إذاً للأحداث خلال الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد مثل النبي حزقيال، فالاثنتان يسجلان أحداثاً عايشاها وتابعاها سنة فسنة.

^{١٦٥} يقرّ الباحثون التوراتيون بأن صور اللبنانية لم تدمر على يد نبوخذ نصر الكلداني. وما يقوله النص التوراتي عند أشعيا وإرميا وحزقيال عن خراب صور التوراتية على يد نبوخذنصر قد تمّ في نظرهم بعد ثلاثة قرون على يد الاسكندر المقدوني؟ (انظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٦٠ - ٥٦١. كذلك لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٣٢).

لم تتقدم جيوش نبوخذ نصر باتجاه مصر الفرعونية، بل اكتفت باحتلال فينيقيا وتدمير مملكة يهوذا^{١٦٦}. فبناءً على ما تقدم نرى بأن ما تقوله التوراة عن دمار صور واحتلال الجيوش الكلدانية الآتية من الشمال أرض مصر، إنما قد تمّ في غرب شبه الجزيرة العربية حتى مشارف اليمن.

د - وبعد تدمير صور التوراتية اليمنية على يد نبوخذ نصر في خلال غزوته لليمن التي يتحدث عنها الاخباريون العرب^{١٦٧}، زالت هذه المدينة البحرية العريقة من الوجود عند رأس كمران واستمرت مدينة برية مقابل الموقع القديم باسمها التوراتي "صور"، وهي بلدة من أعمال شهارة غربي حجة. وفي الراجح أن أهلها انتقلوا من موقعهم الأساسي عند كمران إلى البر واستمروا هناك بعد أن عمروا مدينة بديلة عن صور التي دُمّرت، أو كان لهم في الأساس مدينتان بحرية وبرية.

^{١٦٦} Voir Encyclopaedia universalis, 1990, T3, p. 704. C3.

^{١٦٧} سبق وأشرنا إلى غزوة نبوخذ نصر لغرب الجزيرة العربية (تهامة وحضور اليمن)، أنظر ١١٣. وتجدر الإشارة كذلك إلى أننا سبق وحللنا تفصيلاً مسألة أرض عوص وبوز اللتين أشار إرميا إلى أن سخط نبوخذ نصر سيحل عليهما (أنظر ص ٩٤). أنظر كذلك ص ٦٤ وما بعدها بشأن مصر التوراتية (مصري).

إن كمران التي كانت كما نفترض صور التوراتية، هي كما يقول الهمداني "حصن لمن ملك يمانى تهامة".^{١٦٨} وصور اليمينية التي سبقت سبأ، كانت تمتلك تهامة اليمن وحصنها في أوج عزها وعظمتها.

ثم إن التفاصيل التي يعطينا إياها حزقيال في الاصحاح السابع والعشرين عن تجارة صور، سواء لجهة البضائع أو الأقوام والبلدان التي كانت تتاجر معها، تشكل دليلاً إضافياً على أنها كانت في اليمن.

فمن البضائع التجارية التي كانت ترد إلى صور إما للاستهلاك أو للتجارة بها، نجد العاج المطعم في البقس من جزائر كتيمة^{١٦٩}، والكتان المطرز، والاسمنجونى والارجوان، والفضة والحديد والقصدير والرصاص والنحاس، والخيل والفرسان والبغال، وقرون العاج والأبنوس من ددان^{١٧٠}، والبهرمان والأرجوان والوشى والكتان والمرجان والياقوت،

^{١٦٨} أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٦٨.

^{١٦٩} من المستبعد أن يكون العاج المطعم بنحش البقس الآتي إلى صور التوراتية، مصدره جزيرة قبرص. وفي الراجع أن مصدره إحدى الجزر في البحر الأحمر مقابل اليمن والقرية من القرن الأفريقي حيث المصدر الحقيقي للعاج.

^{١٧٠} يرى الباحثون التوراتيون أن ددان الواردة في حزقيال ٢٧: ١٥ هي غيرها الواردة في ٢٧: ٢٠. فالأولى ربما كانت جزيرة رودس لورودها في السبعينية بصيغة "رودان"، والثانية ربما كانت بجوار تبوك في الشمال الغربي للجزيرة العربية عند ساحل البحر الأحمر. وفي الحالتين لا نعتقد أنها مصدر قرون-

والحنطة والحلاوى والعسل والزيت والبلسان، والخمر والصوف، والسليخة وقصب الذريرة^{١٧١}، وكل أنواع الطيوب والحجر الكريم والذهب.

ويذكر لنا صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريثري (٥٠-٦٠م) ما كان يرد إلى سوق موزا (وهي مخا الحالية) في اليمن من البضائع، وهي التي أخذت في ما نعتقد مكان صور اليمينية بعد خرابها^{١٧٢}. وهذه البضائع تشبه إلى حد كبير -إن لم تكن هي ذاتها- البضائع التي كانت ترد إلى صور التوراتية. يقول الكاتب: "كان يرد لها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية، ناعمها وخشنها، وألبسة خيطة على الزي العربي، ذات أردان قد تكون بسيطة أو عادية أو مطرزة أو

=العاج والأبنوس. وسوف نعود إلى هذه المسألة في سياق البحث عن الأماكن والأقوام التي كانت تتاجر معها صور.

^{١٧١} لا نعتقد أن السليخة (أو القدة) وقصب الذريرة كان مصدرهما دان وياوان (المعترة اليونان). فقد أشار إرميا إلى قصب الذريرة الذي كان يأتي من أرض بعيدة. وهذا القصب الذي يستعمل لاستخراج الطيب مصدره بلاد فارس. وفي الراجع كان يؤتى به من الخليج الفارسي من الأبله) أو عو بالبت، عوبال التوراتية). أنظر تاريخ العرب المطول لفيليب حتي، ص ٨٢.

^{١٧٢} تقع موزا أو مخا الحالية إلى الجنوب من كمران (رأس البياض حالياً) الموقع المفترض لصور التوراتية. وكانوا يبنون فيها السفن الكبرى لقطع المحيط الهندي (أنظر العرب قبل الاسلام، لخرجي زيدان، ص ١٦٣).

موشاة بالذهب. والزعفران وقصب الذريرة وأنسجة القطن الشفافة والأعينة والأحرمة -وهي ليست كثيرة- بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية. ومناطق ذات ألوان عديدة، ودهون عطرية بكميات معتدلة، والخمر، وقليل من الحنطة، لأن البلاد لا تنتج منها إلا اليسير، على أنها تفيض خمرًا... وتصدر البلاد حاصلات أرضها، فاخر المرّ والصمغ المعيني والرخام اللين (المرمر) وسائر ما أسلفنا القول فيه، وذلك من عوباليت وأقصى الساحل^{١٧٣}.

أما البلدان والأقوام والشعوب والممالك والقبائل التي كانت تتاجر مع صور، فإننا سوف ننظر إليها في إطار جغرافية جنوب الجزيرة العربية والقرن الأفريقي والخليج الفارسي. إن البضائع التي كانت ترد إلى موزا اليمنية، كانت مرتبطة بالأسواق التجارية في جنوب الجزيرة، وهذا تمامًا ما نراه بالنسبة إلى صور التوراتية التي كانت تردها البضائع عندها. فلا نعتقد البتة أن قرون العاج والأبنوس وقصب الذريرة كان مصدرها اليونان، كما لا نعتقد أيضاً أن الفضة والحديد والقصدير والرصاص التي كانت تجلب من ترشيش، مصدرها إسبانيا. بل إن مصدرها جنوب

^{١٧٣} أنظر تاريخ العرب، م. س، ص ٨١ - ٨٢، أما بشأن عوباليت فهي عندها الأبلّة التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب، ص ٤٧، ١٦٩. وفي الطبعة التي بحوزتنا، ص ٥٧. وهي بلدة على شاطئ البصرة تلاشت بعد قيام البصرة أيام عمر بن الخطاب وطغيان شهرتها على الأبلّة.

الجزيرة العربية أو أفريقيا الشرقية عند الصومال والحبشة. ولا نعتقد إطلاقاً أن حنطة منيت أو البلسان الذي كانت تتاجر به يهودا مع صور، مصدرهما شرقي الأردن وفلسطين^{١٧٤}، بل مصدرهما الحقيقي اليمن. وسوف نورد في ما يلي أسماء الأماكن والأقوام الباقية على قيد الوجود بأسمائها التوراتية عندها:

١ - دان وياوان قدموا غزلاً في أسواقك. حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك. ويرى البعض أن ياوان هي بلاد اليونان وقد ألقينا إلى هذا الأمر أعلاه، أما دان فربما كانت مجاورة لليونان لورودها مترافقة مع ياوان في حزقيال ٢٧: ١٩. وإذا كان المقصود بها دان المعروفة في أسفار التوراة فتكون بانياس في جنوب سوريا. هذا ما يقوله أحد الباحثين التوراتيين^{١٧٥}. فمصدر السليخة وقصب الذريرة كان إذاً حسب رأيه إما اليونان أو قريباً منها، وإما بانياس في جنوب سوريا^{١٧٦}.

أما قاموس الكتاب المقدس فيرى أن دان الواردة في حزقيال ٢٧: ١٩ ترد في بعض الترجمات "ودان"، وهذا المكان ربما يشير إلى "ودان" بين مكة والمدينة^{١٧٦}. وقد ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب

^{١٧٤} أنظر ما يقوله كتاب "لبنان في الكتاب المقدس"، ص ١٢٥، بهذا الشأن.

^{١٧٥} أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٢٥.

^{١٧٦} أنظر ص ٣٥٧ و ١٠٢٢.

كموضع من منازل جهينة، ويأتي مترافقاً مع العيص التي رجحنا في القسم الأول من دراستنا أن تكون أرض عوص الواردة في سفر أيوب^{١٧٧}.

أما ياون (أو ياون) فيرى القاموس أنها قبيلة عربية أو مستعمرة يونانية في بلاد العرب (اليمن)^{١٧٨}. إن تحديد قاموس الكتاب المقدس لياون لا يتعارض مع نظرتنا الجغرافية لصور التوراتية اليمنية. ومن الممكن أن تكون ياون حزقيال ٢٧، يوان البلدة المذكورة في معجم البلدان، وهي من أعمال بلاد فارس^{١٧٩}.

^{١٧٧} الصفة، ص ٣٢١. وأرض عوص وردت عند إرميا ٢٥: ٢٠ في مجال الكلام على سخط نبوخذنصر الذي سيحل على صور التوراتية وكل الأمم المجاورة لها. (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٢٤٩، ٢٥٠).

^{١٧٨} أنظر ص ١٠٥١. هذا ويرى القاموس أن ياون الواردة في حزقيال ٢٧: ١٣ مترافقة مع توبال وماشك، والواردة في أشعيا ٦٦: ١٩ مترافقة مع ترشيش وفول ولود وتوبال والجزائر البعيدة، والواردة أيضاً في زكريا ٩: ١٣. إنما يراد بها بلاد اليونان. لكن تحليلنا السابق لترشيش، حيث رأينا بشكل قاطع أنها لم تكن في إسبانيا بل في جنوب الجزيرة العربية، لا يدعم كثيراً اعتبار ياون بلاد اليونان.

^{١٧٩} يرد عند حزقيال ٢٧: ١٩ أن ياون كانت مصدراً للسليخة وقصب الذريرة (ومصدره بلاد فارس والهند وبعض مناطق في الجزيرة العربية عند الخليج الفارسي). ويذكر إرميا ٦: ٢٠ أن قصب الذريرة كان يأتي من أرض بعيدة. (أنظر معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥٢/.. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٣١).

وفي الترجمة اليسوعية (١٩٨٩) وردت الفقرة في حزقيال ٢٧: ١٩ على الشكل التالي: "وكانت ويدان وياوان تقايضان سلحك من أوزال بالحديد المطرق والسليخة وقصب الذريرة". وتعلق الترجمة في شرحها على هذه الفقرة قائلة أن ويدان (أو ودان) هي تصويب بدلاً من دان، وقد تكون ويدان إسم قبيلة عربية مغمورة. أما أوزال فتري أنها إسم قبيلة عربية مثل شبأ ورعمة، وتضيف قائلة: ويبدو أن هذا الاسم يدل على إحدى المناطق^{١٨٠}.

إن ورود ذكر أوزال في ترجمة حزقيال ٢٧: ١٩، حسب الترجمة اليسوعية (١٩٨٩) وذلك اعتماداً على النص اليوناني (السبعينية)، يؤكد أن ودان وياوان اللذين يحملان سلعاً من أوزال للمقايضة مع صور، هما في الجزيرة العربية، سواء عند مكة أو في اليمن، فلا فرق طاملاً أن النتيجة المنطقية لذلك هي أن ياون ليست بلاد اليونان على الاطلاق. نقول ذلك لأن أوزال (أو أزال) هي الاسم القديم لصنعاء عاصمة اليمن الحديث. ويقول الهمداني في الصفة أن صنعاء كان اسمها في الجاهلية أزال، ويعلق المحقق محمد بن علي الاكوع الخوالي قائلاً: ولا زالت تسمى صنعاء بازال إلى يوم الناس هذا^{١٨١}.

^{١٨٠} أنظر الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، ص ١٨١٤.

^{١٨١} الصفة، ص ٨١. ويضيف المحقق، قال الشاعر:

لي في أزال وديعة خلفتها أودعتها يوم الوداع مودعي-

٢ - توبال وماشك: وفي الراجح أنهما في اليمن، توبال هي تباله التي ذكرت في صفة جزيرة العرب، وفي معجم البلدان^{١٨٢}، وهي موضعان، الأول في اليمن والثاني يعرف بتباله الحجاج بن يوسف. وهي بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن قرب جرش. وقد أسلم أهل تباله وجرش من غير حرب فأقرهما الرسول في أيدي أهلها على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين. وقد تم فتحها (أي تباله) في السنة العاشرة للهجرة (٦٣١م). وما شك هي إما المشوكة قلعة باليمن في جبل قلحاح^{١٨٣} أو المشكان (ويقال له أيضاً المشكا) الذي ذكره الهمداني في الصفة^{١٨٤}، وهو جبل مستطيل فيه أودية وقرى.

سوأظنها لا بل يقيني أنها
وقد جاء ذكرها مصرحاً به في المسند الذي عثر عليه في قرية حاز، كما أن
الأمام نشوان بن سعيد قال: إنها تنسب إلى أزال بن يقطن: قحطان بن عابر
بن شالخ. وأزال أيضاً مقاطعة من آل عمار من ذي رعين. وقد سبق
وتناولنا مسألة موطن اليعتاتيين (بني يقطن) في القسم الأول من هذه
الدراسة، وذكرنا أوزال التي هي صنعاء.

^{١٨٢} الصفة، ص ٦٢ و١٦٧، والمعجم ج ٢، ص ٩.

^{١٨٣} معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٦.

^{١٨٤} الصفة، ص ١٩٩. وقال الشاعر:

جعلن عرادا باليمن عواديا وعن يسر مشكان ذات الفدافد.

٣ - ددان: يرد هذا الاسم مرتين في حزقيال ٢٧، ففي ٢٧: ١٥ يتوافق مع جزائر البحر الكثيرة التي كانت تتاجر مع صور. إن ددان هذه وجزر البحر^{١٨٥} كانت تتاجر بقرون العاج وخشب الأبنوس الأسود الصلب. أما ددان الواردة في ٢٧: ٢٠ فكانت تتاجر بطنافس للركوب. ويرى كتاب "لبنان في الكتاب المقدس" أن الأولى هي جزيرة رودس بين تركيا واليونان^{١٨٦}. وقد استبعدنا قبل قليل أن تكون رودس أو اليونان مصدرًا لمثل هذه البضاعة التي كانت ترد إلى صور التوراتية. وانطلاقاً من تحليلنا السابق الذي أثبتنا فيه أن صور التوراة هي على ساحل البحر الأحمر، فإننا نرى أن ددان هذه هي على الأرجح في موضع ما من الجزيرة العربية. وقد كانت متحالفة تحارباً مع شبأ وجزائر البحر للتجارة بالعاج والأبنوس من القرن الأفريقي عند الحبشة والصومال بنوع خاص. ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام"^{١٨٧} أن تجارة بلاد اليمن مع أمم العالم القديم كانت تتركز على أربعة مصادر رئيسية هي: حاصلات اليمن نفسها، والسلع الآتية من الهند، ومن الخليج الفارسي والبحرين، ومن شواطئ أفريقيا (العاج وخشب الأبنوس). وتأتي ددان في حزقيال ٣٨: ١٣ مترافقة مع ترشيش وشبأ، وفي تكوين ١٠: ٧ شبأ

^{١٨٥} أنظر ما ورد ص ٢٤٨ أعلاه بشأن جزائر البحر الأحمر.

^{١٨٦} أنظر ص ١٢٤ - ١٢٥.

^{١٨٧} أنظر ص ١٦٣.

وددان من بني رعمة. وفي أشعيا ٢١: ١٣ الددانيون هم من بلاد العرب وبالقرب من تيماء، وفي إرميا ٢٥: ٢٣ تترافق ددان مع تيماء وبوز^{١٨٨} وكل ملوك العرب. ويرجح قاموس الكتاب المقدس أن يكون موضع ددان هذا في شمال الحجاز قرب تيماء حيث ددان التي تسمى اليوم العلا^{١٨٩}. ولكننا نرجح أن يكون موضع "ددن" (نفس الكلمة العبرية) الذي ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان^{١٩٠} بالتوافق مع أراك، وهو موقع قرب مكة.

٤ - منيت التي كانت مصدر الحنطة التي يجلبها بنو يهوذا وإسرائيل إلى صور للتجارة. وقد وردت الكلمة في حزقيال ٢٧: ١٧ وفي قضاة ١١: ٣٣ حيث هي قرية تخص العمونيين. وقد اعتبرها صاحب كتاب "لبنان في الكتاب المقدس"^{١٩١} مدينة واقعة قرب عمان شرقي الأردن.

ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الاسلام"^{١٩٢}. أن أصل لفظ أو كلمة اليمن هو "يمنات" أو "يمنت". ونرجح أن تكون منيت التوراة التي لبني عمون هي "يمنت". وقد سبق ومراراً معنا أن العمونيين كانوا في اليمن قرب عراعر^{١٩٣}. ويذكر الهمداني في الصفة أنه رأى في جبل مسور حولان نوعاً من البرّ (الحنطة) أتى عليه ثلاثون سنة ولم يختر أو يتغير، وهو من غرائب الحبوب باليمن^{١٩٤}. وقد ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الارثري أن بلاد اليمن تنتج القليل من الحنطة، ولكنها تفيض حمراً^{١٩٥}، ونرجح أن يكون حمر حلبون المذكور في حزقيال ٢٧: ١٨ هو حمر اليمن. وقد ذكر ياقوت موضعاً باليمن قرب نجران يقال له حلبان^{١٩٦}.

٥ - شبا ورعمة: وكان بنوهما يتاجرون مع صور بأفخر أنواع الطيوب، وبالحجارة الكريمة والذهب. ويرى كتاب لبنان في

^{١٩٢} أنظر ص ١٠٧. ويذكر جرجي زيدان في كتابه هذا (ص ٢٣) أن بعثة أوروبية برئاسة "نيوهر" جاءت اليمن عام ١٧٦٢م لتحقيق بعض المسائل المتعلقة بالتوراة من حيث الجغرافية وعادات الشرق والمحصولات الوارد ذكرها فيها (التوراة).

^{١٩٣} أنظر ص ٨٣ و ١٨٩ من هذه الدراسة.

^{١٩٤} الصفة، ص ٢٣٥، ٣٥٨.

^{١٩٥} أنظر ص ٢٥٧ أعلاه.

^{١٩٦} معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨١.

^{١٨٨} أنظر بشأن بوز وتيماء القسم الأول من الدراسة، ص ٩٤.

^{١٨٩} أنظر ص ٣٧٠.

^{١٩٠} أنظر ج ٢، ص ٤٤٦ وج ١ ص ١٣٥.

^{١٩١} أنظر ص ١٢٥ من هذا الكتاب (مرجع سابق).

الكتاب المقدس أن الأولى هي سبأ اليمنية والثانية تقع شمال غرب الجزيرة العربية^{١٩٧}. لكن قاموس الكتاب المقدس يرى أن رعمة تقع كذلك في الجنوب الغربي من بلاد العرب (أي في اليمن)^{١٩٨}، ولهذا جاءت مترافقة مع سبأ. وقد ألحنا في القسم الأول من هذه الدراسة إلى احتمال أن تكون شبأ غير سبأ الواردة في مواضع أخرى من التوراة. فربما كانت شبأ "شبه" أو "شبهوة" التي كانت مركزاً لتجارة اللبان في العصر الحضاري لليمن^{١٩٩}. وشبأ من أبناء رعمة في تكوين ١٠: ٧، أما رعمة فهي من القبائل التي تنتسب إلى بني كوش مع سبأ وحويلة وسبتة^{٢٠٠}.

٦ - حران وكنة وعدن، تجار شبأ وأشور وكلمد تجارك (حزقيال ٢٧: ٢٣). ونرى أن حران وأشور الواردين هنا ليستا ببلاد

^{١٩٧} أنظر ص ١٢٥ (مرجع سابق).

^{١٩٨} قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٠٦.

^{١٩٩} راجع القسم الأول من هذه الدراسة، ص ٥٧ - ٥٨.

^{٢٠٠} يذكر الجغرافي اليوناني سترابون نقلاً عن مصادر أقدم، من دول اليمن: أهل معين وعاصمتهم قرنا، وسبأ وعاصمتهم مأرب، وقتبان وعاصمتهم ثمنة، وحضرموت وعاصمتهم سبتة. (أنظر تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص ٢٣٦). قارن كذلك "ثمنة" الواردة هنا مع "ثمنة" الواردة في تكوين ٣٨: ١٢ - ١٤ ويشوع ١٠: ١٠، ٥٧ و١٩: ٤٣ وقضاة ١٤: ٢ وأخبار الأيام الثاني ٢٨: ١٨. ويذكر جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام (ص ١٤٧) نقلاً عن بليزوس أن ثمنه (أو ثمناء) كان بها ٦٥ هيكلاً وشبهه (أو شبهه) ٦٠ هيكلاً.

أشور في شمال ما بين النهرين وحران الواقعة شمالاً كذلك. وقد اعتبرت حران (في العبرية حاران أو حرن بدون تصويت) التي تقرب فيها تارح وإبراهيم مدة من الزمن، ومات تارح هناك (تكوين ١١: ٣١ و١٢: ٤-٥)، وسكن فيها لابان خال يعقوب، وإليها ذهب يعقوب وأمضى فيها عشرين سنة (تكوين ٢٧: ٤٣ و٢٨: ١٠ و٢٩: ٤، ٥). نقول لقد اعتبرت حاران هذه مدينة حرّان في شمال العراق والتي كانت مقراً للصابئة ومركزاً لمدرسة شهيرة في العصر الهليني، وبقيت حتى العصر الإسلامي. لكن هل حرّان هذه هي حاران إبراهيم ويعقوب ولابان وتارح؟ إذا راجعنا النصوص التوراتية في تكوين ٣١ نبيّن استحالة ذلك. فعندما قرر يعقوب ترك حاران والعودة إلى أرض أبيه في كنعان، بعث يطلب نساءه وبنيه إلى البرية حيث كان يرعى غنمه، "وخاتل يعقوب لابان الآرامي ولم يخبره بفراره، وهرب بجميع ما له وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد". وقد اعتبر النهر الذي عبره يعقوب ليصل مباشرة إلى جلعاد، نهر الفرات العراقي، في حين أن جلعاد هي شرقي الأردن. وأخير لابان في اليوم الثالث "أن يعقوب قد فرّ، فمضى يتعقبه مسيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد". فهل يعقل أن يقطع لابان المسافة بين حرّان في شمال العراق وشرقي الأردن في سبعة أيام، والمسافة فقط بين

دمشق وحران ٢٨٠ ميلاً، وإذا احتسبت المسافة بين دمشق والأردن فتصبح مجمل المسافة بمحدود ٥٥٠ - ٦٠٠ كلم كحد أدنى؟^{٢٠١}.

هناك تجربة فريدة قام بها خالد بن الوليد في عصر الفتوحات، فقد قطع المسافة بين الكوفة في العراق والشام في ثمانية عشر يوماً عبر الصحراء^{٢٠٢}، وهذه المسافة تقدر بحوالي ٥٥٠ كلم كذلك، فيكون خالد قد سار بمعدل ٣٠ كلم في اليوم الواحد وهذا أقصى ما يمكن قطعه.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن لابان ويعقوب أقاما نصباً على رأس جلعاد ليكون شاهداً وفاصلاً بينهما، فإن حران وفدان أرام ليستا بمثل هذا البعد عن أرض كنعان، ولا النهر الفاصل الذي عبره يعقوب هو نهر الفرات.

إن حران المقصودة في حزقيال ٢٧ هي حيران في اليمن، وهو وادي مشهور مآتيه من أسافل حمجور وأدانيه في بطن تهامة ويفيض إلى ميناء ميدي^{٢٠٣}.

^{٢٠١} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٨١. فمثل هذه المسافة تحتاج من عشرين إلى ثلاثين يوماً. (أنظر ما سبق الإشارة إليه ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤).

^{٢٠٢} أنظر تاريخ العرب المطول، لفيليب حتي، ص ٢٠٥.

^{٢٠٣} صفة جزيرة العرب، ص ١٢٤. ويذكر الهمداني أيضاً حربة حران (الكلمة العبرية ذاتها) بشراد والحضر (ص ٣٦١)، وبني حيران بن همدان (ص ١٥١) -

وكنة موضع ذكره الهمداني من أوطان بلحارث، ويقول محقق الصفة أنه ما زال موجوداً^{٢٠٤}. وعدن أو عادان بغنى عن التحديد، وفي اليمن أكثر من عدن. وربما كانت عدن المقصودة في حزقيال قرية قرب مدينة لاعة في جبل صبر من أعمال صنعاء يقال لها "عدن لاعة"^{٢٠٥}، وهذه قرية من وادي حيران وجيزان باليمن^{٢٠٦}.

٧ - جبل: وردت مرة واحدة في التوراة، في حزقيال ٢٧: ٩، وذلك للإشارة إلى أن أهل جبل وحكماءها كانوا في صور عمالاً مهرة في ترميم وإصلاح السفن المثقوبة والمكسرة. فكانوا "جلافة الخصاص" الذين يلصقون ألواح السفينة بعضها إلى بعض بالقار أو الزفت. ولا نعتقد البتة أن الإشارة هنا إلى جبل اللبنانية التي كانت في تلك الحقبة مدينة بحرية عريقة لها علاقاتها التجارية مع مصر الفرعونية.

= وحران بلد كبير عامر بالأهل والسكن يقع في الجنوب الغربي من وادي حريب (ص ١٩٧).

^{٢٠٤} الصفة، ص ٣١٨. وكنا أيضاً موضع آخر لبني سعد من بلد خولان (ص ٢٥٠)، وقنة موضع قرب كنا (ص ٣١٨). هذا ويرى جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام" (ص ١٦٣ - ١٦٤) أن كنة الواردة في حزقيال ٢٧ هي قانا (أو حصن غراب) في اليمن. وهي إلى جانب عدن وظفار ومسقط من الفرض التجارية المشهورة في اليمن.

^{٢٠٥} معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٩.

^{٢٠٦} قارن ما ورد في أشعيا ٣٧: ١٢ وملوك ثاني ١٩: ١٢.

وهذا مثبت في رسائل تل العمارنة. فلماذا يكون أهلها جلافة في صور، وهي بحاجة لعمالها المهرة في صناعة السفن.

ويرى البعض أن ما ورد في يشوع ١٣: ٥ عن أرض الجبيلين، وفي الملوك الأول ٥: ١٨ عن الجبيلين الذين هبأوا الخشب لتأمين حاجة الملك سليمان في بناء الهيكل وبيته الخاص، إنما يشير كذلك إلى جبيل اللبنانية. لكن هاتين الاشارتين لا تتعلقان بجبل الواردة في حزقيال ٢٧، واعتبارهما كذلك غير مثبت، بل على العكس، فهما تشيران إلى سكان الجبل الماهرين بقطع الأخشاب لا إلى سكان الساحل.

وجبل التوراتية التي كان أهلها جلافة في صور، ما زالت موجودة في اليمن، حيث يوجد أكثر من موضع يحمل اسم جبل وجبلية. والمرجح أن تكون جبلة قرب مدينة تعز^{٢٠٧}.

ونختتم هذا الفصل بالتوقف قليلاً عند الاصحاب الثامن والعشرين من سفر حزقيال، حيث يرد الكلام على ملك صور التوراتية، يقول النص: "كنت في عدن جنة الله وكان كل حجر كريم كساء لك من الياقوت الأحمر والياقوت الأصفر والماس والزبرجد والجزع واليشب واللازورد والبهرمان والزمرد". ويتابع النص قائلاً: "كنت في جبل الله المقدس وتمشيت في وسط حجارة النار" (٢٨: ١٣ - ١٤).

^{٢٠٧} أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٢١١، ٢١٥. ومعجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٦.

وهنا أيضاً، ليست الاشارة إلى صور اللبنانية ولا إلى ملكها، فليس هناك أي جبل مقدس أو حجارة نار بقربها (أي جبل بركاني). ولا تتميز البتة بصناعة صياغة الجواهر وترصيعها كما ذكر في ٢٨: ١٣. فصور التوراتية أنشأوا فيها هذه الصناعة يوم خلقت. إننا نعتقد أن هذه الجواهر كانت ترد إلى صور التوراتية من اليمن بنوع خاص حيث معادن الجواهر مشهورة هناك، فمعادن البقران والعقيق والجزع في معدن الرضراض شرقي مأرب، وظفار مشهورة بالجزع الظفاري^{٢٠٨}. وفي ٢٧: ٢٢ تجار شبأ ورعمة هم الذين يجلبون الحجارة الكريمة وأنواع الطيوب إلى صور التوراتية.

أما جبل النار الذي تمشي فيه رئيس صور، فهو جبل ألهان باليمن إلى الجنوب الغربي من صنعاء وإلى الجنوب الشرقي من كمران الموقع المقترح لصور التوراتية. وفي منطقة ألهان بالذات كانت "نار اليمن" البركانية التي يتردد ذكرها في كتب الأخبار عند العرب^{٢٠٩}. فليس مستغرباً إذن أن يتحدث سفر حزقيال عن رئيس صور الذي تمشي في وسط حجارة النار، طالما هو في مكان قريب من بركان جبل ألهان. أما

^{٢٠٨} أنظر القسم الأول من الدراسة، ص ٥١ وما بعدها.

^{٢٠٩} ذكر جبل ألهان في صفة جزيرة العرب، ص ٢١٣، وفي معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٧ - ٢٤٨. أنظر كذلك "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، م.

س، ص ٢١٣.

إذا قرئت جملة حزقيال ٢٨: ١٤ ربطاً بصور اللبنانية، فلا تعدو كونها جملة شاعرية يصعب فهمها كما لو قرئت في إطارها الجغرافي الطبيعي...

٦- صيدون وصرفة وإيليا النبي

ذكرت صيدون في التوراة ثمانية وثلاثين مرة^{٢١٠}. وقد وصفت في أكثر من موضع بالمدينة العظيمة. وفي سفر يشوع ٨: ١١ يرد ذكرها حيث وصل إليها يشوع في تعقبه للملوك الذين هزمهم في ميروم. وفي ١٣: ٤ يأتي ذكر معارة الصيدونيين التي في التيمن. وقد سبق وتناولنا هذه المسألة في فصل سابق^{٢١١}. أما هنا فإننا نتناول صيدون التوراتية من جوانب أخرى لم ترد في الفصول السابقة.

إن صيدون التوراتية أقرب إلى أرض إسرائيل من صور، وهذا بخلاف صور وصيدون اللبنانيتين. ونستدل على هذا الواقع من قراءة يشوع ١٩: ٢٨ وما بعدها، حيث يصل تخم أشير إلى صيدون العظيمة، ثم يعطف التخم إلى الرامة وإلى المدينة المحصنة صور، ثم إلى حوصة حيث يصل إلى البحر في كورة أكزيب. ونستنتج هنا أن تخم أشير يمر بصيدون قبل أن يصل إلى المدينة المحصنة صور التي عند البحر. فهل صيدون كانت

^{٢١٠} ذكرت في العهد الجديد ١٢ مرة، وهي صيدون اللبنانية. أما صيدون التوراتية فهي حصراً التي ذكرت في العهد القديم.

^{٢١١} أنظر الفصل الأول من القسم الثاني.

عند البحر أم مدينة جبلية؟ وهل صور التوراتية كانت داخلية في تخم أشير أم هي على حدوده؟ سوف نتناول السؤال الثاني أولاً:

في سفر القضاة ١: ٣١ يرد أن الاشيريين لم يطردوا سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب، فسكن الاشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لانهم لم يطردوهم. يستدل من هذا النص أن صيدون كانت ضمن ميراث أشير، ولكن أهلها لم يطردوا فسكن بنو إسرائيل بجوارهم أو في وسطهم. وحيث أن هذا النص لم يشر إلى صور كما في يشوع ١٩، فهي كانت حتماً خارج حدود الأشيريين الذين وصل تخمهم إلى محاذاتها دون أن تكون داخلية فيه. وهذا الواقع يخالف جغرافية لبنان في أجزائه الجنوبية المجاورة لفلسطين. فلو كانت صيدون المقصودة في سفر القضاة هي صيدون اللبنانية لكان أشار النص حتماً إلى أن سكان صور لم يطردوا، وإلى أن الاشيريين سكنوا في وسطهم كما سكنوا في وسط الصيدونيين. لان القول بأن سبط أشير سكن في وسط الصيدونيين يتناقض مع واقع صور وصيدون اللبنايتين من زاويتين: الأولى أن سكن بني أشير في وسط الصيدونيين يستتبع بالضرورة سكنهم في وسط الصوريين، ويستتبع حتماً أن تكون صور الواقعة جنوب صيدا اللبنانية، واقعة ضمن تخم الاشيريين. والثانية، تتعلق بالنصوص التي تتناول صور التوراتية. فليس هناك أية إشارة إلى أن الصوريين قد بقيوا ضمن بني إسرائيل امتحاناً وتجربة من قبل يهوه إله إسرائيل لشعبه، بينما ترد الإشارة بكل وضوح

إلى أن الصيدونيين والكنعانيين وأقطاب الفلسطينيين الخمسة والحويين سكان جبل لبنان قد تركهم الرب (يهوه) ليمتحن بهم إسرائيل، فسكن بنو إسرائيل في وسطهم (قضاة ٣: ٣ - ٥) ٢١٢. فلو كانت صور التوراتية هي صور اللبنانية، لكانت أيضاً ضمن إسرائيل ليمتحن بهم يهوه شعبه المختار. وحيث أنها ليست كذلك فقد كانت خارج الإطار الجغرافي للكنعانيين والصيدونيين الباقيين لغاية محدّدة.

وفي سفر صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧، حيث يرد الكلام على البعثة التي أرسلها داود الملك لاحصاء شعب إسرائيل، فوصلت إلى صيدون قبل أن تصل إلى صور ومنها إلى مدن الحويين والكنعانيين، ثم إلى جنوبي يهوذا إلى بئر السبع ٢١٣. إن هذا النص في إطاره الجغرافي يتماثل

٢١٢ يقول نص القضاة المشار إليه هنا أن الشعوب الذين تركهم الرب (يهوه) في وسط إسرائيل هم: "أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة". وإذا قرئت الجملة الأخيرة في ضوء جغرافية لبنان وسوريا، أي من جبل الشيخ في أقصى جنوب سلسلة جبال لبنان الشرقية وحتى حماه في وادي العاصي، فإن الصوريين اللبنايين يفترض أن يكونوا حتماً داخل إسرائيل، وهذا ما لم يقله النص إطلاقاً.

٢١٣ يستدل من هذا النص أيضاً أن صور وصيدون هما في جنوب أرض إسرائيل. فالنص يقول حرفياً: "ثم أتوا ... إلى صيدون ثم أتوا إلى حصن صور وجميع"

مع نص يشوع ١٩ حيث تخم الاشيريون يصل إلى صيدون قبل صور^{٢١٤}.
ويذكر النص التوراتي تكراراً أن بني إسرائيل حين عملوا الشر في عيني الرب "عبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب (إلههم) ولم يعبدوه" (قضاة ١٠: ٦)^{٢١٥}. أليس مستغرباً حقاً أن تذكر النصوص التوراتية كل آلهة الأمم والمدن المجاورة تقريباً ولا تذكر آلهة صور الأقرب إلى فلسطين من صيدون ولو مرة واحدة على الأقل؟!

ويذكر سفر الملوك الأول ١٦: ٣١ أن آخاب ملك إسرائيل "اتخذ إيزابل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة". إن أثبعل هذا ملك صيدون التوراتية الذي صاهر ملك إسرائيل يتحول في نظر بعض الباحثين التوراتيين إلى ملك صور؟!، ويتحول الصيدونيون إلى فينيقيين، لماذا؟

=مدن الحويين والكنعانيين، ثم خرجوا إلى جنوب يهوذا إلى بحر السمع".

قارن مع فصل لبنان التوراتي في التيمن.

^{٢١٤} إذا كان تخم الاشيريون وفق يشوع ١٩ يمر بصيدون، ثم بالرامة، ثم بالمدينة المحصنة صور قبل أن تصل مخارجه إلى البحر، فإن هذه الاحداثيات لا تتلاءم مع صور وصيدون اللبنايتين. فإذا كان المخرج النهائي عند صور أو قربها عند حوصة في أكريب، فإن صيدون اللبنانية تصبح خارج هذا التخم، وهي في النص داخل أراضي أشير وصور على تخمها.

^{٢١٥} يرد ما يشبه هذا النص (إلى هذا الحد أو ذاك) في قضاة ١٠: ١٢، وملوك أول

١١: ١، ٣١، ٣٣، وملوك ثاني ٢٣: ١٣، ١٤.

لكي تستقيم قراءة النص في ضوء جغرافية لبنان المتوسطي، وصور وصيدون اللبنايتين^{٢١٦}. وإذا لم يرد في قائمة ملوك صيدون اللبناينة شخص اسمه أثبعل، فلا بأس أن يكون ملك صور لوروده في لائحة ملوكها، طالما أن ملك الصيدونيين هو ذاته ملك الفينيقيين والصوريين؟^{٢١٧} لكن النص التوراتي يقول بكل وضوح "أثبعل ملك الصيدونيين". وليس هناك من حاجة للافتراض بأن هذه العبارة تشمل "فينيقيا" إلا لعدم توافقها مع واقع صيدون اللبنانية. لكن إذا كانت صيدون التوراتية هي غيرها صيدون اللبنانية، فليس ثمة من مشكلة في اعتبار أثبعل ملكاً عليها.

نعود الآن إلى السؤال الأول الذي طرحناه أعلاه في مقدمة هذا الفصل، وهو: هل صيدون التوراتية مدينة ساحلية أم جبلية بعيدة عن البحر؟

بعد مراجعة شاملة لكل النصوص التوراتية التي تتحدث عن صيدون المدينة العظيمة، لم نجد إشارة واحدة أكيدة يمكن الاستناد إليها للقول بأن صيدون مدينة بحرية. وعلى النقيض تماماً، فالجملة الواردة في

^{٢١٦} أنظر الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، ص ٦٦٣ هامش رقم ٣. كذلك لبنان في

الكتاب المقدس، م. س، ص ١٤٤، هامش رقم ٣٠، و٢٤١. وهم ينقلون في

هذه المسألة عن فيليب حتي في "تاريخ لبنان".

^{٢١٧} راجع تاريخ لبنان، لفيليب حتي، ص ١٢١.

تكوين ٤٩: ١٣ والقائلة بأن "زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن، وجانبه عند صيدون"، يستفاد منها أن صيدون ليست على البحر، بل هي مدينة جبلية لأن تخم زبولون كما يتصوره يعقوب العارف جيداً طبيعة أرض إسرائيل الموعودة، يمتد من ساحل البحر في جانبه الأول إلى صيدون في جانبه الثاني. وحتى لو لم يسكن زبولون فعلاً عند ساحل البحر بعد دخول أرض كنعان في عهد يشوع وتقسيم الأرض المفتتحة على الأسباط الاثني عشر، وفق ما ورد في سفر يشوع ١٩: ١٠-١٦، فإن هذا يؤيد وجهة نظرنا ولا ينفيها.

أما الفقرة الواردة في تكوين ١٩: ١٠ والتي تتحدث عن تخوم الكنعانيين التوراتيين قائلة "وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة"، فقد قرئت في ضوء جغرافية الساحل الفينيقي عند الساحل الشرقي للبحر المتوسط، بحيث اعتبرت صيدون التوراتية مدينة بحرية وفق هذا الواقع الجغرافي، من جهة، ومن جهة أخرى الحد الشمالي لأرض كنعان التي استولى عليها الاسرائيليون فيما بعد. ولنا على هذه القراءة الملاحظات التالية:

أ - إن نص التكوين ١٩: ١٠ لا يحدد إذا ما كانت صيدون واقعة عند ساحل البحر.

ب - إن النص لا يذكر أن صيدون تقع على التخم الشمالي لأرض كنعان.

ج - إن قراءة هذا النص في ضوء جغرافية فلسطين ولبنان بحيث تكون صيدون في شمال أرض إسرائيل، يتناقض مع نص يشوع ١٣: ٤، حيث صيدون من التيمن.

د - إن هذه القراءة تتناقض كذلك مع نص التثنية ١: ٧، حيث الإشارة من أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات (نهر فرت)، كما تتناقض مع نص يشوع ١: ٤ الذي سبق تحليله^{٢١٨}.

وفي سفر الملوك الأول ٥: ١ - ٦، يطلب الملك سليمان من حيرام ملك صور أن يقطع له خشباً من لبنان لبناء الهيكل، قائلاً له: "والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان، ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها ... لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين". ماذا يستنتج من هذا النص؟

يستنتج أولاً أن الصيدونيين ماهرون في قطع الأخشاب، لذلك فإننا نعتقد أنهم في منطقة جبلية غنية بغابات الأرز (الععر) والسرو والشربين. كما نعتقد أن الجبليين الوارد ذكرهم في الملوك الأول ٥: ١٨ الذين هيأوا الأخشاب لتأمين حاجة سليمان، ليسوا إلا الصيدونيين المشار

^{٢١٨} سبق تحليل هذين النصين في فصل "لبنان التوراتي في التيمن".

إليهم في ٥ : ٦. فلا يصح إذاً اعتبار هؤلاء الجليلين أنهم أهل جبيل في لبنان^{٢١٩}.

ونستنتج ثانياً أن هؤلاء الصيادون ليسوا بالمكانة التي كانت تحتلها صور عند سليمان، وإلا لكان سليمان وجه طلبه إلى ملك صيدون مباشرة دون وساطة ملك صور. لكنه طلب من حيرام أن يأمر الصيادونين بقطع الخشب. لذلك نرجح أنهم كانوا - بشكل من الاشكال - تحت وصاية أو سلطة حيرام الصوري. وهذا الواقع الذي يظهره النص التوراتي لا ينسجم مع واقع صيدون اللبنانية التي كانت مدينة بحرية عريقة كما هي الحال بالنسبة لصور. أما توراتياً فإن شهرة صور البحرية وعظمتها فاقت شهرة صيدون وطغت عليها إلى درجة أصبح معها أهل صيدون (كما أهل جبل التوراتية) ملاحين في أسطول صور التجاري العامل عبر بحار شبه الجزيرة العربية.

لايش أو لشم الصيادونين

يخبرنا الاصحاح الثامن عشر من سفر القضاة أن سبط الدانين كان يطلب مكاناً ليستقر به. والسبب أن نصيبه الذي عين له وفق يشوع ١٩ : ٤٠ - ٤٨ لم يستطع أخذه كاملاً وطرد الاموريين منه، بل على العكس فإن الاموريين هم الذين حصروا بني دان في الجبل

^{٢١٩} أنظر ما سبق الإشارة إليه ٢٦٩.

ولم يدعوهم ينزلون إلى الوادي. فعزم الاموريون على السكن في جبل حارس في أيلون وفي شعلبيم (قضاة ١ : ٣٤ - ٣٥)^{٢٢٠}.

ولهذا السبب أخذ الدانيون يبحثون عن مكان آمن لتوسعهم. وقد ورد في يشوع ١٩ : ٤٧ أن تخم بني دان خرج منهم، فصعد بنو دان وحاربوا لشم وأخذوها وضربوها بحد السيف وملكوها وسكنوها. وترى الترجمة اليسوعية (١٩٨٩)^{٢٢١}. أن بني دان قد هاجروا من مقرهم الأول بجوار يهوذا إلى مقرهم الجديد في لايش، وهذا التصور يستند على ما يبدو إلى عبارة يشوع ١٩ "وخرج تخم بني دان منهم"، لكن ليس بالضرورة أن تفهم هذه العبارة على أن الدانين قد طردوا نهائياً من مقر إقامتهم الأول. وهذا يستند إلى ما جاء في القضاة ١ : ٣٤ المشار إليه أعلاه، حيث نفهم أن الدانين حصروا في الجبل ولم ينزلوا إلى الوادي في أيلون وشعلبيم اللتين أعطيتا لهم، فعزم الاموريون على السكن

^{٢٢٠} إن إيلون وشعلبيم (أو شعلين) تردان في يشوع ١٩ : ٤٠ - ٤٨ في نصيب بني دان بالإضافة إلى صرعة وأشتاول اللتين أعطيتا أولاً لسبط يهوذا (يشوع ١٥ : ٣٣). مما يستنتج أن سبط دان كان مقيماً بمحاذاة سبط يهوذا، أو على الأرجح كانا يتقاسمان منطقة جغرافية محددة لهما.

^{٢٢١} أنظر ص ٥٠٢.

في جبل حارس حيث توجد هاتين القريتين. أما باقي قرى سبط دان التي وردت في يشوع ١٩ فلا يذكر أنهم أخرجوا منها أيضاً^{٢٢٢}.

وقد أرسل الدانيون خمسة رجال منهم ليفتشوا عن مكان للتوسع، فوجدوه في لايش ورأوا الشعب الذي فيها ساكناً بطمأنينة كعادة الصيدونيين، فرجعوا إلى إخوتهم في صرعة وأشتأول وأخبروهم بما رأوا (قضاة ١٨: ٧ وما بعدها). "فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول ست مئة رجل متسلحين بعمدة الحرب... وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحدة السيف وأحرقوا المدينة بالنار، ولم يكن من ينقذها لأنها بعيدة عن صيدون... وهي في الوادي الذي لبيت رحوب" (قضاة ١٨: ١١، ٢٧، ٢٨).

وقد اعتبرت لايش أو لشم التي احتلها بعض الدانيين، واقعة في سفح جبل الشيخ اللبناني (المعتبر حرمون التوراة)، عند قرية تل القاضي المجاورة لبانياس في جنوب سوريا^{٢٢٣}. ويعود سبب ذلك لكونها تخص الصيدونيين ولكنها في الوقت عينه بعيدة عنهم، فلم يستطيعوا

^{٢٢٢} يرى قاموس الكتاب المقدس، أن بني دان "كانوا يطلبون مكاناً يضيفونه إلى نصيبهم"، وليس للهجرة إليه (أنظر ص ٣٥٦).

^{٢٢٣} أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٠٩. ولبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٤٧.

إنقاذها. أما بيت رحوب أو الوادي الذي لبيت رحوب فقد اعتبر وادي الحاصباني، أما رحوب فقد اعتبرت في وادي البقاع عند عنجر^{٢٢٤}. لكن هل صحيح أن بني دان، أو بعضاً منهم، قد هاجروا من أقصى جنوب أرض إسرائيل من جوار يهوذا^{٢٢٥}، إلى حرمون وباشان الواقعتين شمالاً شرقي صيدون. إن الملاحظات التالية ستعطي الإجابة عن هذا التساؤل:

أ - إن عشيرة الدانيين لم تهاجر كلها إلى لايش، بل ارتحل منهم ستة مئة رجل وفق ما يقوله النص. وهؤلاء هم على الأرجح الذين كان نصيبهم قد عين لهم في أيلون وشعلبيم في جبل حارس، فلم يستطيعوا أخذهما من الأموريين. أما الباقون الذين كانوا في القرى الأخرى المذكورة في يشوع ١٩ فلم يرحلوا لأن قراهم لا يذكر في نص القضاة الأول أنها أخذت منهم كما ذكرت أيلون وشعلبيم. فصرعة وأشتأول لا يرد أن الأموريين عزموا على استعادتهما أيضاً. وقد بقيت صرعة التي كانت مسقط رأس شمشون^{٢٢٦}، بيد الاسرائيليين، وقد حصنها

^{٢٢٤} المرجع السابق.

^{٢٢٥} ورد في يشوع ١٨: ٥ أن يهوذا "يقيم على تخمه من الجنوب وبيت يوسف على تخمهم من الشمال".

^{٢٢٦} أنظر قضاة ١٣: ٢، وشمشون كان من عشيرة الدانيين، وعندما مات دفن في قبر أبيه بين صرعة وأشتأول (قضاة ١٦: ٣١).

رجيعام كما ورد في الأخبار الثاني ١١: ١٠، وسكن فيها بعض العائدين من السبي (نحميا ١١: ٢٩).

ب - عندما ارتحل الرجال الست مئة من صرعة وأشتأول، صعدوا إلى قرية يعاريم التي ليهوذا، وعبروا من هناك، من محلة دان وراء قرية يعاريم إلى جبل افرايم وجاءوا إلى بيت ميخا، ومن هناك انطلقوا إلى لايش. وعليه فمن المفترض ألا تكون لايش بعيدة جداً عن جبل افرايم. وإذا كان نصيب افرايم لا يتصل البتة بنصيب منسى الذي أخذ في باشان وامتد إلى حرمون^{٢٢٧}، فلا يفترض أن تكون لايش عند سفح حرمون بل عند جبل افرايم.

ج - إن لايش التي سيطر عليها الدانيون تغير اسمها إلى دان. فإذا اعتبر دان في باشان أو حرمون فإن هذا سوف يتناقض مع المعطى الوارد في الأخبار الأول ٥: ٢٢٨.

^{٢٢٧} لقد أعطي نصف سبط منسى ميراثه في شرقي الأردن مع بني جاد وراوبين. فكان نصيبه في جلعاد وباشان (يشوع ١٧: ١ و ١٣: ٢٩). ثم امتد بنو منسى هؤلاء من باشان إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون. (أخبار أول ٥: ٢٣). أما بشأن نصيب افرايم الذي كان في غربي الأردن، فراجع يشوع ١٦: ٥ وما بعدها.

^{٢٢٨} أنظر خريطة توزع الأسباط في الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، حيث وضع دان في باشان وحرمون شرقي صور وصيدون الفينيقيتين.

د - يقول إرميا في الاصحاح ٤: ١٥ متحدثاً عن دان: "لأن صوتاً يخبر من دان ويسمع ببليّة من جبل افرايم". إن إقتران دان بجبل افرايم في هذه القرينة يؤيد تحليلنا السابق بأن لايش دان هي في موضع قريب من جبل افرايم وليست في موضع قريب من باشان أو حرمون اللذين كانا من أرض سبط منسى في عبر الأردن شرقاً.

هـ - نحن لا ننفي أن قسماً من بني دان قد ارتحل من جوار يهوذا، من صرعة وأشتأول باتجاه الشمال. بل بالعكس إن ارتحالهم إلى جبل افرايم الذي انطلقوا منه إلى لايش، يعني أنهم قد اتخذوا وجهة الشمال وذلك لأن افرايم من بني يوسف كان ميراثه على تخم الشمال وفق المعطى الوارد في يشوع ١٨: ٥ وما بعدها.

و - فإذا كان صحيحاً أن لايش دان البعيدة عن الصيّدونيين واقعة في مكان ما من شمال أرض إسرائيل، فإن هذا لا يستتبع بالضرورة أن تكون لايش هذه عند سفح جبل حرمون، هذا أولاً، وثانياً أن تكون صيدون واقعة هي الأخرى في شمال أرض إسرائيل^{٢٢٩}.

ز - ليس هناك من مستند في النصوص التوراتية يدعم القول بأن لايش أو لشم الدانيين واقعة عند سفح جبل حرمون التوراتي.

^{٢٢٩} لقد أثبتنا في فصل سابق (لبنان التوراتي في التيمن) أن صيدون التوراتية وحرمون وبعلحرمون وبعل جاد واقعة في جنوب أرض إسرائيل، وليس في شمالها.

فقد ورد هذا الاسم مرة في سفر يشوع ١٩: ٤٧ (لشم)، وثلاث مرات في سفر القضاة ١٨: ٧، ١٤، ٢٧ (لايش) دون أن يكون مرتبطاً بجرمون. وإذا كان نص القضاة ١٨ يذكر أنها واقعة في الوادي الذي لبيت رحوب، فإن هذا لا يعني اقترانها بجرمون.

صرفة صيدون

تأتي التوراة على ذكر صرفة مرة واحدة في سفر الملوك الأول ١٧: ٩، مقترناً اسمها بصيدون وإيليا النبي على إثر انحباس المطر في أرض إسرائيل مدة ثلاث سنوات ونيف^{٢٣٠}.

وبفعل انحباس المطر اتجه إيليا شرقاً إلى نهر اسمه كريث وبقي هناك حتى جف النهر، فكلّمه الرب (يهوه) قائلاً: "قم واذهب إلى صرفة التي لصيدون وأقم هناك. قد أمرت هناك امرأة أن تعولك. فقام وذهب إلى صرفة". وأخذت صرفة التي لصيدون تقليدياً على أنها الصرّند جنوب صيدون اللبنانية^{٢٣١}. أما عن انحباس المطر في فلسطين ولبنان مدة ثلاث سنوات ونصف، فيستند الباحثون إلى يوسفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش في القرن الأول الميلادي (٣٧ - ١٠٠م). فقد تحدّث هذا المؤرخ الذي عاش في فلسطين عن مجاعة حصلت خلال حكم اثبعل ملك صور دامت سنة كاملة. فتم ربط هذه الإشارة عند يوسفوس

^{٢٣٠} ذكرت هذه الواقعة في العهد الجديد، لوقا ٤: ٢٥-٢٦، حيث يرد أن المطر انحبس مدة ثلاث سنوات وستة أشهر. كما ذكرت صرفة في عوبديا ٢٠ دون أن تقترن بصيدون.

^{٢٣١} قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤٢. ولبنان في الكتاب المقدس، ص ١٤٧.

بواقعة انحباس المطر في زمن إيليا النبي والجوع الذي حصل في أرض إسرائيل بسبب ذلك^{٢٣٢}.

وفي ما نعتقد أن هذه الواقعة لم تحصل بين فلسطين ولبنان، لسبب جوهري وهو أن المطر لا ينحبس مدة ثلاث سنوات أو أكثر في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط. فليس هناك في المدونات التاريخية والجغرافية أية إشارة لمثل هذا الأمر، ولا حتى لامكان انحباس المطر مدة سنة كاملة. أما عن المجاعة التي تحدث عنها يوسفوس ودامت سنة، فليست أمراً نادر الوقوع أو استثنائياً حتى يتم ربطها بواقعة النبي إيليا. فقد تحدث الدوبيي في "تاريخ الأزمنة" مرات عديدة عن سنوات القحط والضيق الاقتصادي وفقدان القمح، وخراب قرى ومزارع عديدة ونزوح أهلها. فسنة ١٦٣٦م كانت "سنة مقحطة"، فدخلت التشارين وكانون الأول والدنيا رايقة بلا مطر^{٢٣٣}، "فضاحت الناس وبطل البيع والشراء ورحل من طرابلس أعيال كثيرة"^{٢٣٤}.

لكن أين حصلت واقعة انحباس المطر مدة ثلاث سنوات ونصف، وهجرة النبي إيليا إلى صرفة صيدون؟ إن الاجابة عن هذا التساؤل تلقي مزيداً من الضوء على الموقع المحتمل لصيدون التوراتية^{٢٣٥}.

يذكر المؤرخ فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطول، عن مناخ الجزيرة العربية وأمطارها، أن الجزيرة من أشد البلاد جفافاً وحرّاً، وهي من الأقاليم العديمة المطر. "ويرى العربي في المطر رحمة من الله ومن مرادفات اسمه الغيث، وفيها ما فيها من معاني العون والنصرة. وفي الحجاز مهد الاسلام تنتاب البلاد مواسم جفاف قد تستمر ثلاث سنوات أو أكثر، ومع ذلك فمعدل سقوط المطر فيها يزيد عنه في مصر الوسطى"^{٢٣٦}.

وعليه فإن المكان الأكثر احتمالاً لانحباس المطر مثل هذه المدة، هو الحجاز وما يليه جنوباً من عسير وتهامة حتى مشارف اليمن حيث لا يعود ينحبس المطر لسنوات^{٢٣٧}.

^{٢٣٥} سبق وأشرنا إلى الموقع المحتمل لصيدون عند بلدة صعدة اليمنية أو في

جوارها، أنظر ص ١٩٣.

^{٢٣٦} تاريخ العرب، ص ٤٣ - ٤٤.

^{٢٣٧} يشير الهمداني في الصفة إلى أمطار اليمن الفصلية دون الإشارة إلى انحباس المطر

مدة ثلاث سنوات وأكثر، ص ٢٩٩.

^{٢٣٢} لبنان في الكتاب المقدس، ص ٢٥٠.

^{٢٣٣} يلاحظ هنا أن الدوبيي يعتبر أن دخول شهر كانون الأول دون هطول المطر يعدّ أمراً استثنائياً.

^{٢٣٤} تاريخ الأزمنة، نشره الأبائي بطرس فهد، بيروت ١٩٧٦، ص ٥١٣ - ٥١٤.

وقد أشارت التوراة أكثر من مرة إلى حصول مجاعة في أرض إسرائيل، كان سببها إما انحباس المطر أو الجراد^{٢٣٨}. إن تكرار هذا الأمر يؤكد أن البلاد معرضة للجفاف وموجات الجراد التي تزيد الوضع سوءاً. إن الاستنتاج المنطقي الذي نخرج به استناداً إلى ما تقدم، هو أن مسرح الواقعة التي جرت في أيام النبي إيليا وانحباس المطر، وما أعقبه من جفاف وجوع في الأرض، كان في شبه الجزيرة العربية عند ساحل البحر الأحمر. وعندما توجه النبي إيليا إلى صرفة صيدون، لم يتوجه في الواقع إلى جنوب لبنان، حيث من المؤكد أن يعم الجفاف كما في فلسطين إذا حصل انحباس للمطر مثل هذه المدة. بل توجه من الحجاز أو تهامة جنوباً نحو صيدون اليمنية التي رجحنا أن تكون بلدة صعدة في بلد همدان بشمال اليمن حيث منطقة لبنان وحرمون وصور وجبل الكرميل عند ساحل البحر الأحمر الذي وقف عليه النبي إيليا في نهاية مدة الجفاف ليعلن قدوم أول الغيث.

إن توجه النبي إيليا نحو صرفة في اليمن هو أمر طبيعي في حال حصول جفاف في الحجاز وتهامة، فاليمن لا يعاني من مثل هذا الجفاف وانقطاع المطر لثلاث سنوات وأكثر. وعليه فاليمن ملاذ لمن

^{٢٣٨} راجع ملوك أول ٨: ٣٥، ٣٧، مزمو ٧٨: ٤٦ و ١٠٥: ٣٤. زكريا ١٤:

١٧. ويذكر صموئيل الثاني ٢٢: ١ عن مجاعة حصلت في أيام داود دامت

ثلاث سنين سنة بعد سنة.

يبحث عن الماء والغذاء، وقد وجده النبي على ما أظن عند امرأة من بني "صرف" وهم قبيل من سبأ ذكرهم الهمداني في الصفة^{٢٣٩}.

وختاماً تجدر الإشارة إلى أن كلمة صيدون (صيدن) بالعبرية تعني الصيد أو موضع الصيد. وعندما نرجح بلدة صعدة اليمنية موقعاً محتملاً لصيدون التوراتية فذلك للاعتبارات التالية:

١ - كونها من بلد همدان حيث لبنان، وهي بلدة جبلية واقعة إلى الشمال الشرقي من رأس البياض عند كمران. وهذا ينسجم مع الاحداثيات الواردة في يشوع ١٩ وصموئيل الثاني ٢٤. وعليه فهي أقرب إلى أرض إسرائيل من صور اليمنية.

٢ - إنها في الإطار الجغرافي الذي يوجد فيه بنو "الصيد" من حاشد من همدان الذين ربما كانوا من بقايا صيدوني التوراة^{٢٤٠}.

^{٢٣٩} أنظر ص ١٩١.

^{٢٤٠} المرجع السابق، ص ١٥٧، ٢٣٩.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ إصدار.
- ابن كثير، تفسير القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.
- ابن منظور، لسان العرب، طبعة صادر، بيروت، ١٩٨٠.
- جدعون، موريس، حنا الخلو وغسان خلف، معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس، دار النشر المعمدانية، بيروت ١٩٧٧.
- حتّي، فيليب، ادوارد جرجي وجبرائيل جبّور، تاريخ العرب، دار غندور، ط٥، بيروت ١٩٧٤.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، طبعة مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م. كذلك طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٦.
- خلف، القس غسان إيليا:
- أ - لبنان في الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، لبنان ١٩٨٥.
- ب - محاضرة في مركز الحركة الثقافية أنطلياس، رداً على الصليبي. (نسخة مصوّرة).
- الدويهي، البطريك اسطفان، تاريخ الأزمنة، نشرة الأبائي بطرس فهد، بيروت ١٩٧٦.

- الديار، جريدة لبنانية، أعداد ٢٩ و ٣٠/٩، و ١٠/١٠، ١٩٩٠.

- ديب، فرج الله صالح:

أ - التوراة في اللغة والتاريخ والثقافة الشعبية، دار الحدائشة،

بيروت ١٩٨٩.

ب - التوراة العربية وأورشليم اليمنية، مؤسسة نوفل، بيروت

١٩٩٤.

ج - اليمن هي الأصل، دار الكتاب الحديث، بيروت

١٩٨٨.

- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، طبعة

جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١.

- الزبيدي، السيد مرتضى، تاج العروس، طبعة مصر ١٢٨٦ هـ.

- زيدان، جرجي، العرب قبل الاسلام، بدون تاريخ إصدار وذكر

الناشر.

- الساعاتي، حسن، وعبد الحميد لطفي، دراسات في علم السكان، دار

المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧١.

- سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة،

بيروت، بدون تاريخ إصدار.

- السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال

الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثرية، دار المنارة، دمشق

١٩٨٩.

- الصليبي، كمال:

أ - التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز،

مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٥.

ب - خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن

١٩٨٨.

ج - حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،

عمان ١٩٩٠.

- الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٤.

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم

للملايين، بيروت ١٩٧٦.

- القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

١٤٠٦ هـ.

- قوجمان، ي، قاموس عبري - عربي، مكتبة المحتسب، القدس ١٩٧٠،

توزيع دار الجيل، بيروت.

- الكتاب المقدس:

١ - الترجمات العربية:

أ - الترجمة اليسوعية، دار المشرق، ١٩٨٦.

ب - الترجمة اليسوعية، دار المشرق، ١٩٨٩.

ج - ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان، إصدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٣.

د - الترجمة الانجيلية، إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي، ١٩٨٣.

٢ - الترجمات الفرنسية:

أ - طبعة سويسرا، ١٩٦٤، بإشراف Louis Segond

ب - الترجمة المسكونية للكتاب المقدس (TOB)، باريس ١٩٧٥.

٣ - النص العبري للعهد القديم (التوراة)، طبعة القدس، ١٩٧٠.

- كمال، ربحي:

أ - دروس اللغة العبرية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٣.

ب - قاموس عبري-عربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥.

- المنارة، مجلّة، تصدرها جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة، السنة السابعة والعشرون، العددان الأول والثاني، ١٩٨٦.

- نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، بإشراف د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكندر طمسن، الأستاذ ابراهيم مطر، ط٢، بيروت ١٩٧١.

- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، إشراف حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٧.

- ولفسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، طبعة مصر ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م.

- Encyclopaedia Universalis, Paris 1990.

فهرس الأماكن والأعلام

إبراهيم (أبرام): ١٢٨، ٦٩،

١٣٢، ١٣٧، ١٦٠، ١٦٦،

٢٦٧.

— أ —

إبراهيم (نهر): ١٥٨، ١٨٥.

إبن جبران: ١٨٤.

إبن كثير: ١٢٧.

إبن يامن: ١٨٤.

أبها: ٣١.

أبمايل: ٤٩.

أبي يثع: ١٠٥.

أترينو: ١١٢.

إثبعل: ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٧.

إجلة: ١٠٦.

أحلب: ٢٧٤.

أخزيا: ٢٣٩.

أدبعيل: ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٤٥،

٩٧، ٤٩.

إدم: ٨٥، ٨٦.

أدنوبعل: ٣٣.

أدوم: ٤٢، ٤٣، ١١٠، ١٤٧،

١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ٢٣٤،

٢٤٣، ٢٣٦، ٢٣٥.

الأدوميون: ١٠٩، ١١٠، ١٨٩.

آبل مصريم: ١٢٩، ١٣١.

آجور بن ياقعة: ٢٠.

آحاز (ملك يهوذا): ١٠٩.

آخاب الاسرائيلي: ٣٣، ٢٧٦.

آرام: ١٨٨، ٢٧٦.

آرام صوبة: ١٤٣، ١٤٤.

الآراميون: ١٨٥.

آشور بانيبال: ١٠٢-١٠٤، ١٠٦.

آشور: ١٨، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٦٤.

٦٥، ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٠٣.

١٠٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢.

٢٠٥، ٢٦٦.

الأشوريون: ٣٩، ١٠٢، ١٠٥،

١٠٧، ٢٣١.

آل أبوثور (قرية): ٦٤، ٦٥، ٨٧.

آل ذي جدن: ٦٢.

آل عمار: ٥٩.

آل مصري (قرية): ٨٩.

أباديدي: ٣٧، ٩٧، ٩٨، ١٠٠،

١٠١.

أشـــــــــعيا: ١٠٨-١١٠، ٢٢٧، ألهان (جبل): ٨٦، ٢٧١،
 ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢. أليفاز (التيماي): ١٤٧.
 أشقلون: ١٥٦. أليهو البوزي: ٩٤.
 الأشقلوني: ١٥١. أمانه: ١٩٨، ١٩٩.
 أشناتو: ٣٣، ٣٤. أمت: ٣٤، ٣٨.
 أشير بن يعقوب: ١٢١. أمرشو: ٣٣، ٣٤، ٣٨.
 أشير (سببط): ١٨٥-١٨٧، أمصيا (ملك يهوذا): ١٠٩.
 ٢٣٠، ٢٧٣، ٢٧٤. أم القرى: ١١٩.
 الأشيريون: ٢٧٤، ٢٧٦. أملح (وادي): ١٨٧، ١٨٨.
 إضم (وادي): ٩٥، ١٣٩. أمورو: ٤٢، ١٥٩.
 الأغريق: ١٩. الأموريون: ٧٠، ٧١، ٧٦-٧٨،
 إفرام بن يعقوب: ١٢١. ٨٢، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،
 إفريقيّا: ٣٠، ٥٠، ٢٣٦، ٢٥٩، ١٥٧-١٦٣، ١٦٩، ١٧٥،
 ٢٦٣. ١٨٦، ٢٨١، ٢٨٣. أفيق: ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٥،
 ١٨٦. الإنجيل (العهد الجديد): ١٤٨،
 أفيق: ١٥١، ١٥٢، ١٥٤-١٥٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٢١.
 ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣. أنس (جبل): ٥٢.
 ١٨٥-١٨٨، ٢٧٤. الأنباط (النبط): ١٠٦، ١٠٨،
 ١٠٩. أقيان (مخلاف): ٦٢.
 الأقيانيون: ٦٢. الأهنوم (جبال هنوم): ٨٢، ٨٤،
 ١٩٣، ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٥. أورشليم: ٢٠، ٢٢، ١١٧،
 ١٤٣، ١٥٢، ١٦١، ١٧٥-١٤٣.
 ألعالة: ٨٤. الموداد: ٤٩.

أدونني بازق: ١٧٦. أرون (وادي): ٨٢، ١٦٠.
 أدوني صادق: ١٦٢. أرواد: ٣٣.
 أذرعي: ٨٢. أرواد (نهر): ١٣.
 أراك: ١٠٥، ٢٦٤. أرياب: ٨٦.
 أراكة: ١٠٥. أريو: ٣٩، ١٠١.
 أرخوليي: ٣٣، ٣٨. أريحا: ١٥٢، ١٦٤، ١٨٠.
 الأردن (نهر): ٧٠، ٧٢، ١٣١، أريك: ١٠٦.
 ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٦٤، أريك الأبيض: ١٠٦.
 ١٧٢، ١٨٠، ٢١٥. أزال: ٥٩، ٢٦١.
 أرض إسرائيل: ٩، ١١، ١٤-١٩، أزال بن يقطن: ٥٩.
 ١٩، ٢٣، ١٣٧-١٣٩، ١٤٢-١٤٤، إزلة: ١٠٤، ١٠٦.
 ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، إســـــــــبانيا: ١٦، ٢٣٤، ٢٣٩،
 ١٥٢-١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ٢٥٨. إسحق: ١٢٨، ١٣٢.
 ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٥، إسرائيل (عشيرة): ١٢١، ١٢٥،
 ١٧٦، ١٨٠-١٨٢، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٠، ١٢٦.
 ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧٣، ٢٧٨، أسرحدون: ٩٢، ٩٣، ١١٢.
 ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، الاسكندرية: ١٩٧.
 ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١. اسماعيل بن إبراهيم: ٤٥.
 أرك: ١٠٥. الاسماعيلية (القبائل): ٤٥، ٤٦.
 إرم (قرية): ١١٩. أسوء: ٦٨.
 إرميا: ٧٨، ١١٦، ١٣٨، ١٣٩، أشتأول: ٢٨٢-٢٨٥.
 ١٤١، ١٤٢، ٢٠٥، ٢١٣-أشدود: ١٥٦.
 ٢١٨، ٢٤٩-٢٥٢. الأشدودي: ١٥١.
 أرمينيا (بلاد): ٢١١.

١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤، أيوب: ٩٤، ١٤٧.
 ٢٠٢، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٠. - ب -
 أوزال: ٤٩، ٥٩، ٢٦١. باب المنذب (مضيق): ٤٧،
 ١٠٧، ١٠٦. الأوس: ١٠٧، ١٠٦. ٢٤٨، ٥٤.
 أوغاريت: ٢٠. بابل: ١٦، ٣٢، ١١١، ١٣٨،
 أوفير: ١٥، ٤٩، ٥٦، ٥٧، ١٤١، ١٤٢، ١٨٤، ٢٤٩،
 ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٣٤-٢٤٠، ٢٥٠، ٢٥٤-٢٥٢.
 ٢٤٤، ٢٤٥. البابليون: ٢١.
 الأولي (نهر): ٢١٩، ٢٢٠. بادانا: ٤١.
 أوتيت بن حزائيل: ١٠٢، ١٠٤. بئر السبع: ٢٧٥.
 ١٠٥. بئر ثمود: ٩٩.
 أوتيت الثاني: ١٠٤. بازق: ١٧٦، ١٧٨.
 إباد (منازل): ١٠٦، ١٠٧. بازو: ٣٥، ٤١، ٩٢، ٩٣، ٩٥،
 إيثام: ٦٧. ١١٢.
 إيدوم: ٤٢. باشان: ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩،
 إيدي بعل: ٤١. ٨٢، ٨٤، ٨٨، ١٦٠، ٢٢٢،
 إيديعو: ١١٢. ٢٢٨، ٢٨٣-٢٨٥.
 إيزابل: ٢٧٦. الباشانيون: ٧١.
 الأيكة (أصحاب): ١١٩. بانياس: ٢٥٩، ٢٨٢.
 إيل: ٢٢. بئروت: ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧،
 أيلة: ٢٣٤، ٢٣٦. ١٧٩.
 أيلون: ٢٨١، ٢٨٣. البتراء: ١٠٦، ١١٠-١٠٤.
 إيليا (النبي): ٢٧٣، ٢٧٧. البثنة: ٧٧.
 ٢٧٩، ٢٨٠. البحر الأبيض المتوسط: ١٤-١٦،
 إيمو: ١٠٥. ٣٢، ٣٤، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٠.

١٥٦، ١٥٩، ١٦٧، ١٨١، بطنة: ٣٥، ٤٣، ٩٦.
 ١٩٧، ٢٣١-٢٤٠، ٢٥٢، البطنة: ٩٦، ٩٧.
 ٢٧٨، ٢٨٨. بعشا: ٣٣.
 البحر الأحمر: ٩، ١٥، ١٩. بعلبك: ٢٢٢.
 ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٧، ٥٤، ١٠٠. بعل جاد: ٧١، ١٥١، ١٥٨،
 ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٥ - ٢٣٧، ١٦٢، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٠،
 ٢٣٩-٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٢٢.
 ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٩٠. بعل حرمون: ١٦٩، ٢٢٢،
 البحر الأريثري: ٤٧، ٥٣، ٢٢٤. بعل: ٢٢.
 ١٠٠، ٢٥٧. بعل صفون: ٦٧.
 البحر الجنوبي: ٢٤٦. بعون: ٨٤.
 البحر الكبير: ٤٢. البقاع (سهل أو وادي): ١٤٣،
 بحر الملح: ١٣٩. ٢٨٣.
 البحر الميت: ٤٢، ١٠٩، ١٣٢. بقران (وادي): ٨٢، ٨٣،
 ١٣٣، ١٣٩، ١٦٥، ١٦٧، بقعة لبنان: ٧١، ١٥١، ١٥٨،
 ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٩، ١٦٢، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٠،
 البحرين: ٩٧، ٢٦٣. ٢٢٢.
 بداكو: ١١١. بكر (ديار): ٥٣.
 بدر: ١٨٤. البكري: ٢١٣.
 بربرة (جزيرة): ٢٤٨. بلحارث: ٨٥، ٢٠١، ٢٦٩.
 برعو: ٣٧، ٩٨. البلقاء: ٨٨.
 برموث: ١٦١. بلينبوس: ٩٧، ١٠٠، ١٠٨،
 البزواء: ٩٣، ٩٥. ٢٠٠.
 بطليموس: ٥٣.

بنو إسرائيل: ١٧، ٤٨، ٦٥، بنو صرف: ٢٩١.
٦٧، ٦٩-٧٣، ٧٦، ٨١، ١١٠، بنو الصيد: ٢٩١.
١٢٠-١٢٢، ١٢٧، ١٤١، بنو عمون: ٨٢، ١٧٦، ٢٦٤،
١٤٢، ١٥١، ١٥٢، ١٦٠-٢٦٥، ٢٧٦.
١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩- بنو عيسو: ١٤٧.
١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، بنو قيس: ١٨٤.
١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، بنو كوش: ٤٩، ٥٢، ٢٦٦.
١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، بنو منسى: ٧١، ٧٣، ٧٩، ٨٢،
٢٠٥، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٧٤-٨٨، ١٦٦، ١٦٧، ٢٢٢، ٢٨٤،
٢٨٣، ٢٧٨.
بنو اسماعيل: ٤٨، ٤٩، ٦٤، بنو يقطان: ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٥،
٦٨-٧١، ٧٤، ٧٥، ٨٧، ٨٨، ٦١.
٩٠-٩٢، ١١٥، بني أسد: ١٠٦.
بنو إفرايم: ٢٨٤، ٢٨٥، بني ثور (قرية): ٦٥، ٦٨.
بنو جاد: ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٨، بني حوال: ٦٢.
٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ١٦٦، بني سبأ: ٨٥.
١٦٧، بني سدوس (قرية): ٢٣١.
بنو حاشد: ٢٩١، بني مازن (سر): ٢٠١.
بنو رأوين: ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، بني مالك (بلد): ١٠٧.
٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ١٤٠، بني نهدي (بلد): ١٠٥.
١٦٦-١٦٨، بني يعقان (آبار): ١٩٤.
بنو زيف: ١٨٤، بني يعنق: ١٩٤.
بنو سلمة: ١٨٥، بنيامين بن يعقوب: ١٢٠، ١٢٤،
بنو شمعون: ١٧٨، ١٢٦.
بنو صرار: ١٨٤.

بنيامين (عشيرة): ١٧٥، ١٧٧، ترسيوس: ٢٣٤.
١٧٩، ١٨٤، ترشيش: ١٥، ١٦، ٢٠٤،
نوز: ٩٤، ١١٢، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧-٢٤٥،
٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٣، بولس الرسول: ١٩.
البياض (رأس): ٢٩١، تركيا: ٢٦٣،
بيت إيل: ١٧٩، تعز: ٢٧٠،
بيت بشيموت: ٨٢، تغلت فلاصر الثالث: ٣٤-٣٦،
بيت رحوب: ٢٨٢، ٢٨٣، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٩٢، ٩٧،
٢٨٦، التكميم: ١٨٨،
بيت غابة لبنان: ٢٢٨-٢٣٠، تل العمارنة: ٢٧٠،
بيت ميخا: ٢٨٤، تل القاضي: ٢٨٢،
بيدر أطاد: ١٢٨، ١٢٩، ١٣١- تهامة: ١٦، ١٨، ٢٢، ٣٩،
١٣٣، ٤١، ٤٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢،
بيش (وادي): ٧٩، ١٨٣، ١٩١، ٢٢٨، ٢٦٢،
بيشة (وادي): ٣١، ٣٦، ٣٨، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٠،
٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٤، ٨٧، تهامة اليمن: ٢٥٦،
توبال: ٢٦٢، - ت -
تارج: ٢٦٧، التوراة: ١٢، ٢٠، ٢٣، ٢٩-
٣١، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٣، ٦١، تباله الحجاج بن يوسف: ٢٦٢،
٧٣، ١١٠، ١١٦، ١١٨، ١٢١، تباله اليمن: ٢٦٢،
١٣٠، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، تيوك: ٩٩،
تحتهم (أرض): ٢٠٥، ٢٠٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩-
٢١١-٢١٣، ١٦٣، ١٨٢-١٨٤، ١٩٢،
تدمر: ٩٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٠٨،
١٣٩، ١٥٩، ٢٣١، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢١.

٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٥٢، جبال لبنان الشرقية: ١٦٢، ١٧٠،
 ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٢، ٢٢٣، ٢٢١.
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، جبعة: ١٧٦، ١٨٤.
 التوراة (أرض): ١١، ١٣، ١٤، جبعون: ١٦١، ١٦٢، ١٧٠،
 ١٨٢، ٢٠٨، ٢٢٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧،
 التوراة (قبائل): ١١، ١٧٩، ١٨٠.
 تيماء: ٣٥، ٤١، ٤٣، ٩٥، جبل إسرائيل: ١٦٢، ٢٢٢.
 ٢٥٠، ٢٦٤، جبل إفرايم: ٢٨٤، ٢٨٥.
 واحة تيماء: ٤٤، ٩٤، ٩٥، ٩٨، الجبل الأقرع (الأملس): ٧١،
 ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٥١، ١٦٢، ١٩١ - ١٩٣،
 تيمان بن أليفاز: ١٤٧، ٢٢٢.
 - ث -
 ثموداي: ٣٧، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، جبل الله: ٢٧٠.
 ثمود: ٩٨-١٠١، جبل بعل حرمون: ١٦٩، ٢٢٢.
 قرية ثمود: ١١٩، جبلة: ٣٤، ٢٧٠.
 الثموديون: ١٠٠، جبل الشيخ: ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥،
 ثيوفراستس: ٢١٩، ١٧٠، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٣،
 - ج -
 جاد بن يعقوب: ١٢١، ٢٢٥، ٢٢٣، ٢٢٥، جبل لبنان: ١٦٩، ١٧٠،
 جازر: ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ٢٣٠، ٢٧٥.
 جاسان: ١٢٨، ١٣٤، جبل يهوذا: ١٧٦.
 الجاهليون: ٩٩، جبل: ١٨، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٧٠،
 جبال حرمون: ٢٢٣-٢٢٥، ٢٨٠، جبيل (مدينة وبلاد): ٢١، ١٥٠،
 ٢٣٠، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢.

١٦٣، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٩، الجليل: ١٦٥،
 ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة:
 الجبيليون: ١٨٥، ١٠.
 جت: ١٥٦، جنة عدن: ٦٥، ٢٠٥، ٢٠٦،
 الجتّي: ١٥١، ٢١١-٢١٣، ٢٧٠.
 جرار: ٦٣، ٢٧٨، جنديو (العربي): ٣٣.
 الجرجاشيون: ٧٠، جنوب الجزيرة العربية: ١٥، ١٧،
 جرش: ٢٦٢، ٢٠، ٢٣، ٤٧، ٥٥، ٩٧، ٢٠٠،
 حرم (ديار): ١٠٦، ٢٠٣، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٨،
 الجزيرة العربية: ١٣، ٢٩، ٣٠، ٢٤٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٦،
 ٣٩، ٤٩، ٥٩، ٦١، ١٠١، جهينة (منازل): ٢٦٠.
 ١١٠، ١٣٢، ٢٠٠، ٢٠٧، حوزن (نهر): ١٢،
 ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٦١، حوشام: ١٨٩،
 ٢٦٣، ٢٨٩، حوشن (أرض): ١٦٢، ١٨٣،
 حزين: ١٥٤، ١٥٨، ٢٢٢.
 حشم (قبيلة): ٢٢، الجوف (منطقة): ٥١، ٥٢، ٨٤،
 الجشوريون: ٧١، ٨٢، ١٥١، ٨٧، ١٨٩، ١٩٠،
 ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦-١٥٨، جيحان (نهر): ٣٤.
 الجعافرة (أرض): ٥٣، جيزان: ١١، ١٢، ٣١، ٧٣،
 الجعدية (قرية): ٧٥، ٧٧، ٧٩-٨١، ٨٨، ١٣٩،
 الجحلال: ١٦١، ١٧٠-١٧٥، ١٤٠، ١٨٣، ٢٦٩،
 ١٧٩-١٨١، ١٨٧، جيشان (مخلاف): ١٨٤،
 جلعاد: ٤٦-٤٨، ٧٣-٨٠، ٨٢، جيشان (مدينة): ١٨٤،
 ٨٧، ٨٨، ١٤٠، ١٤١، ١٦٨، الجزيرة: ١٢٣،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٦٧، ٢٦٨.

- ح -

- حاتي (بلاد): ٤٢.
 حاران: ٢٦٧.
 حارس (جبل): ٢٨١-٢٨٣.
 حاز (قرية): ٥٩.
 حازو: ٩٢، ٩٣، ٩٥.
 حاشد (بلد): ٢٢٥.
 الحاصباني (نهر): ١٧٠، ٢١٩.
 ٢٢٠، ٢٨٣.
 حاصبيا: ١٥٨، ٢٢٢.
 حاصور: ١٦٩، ١٧٥.
 حبرون: ١٣٢-١٣٤، ١٥٢.
 ١٦١، ١٧٦، ١٧٨.
 الحبشة: ٢٩، ٢٤٨، ٢٦٣.
 حبله: ٨٥.
 حبنون: ٢١٣.
 حبور: ١٢.
 حبونا (وادي): ١٩٤، ٦٦.
 حتي، فيليب: ٩٥، ١٠٤، ٢٤٦.
 ٢٨٩.
 الحثيون: ٧٠، ٧١، ١٥٢، ١٦٠.
 ١٦١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٥.
 الحجاز: ١٨، ٢٢، ٣٤، ٣٦، ٢٩٠.
 ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٨.
 ٦٢، ٦٩، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٥- حزقيا (ملك يهوذا): ١٠٩.

- حزقيال (النبي): ٢١١، ٢١٢، حمير: ١٣.
 ٢٤٩-٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٩.
 حزو: ٩٤، ٩٥.
 حزوى: ٩٣، ٩٥.
 حشبون: ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٥.
 حصر عينان: ١٣٩.
 حضرموت: ٤٩، ٥٥، ٥٧، ٧٦.
 ٢٠٢، ٢١٩، ٢٣٧.
 حضوة (عقة): ١٢٩.
 حضور: ١٨.
 حضيرة نجران: ١٩٤.
 حضيرت: ١٩٤.
 حطيا: ٤١.
 حلبان: ٢٦٥.
 حلة: ٢٧٤.
 حلبون: ٢٦٥.
 حلف: ١٨٨.
 حله ره: ١٢.
 حماء: ٣٣، ٣٤، ٣٨، ١٤٢.
 ١٤٤، ١٥١، ١٥٣، ١٥٨.
 ١٧٠، ١٧٤، ٢٣١.
 حمت: ١٤٤.
 حمص: ١٤٣، ١٥٨.
 حمضة: ٢٢٨.
 حمير: ١٣.
 الحميريون: ٢٣، ٦٢.
 حنيش (جزر): ٢٤٨.
 حوالة (قرية): ٦٢، ٦٣.
 الحوالي، محمد بن علي الأكوع: ٢٦١.
 حوريب: ٧٠، ٨٦، ١٩٤.
 الحولة (بحيرة): ١٦٥، ١٧١.
 ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠.
 الحوليون: ٦٢.
 حويله: ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠.
 ٥٢، ٥٣، ٥٩-٦٢، ٦٤، ٦٨.
 ٧٤، ٧٥، ٨٧-٩٢، ٢٦٦.
 الحويون: ٧٠، ٧١، ١٥٢.
 ١٦١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤.
 ١٧٥، ١٧٧-١٨٠، ٢٢٢.
 ٢٣٠، ٢٧٥.
 حيايا: ٤١.
 حيرام (حورام): ٥٦، ٢٠٢.
 ٢٠٣، ٢٣٤-٢٣٨، ٢٤٠.
 ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٩، ٢٨٠.
 حيران: ٢٦٨، ٢٦٩.
 حيس: ٦٢.
 حيفا: ٢٣٩.

- خ -

- الخابور (نهر): ١٦٣.
خالد بن الوليد: ٢٦٨.
خبان: ٨٥.
خب (وادي): ٦٨، ٦٥، ٥١، ٨٧.
خبت البزواء: ٩٣.
خبر: ١١٢.
الخبية: ٩٧، ٩٦.
خثعم (ديار): ١٠٥.
خرازة: ١٠٦، ١٠٤.
خزاز: ١٠٦.
خط: ٩٧، ٤٣، ٣٥.
الخط: ٩٧.
خطي: ٩٧، ٤٣، ٣٥.
خطيني: ٩٧.
الخلتب: ٨٥.
خلف، القس غسان إيليا: ١٠، ٢٠٨.
خليج عدن: ٢٤٨.
خليج العقبة: ٦١، ٤٢، ١٦، ١٤٣، ١٨٨، ١٩٠.
١٥٤، ١٨٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٧٥.
٢٤٣، ٢٤٢، ٢٣٩.
الخليج الفارسي: ٩٧، ١٦، ١٧٨.
الدبيل: ٩٧، ٤٣، ٢٦٣، ٢٥٨.

دجلة (نهر): ٢١١.

- ددان: ٩٤، ١٠٨، ٢٥٠، ٢٥٦.
٢٦٣، ٢٦٤.
ددانو: ١١١.
الددانيون: ١٠٨، ٢٦٤.
ددن: ٢٦٤.
دقلة: ٤٩.
دمشق: ٣٤، ١٠٥، ١٣٩.
١٤٣، ١٦٥، ٢٦٨.
دهلك (جزر): ٢٤٨.
الدواسر (وادي): ٨٣.
دور: ١٦٩، ١٧٥.
دومة الجندل: ١٠٠.
الدويهي (البطيريك): ٢٨٨.
الديار (جريدة): ١٣.
ديب، فرج الله صالح: ١٠ - ١٣، ١٩.
ديون: ٨٤.
ديدان: ١١١.
ديدورس (الصقلي): ٢٠٠.
ذات عرق: ١٠٦.
ذخار (جبل): ٨٥.
ذفر: ٥٦.
ذمار: ١٨٨، ١٨٧.
ذو الأراكاة: ١٠٥.
ذو الدوم (وادي): ٥١.
ذورمة: ٤٥، ٢٠٨.
ذو يعزز (وادي): ٨٥.
ذيان (جبل): ٨٤.
ذي ذهب: ١٩٤.
ذي رعين: ٦٠.
- ر -
الرافدين (وادي): ١٧، ١٨، ٣٢، ٣٩، ٩٠، ١١١، ١١٢، ١٣٧، ١٤٠-١٤٣.
الرافضة: ١٨٤.
الرامة: ١٧٧، ١٨٥، ١٨٧، ٢٧٣.
رأوين بن يعقوب: ١٢٠، ١٢٦.
رباق (وادي): ١٨٧.
الربع الخالي: ٨٣.
رجال ألمع: ٧٧، ٩٥.
رحابة (قرية): ١٨٩.
رحبعام: ٢٨٤.
رحوب: ١٨٥-١٨٧، ٢٧٤، ٢٨٣.
رحوب (وادي): ١٨٧، ١٨٨.
رحوبوت النهر: ١٨٩.

رحوي: ٣٣. الزيفيون: ١٩٠.
 الرس (أصحاب أو قرية): ٩٨، زيدان، جرجي: ٢٢، ١٠٥، ١١٩، ٢٦٣، ٢٦٥.
 الرسول العربي: ٩٩، ١١٩، زيلع (جزر): ٢٤٨.
 ٢٦٢ - س -
 الرضراض (معدن): ٥١، ٢٧١، سارة: ١٢٨، ١٣٢.
 رعمة: ٤٩، ٥٠، ٢٦١، ٢٦٤ - سابع: ١٠٩، ١١٠، السامرة: ٣٧، ٢٦٦، ٢٧١.
 رعمسيس: ٦٧، سامطة: ٣١، ١٤٠.
 الرفائيون: ٨٢، سبأ: ٢٠، ٢١، ٣٥، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥٠، ٩٥، ٩٦، ١١٠، ١٢٨.
 الرمة (وادي): ٨٩، ٢١٩، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦٦، رودس (جزيرة): ٢٦٣، ٢٩١.
 روضة مأرب: ٢١٢، السبأي (بلاد): ٤٧، ٢٠٠، ٢٠١.
 الرومان: ٥٤، ٥٦، ١٠٠، ٢٠١، ريدة (بلدة): ٦٢، ٢٤٦.
 - ز -
 زبولون بن يعقوب: ١٢٠، السبئية (القبائل): ٩٥، ١١٠، ٢٤٦، ٤١، ٢٣، ٢٤٦.
 زبولون (سبط): ٢٧٧، ٢٧٨، السبت (نهر): ١٢، ٢٦٦، ٤٩.
 زبيد (بلد): ١٠٥، سبتة: ٤٩، ٢٦٦، ٤٩.
 زكريا (النبي): ١١٧، سبتكا: ٤٩، ٨٥.
 زهران (بلاد): ١١، ١٩٤، سبمة: ٨٥، ٢٠٠.
 الزهراني (نهر): ٢٢٠، سترابون: ٤٧، ٢٠٠، ٦٩، ٦٤، ٣٦، ١٨٥.
 زوف: ١٨٥، السراة (جبال): ٣٦، ٦٤، ٦٩، ١٢٩، ٧٤.
 زيف: ١٩٠.

سرجون الأول: ٣٩. السودادية: ١٨٥.
 سرجون الثاني: ١٢، ٣٤، ٣٧، السودان: ٥٠، ٩٥-٩٨، ١٠١.
 السرحان (وادي): ٩٣، سوريا: ٣٤، ١٥٨، ١٧٤، ٢٥٩، ٢٨٢.
 سريون: ٢٢٣، سوقطري (جزيرة): ٢٤٨.
 سعي: ٧١، ١٥١، ١٦٢، ١٩١ - سيان (وادي): ٢٢٤، ١٩٤، ٢٢٢.
 سفار: ٤٩، ٥٣-٥٦، ٨٧، سيان: ٣٣، ٣٤.
 سكوت: ٦٧، سيئون: ٢٢٣، ٢٢٥.
 سلخة: ٨٢، سيحان (نهر): ٣٤، ١١١.
 سلخ: ١١١، سيحون: ٧٦، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ١٦٠.
 السليك بن السلكة: ٢١٢، سيران (الشرقي): ٢٢٤.
 سليمان (الملك): ٢١، ٥٦، سيران (الغربي): ٢٢٤، ١١٠، ٢٠٢ - ٢٢٨، ٢٠٤، ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٣١، ٢٤٤ - ٢٤٧، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٧.
 ٢٨٠ - ش -
 سمارة: ٨٦، شارون: ٢٢٨، سمسي: ٣٥، ٣٧، ٩٢، ٩٨، شالف: ٤٩.
 سنحاريب: ٩٥، الشام (بادية): ٣٩، ٤١-٤٣، ٤٩، ٦١، ٦٢، ٩٠، ٩١، ١٠١، ٢٢٢-٢٢٤.
 السواح، فراس: ١٠، ١٧، ٢٠، ١٠٧، ١١١، الشام (بلاد): ٣٢-٣٤، ١٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١١٢-١٠٩، ٣٨، ٤٩، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١١٥.

الشبحور (نهر): ١٥٣-١٥١، صنعاء: ١١، ١٢، ٥٥، ٥٩، ١٥٨، ١٥٦.
 الشيخ (جبل): أنظر حرف الجيم
 شيلوة (أو شيلو): ٧٣، ١٨٦، ١٨٧.
 صور التوراتية: ١١، ١٤-١٦، ١٨، ٥٠، ٥٧، ١٨٥-١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦-٢٥١، ٢٦٣-٢٦٥، ٢٦٩-٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٠.
 صرعة: ٢٨٢-٢٨٥.
 صرقة صيدون: ٢٧٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠.
 الصرغند: ٢٨٧.
 صعدة: ٨٣، ٨٤، ١٩٢، ١٩٣، ٢٢٤، ٢٩٠، ٢٩١.
 الصليبي، كمال: ٩-١٣، ١٥، ٣٠، ٣١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٣-٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٦، ٨٧، ١٠٧، ١١٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٨٢، ١٩٢-١٩٤، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٨، ١٧٩، ١٨٦، صموئيل النبي: ١٧٩، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٢٠، صور اليمينية: ١٨٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٥ - ٢٥٧، ٢٩١، ٢٧٧، ٢٣٣، ٢٧٧، الصومال: ٢٥٩، ٢٦٣، صيدون التوراتية: ١١، ١٦، ١٨، ١٥٤، ١٦١، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨١، ١٨٥-١٨٧، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٢٠.

- ص -

شري (قرية): ٦٥، ٨٧، شط العرب: ٢١١، شعليم (أو شعلين): ٢٨١، ٢٨٣، شاول (الأدومي): ١٨٩، شاول (الملك): ٤٦، ٤٩، ٧٥، ١٤٠، ١٤٦، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠، غرب شبه الجزيرة العربية: ٩، ١٣، ١٧، ١٨، ٣٠-٣٢، ٣٩، ٩٨، ١٠١، ١١٣، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٤، ٢٠٨، ٢٥٥، ٢٦٦، شبا: ٤٩، ٥٧، ٢٠٢، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧١، شبام أقيان: ٦٢، ٨٥، ٢٠٢، شبام التوراتية: ٨٤، ٨٥، شبام حمير: أنظر شبام أقيان، شبام (مخلاف): ٦٢، شباه (أو شبوه): ٢٠٢، ٢٦٦، شبهان: ٨٤، شبه الجزيرة العربية: ١٦، ١٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ١١٣، ٢١٧، ٢٣١، ٢٨٠، ٢٩٠، شحب (قمة أو نبع): ٧٧، الشرق الأدنى: ٢٠، ١٣٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٧، ٢١٣، ٢٣٠، ٢٣٧، شرقي الأردن: ٤٦-٤٨، ١١٥، ١٣١، ١٣٢-١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٦٥، ١٨٦، ٢٠٥، ١١٥، الشور: ٤٥، ٤٨، ٦١، ٦٣-٦٨، ٩٠-٩٢، ١١٥، الشور: ٨٩.

٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٥٠	- ظ -
٢٧٣-٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٥	ظفار: ٥٤-٥٦، ٧٦، ٨٦
٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١	٢٠٣، ٢٧١
صيدون اللبنانية (صيدا): ٤٢	ظفار حضرموت: ٥٥-٥٧
١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢	ظفار اليمن: ٥٥، ٥٨
١٦٥، ١٧٤، ١٨٠، ٢٢٠	- ع -
٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٧٤	عاد: ٩٨، ٩٩، ١١٩
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣	عارة: ١٥٦
٢٨٧	العارض: ١٠٦
الصيدونيون: ١٥٠-١٥٢	العاصي (نهر): ٣٣، ٣٤، ٣٨
١٥٤-١٥٦، ١٦٣، ١٨٥	العاصي (وادي): ١٥٣، ١٥٨
٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٧٣	١٧٨
٢٧٥-٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠	عالي (الكاهن): ١٨٥، ١٨٦
٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩١	عاي: ١٦١
- ض -	العبايد (وادي): ١٠٠
ضرم (جبل): ١٢٩	عبايد: ١٠٠، ١٠١
ضهر (وادي): ١٨٩	عبايد: ٩٧
الضيقتين (جبل): ١٩٣	عباريم (جبال): ١٦٥
- ط -	العبرانيون: ٢٣
الطائف: ٩، ٨٢، ٨٣، ٩٥	عبيدة (وادي): ٢١٣
١٠٧، ١٣٩، ١٩٤، ٢٠٨	عثر سمين: ١٠٤
طبرية (بحيرة): ١٣٩، ١٥٥	عجلون: ١٦١
١٦٥	العدنانيون: ٢٢، ١٠٦
طشر: ٦٨	عدن: ٥٠، ٢١١-٢١٣، ٢٦٦
طرابلس: ٢٨٨	٢٦٩، ٢٧٠

عدن لاعة: ٢٦٩	عشتار: ٢٢
عذر: ٨٢	عشتاروت (موضع): ٨٢
عراد: ١٨٨، ١٨٩	عصيون جابر: ١٦، ٢٣٤، ٢٣٥
عراعر: ٨٣، ٢٦٥	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢-٢٤٥
العراق: ١٠٦، ٢٠١، ٢٦٧	عطاروت: ٨٤
٢٦٨	عفرون الحثي: ١٢٨
العرب (بلاد): ٣٠، ٣٣، ٣٥	عقرون: ١٥١-١٥٣، ١٥٦
٣٩، ٤٠، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٩٧	١٥٨
١٠١-١٠٣، ١٠٨، ١١٠	العقروني: ١٥١
١١٥، ١٥٠، ٢٦٠، ٢٦٤	العقيق: ١٠١
العربة: ٧٠، ٨٢	عكا: ٢٢٧، ٢٣٩
العربية الجنوبية: ٤٥، ٦١، ٢٠٨	عكو: ٢٧٤
٢٣٥	العلا: ١٠٩، ١١١، ٢٦٤
العربية (القبائل): ٩٥، ٩٨	عليب: ٩٣
١٠٥، ١١١، ١١٥	علي، جواد: ٥٥، ٥٩، ٩٥
عرقاتا: ٣٣، ٣٨	١٠٥
عروعر: ٨٢، ٨٣	العمالقة: ٤٩، ١٦٠
عري مدي: ١٢	عُمان: ٥٥، ٢٣٧
العزى: ٢٢	عُمان (بحر): ٢٤٣، ٢٤٤
عزرا: ١٥٥	عُمان (مدينة): ٢٦٤
عزيا (ملك يهوذا): ١٠٩	عمري (أرض): ٤٢
عسير: ١٨، ٣٠، ٣١، ٤٨، ٦٤	عمون: ٣٣
٦٩، ٧٤، ٧٥، ٨١، ٨٧، ٩٧	عنجر: ٢٨٣
١١٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٨٣	عتر (ديار): ٩٥
١٩٤، ٢٠٧، ٢٨٩	عنس: ١٨٧

العهد القديم: ٢١٦، ٢٢٢.

عوبال: ٤٩.

عوباليت: ٢٥٨.

عوج: ٧٦، ٨٢، ٨٤، ١٦٠.

عوص: ١١٢، ٢٥٠، ٢٦٠.

العويين (أرض): ١٥١، ١٥٤.

١٥٨.

عيسو (عشيرة): ١٩٢.

العيص: ٢٦٠.

عيلام: ١٠٤.

- غ -

الغائط: ١٨٧، ١٨٨، ١٩١.

غالوس (ألبوس): ٩٦، ٩٧.

غامد (سراة): ٦٣، ٦٤، ٦٨.

١٩٣، ٧٤.

غرابية (قرية): ٨٢، ٨٣.

غزة: ١٠٧، ١٥٦، ١٥٨، ١٨٣.

٢٧٨.

الغزي: ١٥١.

غور الأردن: ١٨١.

- ف -

فاران: ١٩٤.

فارس (بلاد): ١٦، ١٤٠، ٢٦٠.

فج الناقة: ١٠٠.

فدان آرام: ٢٦٨.

فدك: ١١١، ١١٢.

الفرات (نهر): ٩، ٤٠، ٤١.

٩٠، ٩١، ١٣٧-١٤١، ١٤٣.

١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨.

١٨٩، ٢١١، ٢٦٧، ٢٦٨.

الفراعنة: ٢٣١.

فرت (نهر): ٦٩، ٧٠، ١٣٧.

١٣٩-١٤٢، ١٤٤، ١٦٠.

١٦٤-١٦٦، ١٦٨، ١٨٩.

٢٧٩.

الفرزيون: ٧٠، ٧١، ١٥٢.

١٦١، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦.

١٧٨.

فرعون: ٩٨، ١١٨، ١٢٨.

٢٥٠.

فرعون (قرية): ١١٩.

فرسان (جزر): ٢٤٨.

الفرس: ٢٣١.

الفسحة (رأس): ١٦٠، ١٦٣.

الفغالي (الأب بولس): ١٠.

الفلج: ٩٧.

الفلسطينيين (بلاد): ٤٢، ٦٧.

٢٦٨.

فلسطين: ١١، ١٣، ١٧، ٢٢.

٢٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٨، ٧٣.

١٠٧، ١١٥، ١٢٥، ١٣٠.

١٣١، ١٣٤، ١٣٨-١٤٠.

١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣.

١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٥.

١٧١، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٦.

٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٧.

٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٥٤.

٢٥٩، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩.

٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠.

الفلسطينيون: ١٥١، ١٥٢.

١٥٤، ١٥٦، ١٨٥، ١٨٧.

٢٧٥، ٢٧٦.

فم الحيروت: ٦٧.

فيثون (نهر): ٥٠، ٦٢.

فيثا (جبل): ٧٧.

فينيقيا (بلاد): ١٩، ٢٣، ١٥٤.

٢٥٢ - ٢٥٥، ٢٧٧، ٢٧٨.

الفيثيون: ١٩، ٢٣، ٢٤٦.

٢٧٦، ٢٧٧.

- ق -

قادش: ٦٣، ١٨٣.

قاضي دينه (جبل): ١٩٤.

قانا: ١٩.

قتان: ٢١٩.

قحازة: ٢١٣.

قحطان بن عابر بن شالخ: ٦٠.

قدراي: ١٠٨.

قدرو: ١٠٨.

القدس: ١٣٢.

القرآن الكريم: ١١٨-١٢٠.

١٢٦.

القرى (وادي): ٩٩، ١١٩.

قرقرة: ٣٣، ٣٨.

القرن الأفريقي: ٢٥٨، ٢٦٣.

القرنة السوداء: ٢١٥.

قرينات: ٨٣.

القصيم: ١٩٤.

قضيي (وادي): ٢١٢.

قطف: ٨٣.

قلحاح (جبل): ٢٦٢.

قنا والبحر: ٧٧.

القنفذة: ١٢٩، ٢٤٨.

قوية: ٣٣، ٣٤، ٣٨.

قيدار (قبيلة): ١٠٢-١٠٤.

١٠٦، ١٠٨-١١١.

قيس بن الخطيم (الشاعر): ١٠٧.

قيس بن صرور: ١٨٤.

- ك -
الكتاب (أهل): ٢٦٢.
كناف: ١٨٧.
كتنبل: ٢٢٨.
كنيم: ٢٥٦، ٢٤٩.
كحلان: ٨٥.
كدمل: ٢٢٨.
كرب إيل: ٩٦.
الكرمل: ١٥، ١٨، ١٦٥، ١٩٠، ٢٧٥، ٢٧٨.
الكوثة: ٣١.
كوش: ٢٩-٣١.
الكوشيون: ٤٩.
الكوفة: ٢٦٨.
كوكبان (قصر): ٨٥.
- ل -
لابان: ٢٦٧، ٢٦٨.
اللات: ٢٢.
لاعة (مدينة): ٢٦٩.
لاوي بن يعقوب: ١٢٠.
لايش (لشم): ٢٨٠-٢٨٦.
لبنان التوراتي: ١١، ١٤، ١٥.
كنروت (بحر): ٨٢، ٨٣، ١٣٩، ١٨، ٧٠، ٧١، ١٤٧، ١٥٠-
١٧٥، ١٦٩.
كنعان (أرض): ٥٣، ٦٩، ٧٣، ١٦٣-١٦٦، ١٦٨، ١٨١، ٧٥، ٧٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٧ - ٢٠٠.

٢٠٢ - ٢٠٧، ٢١٠ - ٢١٥، ليلي: ٩٣.
٢١٨ - ٢٢١، ٢٢٣ - ٢٣١، - م -
ما بين النهرين (بلاد): ٩٠.
لبنان المتوسطي: ١٤، ١٥٠.
١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٥، ١٨٩، ٢١١، ٢٦٧.
١٦٧، ١٧١، ١٧٤، ١٨٠-
١٨٢، ١٨٦، ١٩٧، ١٩٩، مادون: ١٦٩، ١٧٥.
٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٧-٢١١، مأرب: ٥١، ٩٥، ١٩٤، ٢٠٢.
٢١٤-٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢٧١.
٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، مارة: ٦٧.
٢٣٧، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، مارسيابا: ٩٦، ٩٧.
٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، مارون الراس: ١٧١، ١٧٤.
لبنان اليمن: ١٤، ١٨٣، ٢٠٠، ماشك: ٢٦٢.
لبيد: ٢١٣.
لبنيان: ١٨٢، ٢٠٨، ٢٢٨، ماكير بن منسى: ٧٨.
٢٩٠، ٢٩١، مجدل: ٦٧.
٢٩٠-٥٣، ٥٥، ٢٥٧، مخا:
اللحية (بلدة): ٢٤٤، مدان (جبل): ٢٢٤.
لخيش: ١٦١، ١٧٦-١٧٨، مديان: ١٩١.
لموئيل: ٢٠، مدين (قرية، قوم): ٩٩، ١١٩.
لوط: ١٢٠، المدينة المنورة: ٩٣، ٢٥٩.
لوط (قرية): ١١٩، ١٢٠، مذهب (وادي): ١٩٤.
ليقة: ١٢٨، مراد: ٢١٢.
ليبيا: ٩٠، مران: ١٤٨، ١٩١.
لية (وادي): ٣١، ١٤٠، مران (جبل): ١٩١.
الليطاني (نهر): ٢١٩، ٢٢٠، مرجعيون: ١٨٠.

مرسماني: ٩٧، ٩٦، ٣٧. مصرايم: ٢٩-٣١، ٦٥، ٦٧،
 مـرن (وادي): ١٨٧، ١٩٠، ١١٦، ٧٥، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩،
 ١٣٦، ١٣٠.
 مريابا: ٩٦. مصر التوراتية: ١٣، ١٥، ٢٩-
 مريم العذراء: ١٩. ٣١، ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٦٤،
 مسأ: ٤٥، ٤٩، ٢٠٨. ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨٧ - ٩٠،
 مسأي: ٣٥، ٤٣، ٤٥، ٩٥. ١١٥ - ١١٧، ١٢٠ - ١٢٢،
 مسرفوت (مياه): ١٥١، ١٥٢، ١٢٤ - ١٢٨، ١٣٥، ١٣٨،
 ١٦١، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٥١ - ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠،
 ١٧٨، ١٨١، ٢١٩، ٢٢٠. ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٤٩، ٢٥٠،
 مسعاي: ٤١. ٢٥٢ - ٢٥٥.
 المسقى: ٩٥. قرية مصر: ٣١، ٣٦.
 مسورة: ١٩٥. مصر (المدينة أو القرية): ١١٦،
 مسورخولان (جبل): ٢٦٥. ١١٨، ١١٩.
 المسوريون: ١٥٥. مصر (قبيلة أو عشيرة): ١١٧،
 السيد المسيح: ١٩. ١١٨.
 مشرفة (عين): ٢١٩، ٢٢٠. مصر وادي النيل: ١٧، ٢٩، ٣٢،
 المشقا: ٩٥. ٣٦، ٣٧، ٥٠، ٩٠، ٩١،
 المشقة: ٩٥. ١١٥-١١٧، ١٢١، ١٢٣،
 المشكان (المشكا): ٢٦٢. ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢-١٣٦،
 المشوكة: ٢٦٢. ١٣٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨،
 المشرفة (عين): ٢١٩. ٢٠٩، ٢٥٣-٢٥٥، ٢٦٩،
 المصرامة: ٣١. ٢٨٩.
 مصري: ٢٩، ٣٠، ٣٣-٣٨،
 ٩٨، ١١٥.

المصريون: ١١٦، ١٢٠، ١٢١، الملح (قرية): ٨٢، ٨٣،
 ١٢٩، ١٣٥. الملح (وادي): ١٨٨.
 المصرم (قرية): ٣٢. ملوخا: ٢٩.
 المصزمة: ٣١، ١٢٩. ممرا: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢.
 مصريم (نهر): ٣١، ٣٢، ٦٩، المملكة الأردنية الهاشمية: ٨٨،
 ١٣٧، ١٣٩، ١٦٠. ١٠٤، ١٠٩، ١٣١، ٢٦٨.
 المصرع: ٢٢٥. مملكة إسرائيل: ١١، ١٨،
 مصعر (جبل): ٢٢٣، ٢٢٥، ١١٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٦،
 ٢٢٦. ١٨٩، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٦٤.
 المصفاة (بقعة): ١٥١، ١٦٩. ٢٧٦.
 ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، مملكة الأموريين: ١٥٩، ١٦٢.
 ١٧٧-١٨١، ٢٢٠، ٢٢٢. مملكة بني حوال: ٦٢.
 معارة: ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، مملكة كل إسرائيل: ٩.
 ١٥٥، ١٥٨، ١٦٣، ٢٧٣. مملكة يهوذا: ١٨، ١٠٩، ١١٠،
 المعكيون: ٧١، ٨٢. ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٥،
 معون (برية): ١٩٠. ٢٥٩، ٢٧٥.
 معين: ٢٩، ١٨٩، ١٩٠. مناة: ٢٢.
 الدولة المعينية: ١٩٠. المنارة (مجلة): ١٠.
 المقفلة: ١٢٩. منسى بن يعقوب: ١٢١.
 مقيدة: ١٧١. منفهق جابر: ٢٤٤.
 مكة المكرمة: ٩٣، ٩٧، ١٠٦، منيت: ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥.
 ١١٩، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٤. مـوآب: ٤٥، ١٦٠، ١٦٣-
 المكفيلة: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢. ١٦٧، ٢٧٦.
 ١٣٣. مور (وادي): ٢٤٤.
 المكمل (جبل): ٢١٧. موزا: ٤٧، ٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨.

يارح: ٤٩.
 يافا: ١٥٣، ١٥٨، ٢٣٤، ٢٣٩.
 ياقوت الحموي: ٩٧، ١٠٠، ١١٢، ٢٢٨، ٢٦٤، ٢٦٥.
 يام (بلاد): ٨٢، ٨٣، ١٩٢.
 ياهص: ١٦٠.
 ياون: ٢٥٩-٢٦١.
 ييوس (أورشليم): ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ٢٨٤.
 يعزير: ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ٨٨.
 يعفر: ٨٥.
 يعقوب (إسرائيل): ١٢٠، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢.
 ييوق (وادي): ٨٢.
 يثرب: ١٠١، ١٠٧، ١١١، ١١٢.
 يثع أمر: ٣٧.
 يثعمر السبيئي: ٩٥، ٩٨.
 يخبس (قرية): ٦٢، ٨٥.
 يحصب العلو: ٨٦.
 يديع: ٩٣، ١١٢.
 يركي: ١٠٤، ١٠٥.
 يريم (بلدة): ٥٥، ٨٥.
 يساكر بن يعقوب: ١٢٠.
 يشوع بن نون: ٧١، ٧٣، ٧٥.
 ١٥١، ١٥٢، ١٦١-١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧-١٧٩، ١٨١، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٧٣، ٢٧٨.
 يشيع (قصر): ٦٢.
 يطور: ٧٥، ٨٨.
 يعاريم (قرية): ١٧٠، ١٧٤.
 يعزير: ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ٨٨.
 يعفر: ٨٥.
 يعقوب (إسرائيل): ١٢٠، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢.
 يعمون: ٨٣.
 يقطان: ٤٩، ٥٢، ٥٧، ٥٨.
 اليقطانيون: ٤٩، ٥٥، ٧٦.
 اليمامة: ٤٩، ٦١، ٦٢، ٩٣.
 يم سوف: ٦٥، ٦٧، ١٩٠، ١٩٤، ٢٣٤.
 يم سوف (برية): ٦٧، ١٩٢.
 يمنت (مغت): ٢٦٥.
 اليمن: ٩، ١١-١٣، ١٦-١٨، ٢٠-٢٢، ٤٤، ٤٧-٤٩.

٥١، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٨، ٧٤-٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٧-٨٩، ٩٢، ٩٦، ١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٨٢-١٨٥، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٦-٢٤٨، ٢٥٥-٢٥٧، ٢٥٩-٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨-٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٠، ١٤٨، ١٩٧، ٢٣، ١٤٧، ١٩٧، ١٣، ١٢٤، ١٢٠، ١٢٥، ١٧٥-١٧٩، ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٣-٢٨٥، ١٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢-٢٤٤، ١٥١، ١٦٠، ١٦٥-١٦٧، ١٧١، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٧٥، ٢٨٧، ٤٩، ١٦٩.
 يوسف بن يعقوب: ٤٦، ٧٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤-١٢٨، ١٧٥، ٢٨٥، يوسف (عشيرة): ١٧٥، ٢٨٥، يوسف (المؤرخ): ٢٠٤، ٢٨٨، اليونان: ٥٤، ٥٦، ١٠٠، ١٠٩، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، يونان (الني): ٢٣٤، يونان: ٢٦٠، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٥٥-٢٥٧، ٢٥٩-٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨-٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٠، ١٤٨، ١٩٧، ٢٣، ١٤٧، ١٩٧، ١٣، ١٢٤، ١٢٠، ١٢٥، ١٧٥-١٧٩، ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٣-٢٨٥، ١٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢-٢٤٤، ١٥١، ١٦٠، ١٦٥-١٦٧، ١٧١، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٧٥، ٢٨٧، ٤٩، ١٦٩.
 يهوذا بن يعقوب: ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، يهوذا (عشيرة): ١٧٥-١٧٩، ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٣-٢٨٥، يهوشافاط: ١٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢-٢٤٤، يهو: ١٥١، ١٦٠، ١٦٥-١٦٧، ١٧١، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٧٥، ٢٨٧، يوباب: ٤٩، ١٦٩.

فهرس المحتويات

الصفحة

٩

المقدمة: في المنهج

٢٧

القسم الأول: فلسطين والجغرافية التوراتية

٢٩

تمهيد

٣٣

١- الحملات الآشورية على بلاد العرب

٤٥

٢- مواطن القبائل الإسماعيلية

٦١

٣- حويلة وشور في التوراة

٧٣

٤- جلعاد في التوراة

٨١

٥- جغرافية شرقي الأردن

٨٧

٦- خلاصة ومنطق الخلاصة

١١٥

٧- مصر التوراتية من خلال النص

١١٦

١- مصر المدينة أو القرية

١٢٠

٢- بنو إسرائيل أكثر من المصريين

١٢٤

٣- إخوة يوسف في مصر



١٢٧	٤- جنازة يعقوب
١٣٥	٥- أنهار مصر وسواقيها
١٣٧	٨- الفرات التوراتي
١٤٥	القسم الثاني: لبنان التوراتي في اليمن
١٤٧	١- لبنان التوراتي في اليمن
١٨١	أ- خلاصة مقارنة
١٩٧	٢- لبنان التوراتي بلد المرّ واللبن والصندل
٢٠٧	٣- أرز لبنان وثلجه وأنهاره
٢٢١	٤- جبال لبنان وكرمه
٢٣٣	٥- صور التوراتية وجبل
٢٧٣	٦- صيدون وصرفة وإيليا النبي
٢٨٠	أ- لايش أو لشم الصيدونيين
٢٨٧	ب- صرفة صيدون
٢٩٣	الخرائط الجغرافية
٢٩٩	فهرس المصادر والمراجع
٣٠٥	فهرس الأماكن والأعلام
٣٣٥	فهرس المحتويات

لبنان التوراتي في اليمن

وحيث أن دراستنا هذه تهدف إلى إثبات أن لبنان التوراتي ليس لبنان الحالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. بل هو لبنان اليمن، فإننا قد اعتمدنا مخططاً منهجياً يمكن أن يكون صالحاً لإعطاء أحكام تقارب اليقين. وإن لم تكن نهائية. كما يمكن أن يشكل أرضية مثبته بموازاة المنهج الفيلولوجي غير القادر على حسم مثل هذه المقولات في ظل فقدان المعطيات الأركيولوجية. إن المنهج الذي تركز إليه هذه الدراسة هو منهج تحليل النصوص التوراتية أو منطق النص التوراتي.

إن لبنان (لبنون عبرياً) الذي تناوله هذه الدراسة، هو فقط الذي ذكر في أسفار التوراة، ولا يتعلق البتة بلبنان الذي ذكر في الإنجيل (العهد الجديد) تحت اسم بلاد فينيقيا. فقد ورد اسم لبنان سبعين مرة في العهد القديم، أما في العهد الجديد فلم يرد اسم لبنان بل ورد ذكر بلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. إن صور وصيدون وقانا التي جاء إليها السيد المسيح ومريم العذراء وبولس الرسول هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبر بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد. لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعد ذلك بقرون. فإذا كانت أرض إسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حال دون وصول هذا الاسم إلى مسامع كتبة الأسفار؟

من مقدمة الكتاب

المؤلف الدكتور لطيف الياس لطيف، من مواليد عماطور في قضاء الشوف عام ١٩٤٩. يحمل دكتوراه دولة في الفلسفة منذ العام ١٩٨٥، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية وتاريخ الحضارات والفلسفات الشرقية القديمة في معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، (١٩٨٥ - ٢٠٠٠). وقد قام بإجازة هذه الدراسة على مدى إحدى عشرة سنة (١٩٨٩ - ٢٠٠٠). تحللتها سلسلة اعتراضات ومناقشات مع أهل الاختصاص وغيرهم. شملت معظم أقسامها.